المنهل

AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية
العدد (٥٧٦) المجلد (٦٣) العام [٦٧] رجب وشعبان ١٤٢٢ هـ - أكتوبر / نوفمبر ٢٠٠١ م

دعوة لتكريم الأنصاري في ذكراه التاسعة عشرة



الأمير الشاعر
عبدالله الفيصل
تكريم .. ووفاء



الإسلام والفنون الجميلة

الصحابة
.. محدثون وفقهاء
إنهم يستلون
من الإسلام خلاصة فكره



د. جابر عصفور:
الراوية أقدر على
التقاط تفاصيل الحياة

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

غلاف العدد






المركز الرئيسي

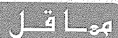
جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥

رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل

فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ تليفون: ٦٤٢٧٨٣١

٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧

الرياض: ص.ب ٢٩٠ تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢



مما قال

الاهتمامات الداخلية والخارجية في الاسلام

الاسلام دين عام للبشرية خالد، ولذلك كان من مبادئه اهتمام بنيه بشؤون بعضهم الداخلية، واهتمامهم كذلك بالشؤون الخارجية التي تمت بصلة الى حياتهم في حاضرهم ومستقبلهم.

ولسنا نقول هذا من باب اطلاق الكلام على عواهنه.. ففيما يتعلق بالاهتمامات الداخلية ورد في الحديث النبوي: (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم).

والاهتمام كلمة عامة شاملة يندرج في مفهومها الفضفاض، كل ألوان الاهتمام من تفكير ومباحثة ومراجعة ومعالجة للمسائل واحاطة بمجرى الامور العامة ومحاولة لتوجيهها الى المصلحة الاسلامية المنشودة.

ان المسلم بالنسبة للمسلم في اى مكان من الارض لجزء متمم له لا يتجزأ منه ولا تنفصم عراه عنه.

وقد كان في هذه الظاهرة الحميدة، وفي هذا المبدأ الانساني الحميد الذى يهدف اليه الاسلام ربط محكم العرى والحلقات بين أبناء الاسلام مهما اشتطت بهم الديار، وتباينت الظروف، كما كان سياجا محكما متينا وحصنا حصينا وصخرة النجاة العليا التى يلتجيء اليها العالم الاسلامي قديما وحديثا كلما حزب بعضه امر أو داهمته غاشية من احتلال أو استعمار أو استثمار.. فنرى المسلمين ينهضون وينهدون من اطراف المعمورة تتجاوب صرخاتهم وتتدافع رماحهم وسيوفهم ومقدراتهم لغوث اخوانهم المضطهدين أو المنكوبين. لقد شاهدنا مفعول تحقيق هذا المبدأ الاسلامي حينما ندت صيحة حزينة من «هاشمية» وقعت في أسر الروم، ايام خلافة المعتصم العباسي.. حيث صرخت من هناك في قيودها: (وامعتصماه) فجاءها جواب المعتصم من بغداد متمثلا في ألوف السيوف المصلتة والركائب والخيل المطهمة التى انقذتها من أسرها ولقنت الروم درسا اسلاميا بليغ المدى.

ورأينا مفعول تطبيق هذه الظاهرة الاسلامية العريقة أخيرا حينما طغى الاستعمار الغربي على اخواننا في ارض الجزائر العربية المسلمة، وهم بالنسبة لمجاوريهم من وراء خط المحيط كالشامة في جلد الثور الاسود، فتجاوبت صيحات العالم العربى والاسلامى في شتى اقطار الارض متنادية بطرد ذئاب الاستعمار عن (باب الحمى).

ورأينا ذلك ايضا حينما حاول الغرب أن يلتهم مصر وسورية ولبنان والسودان وغيرها من بلاد العروبة والاسلام..

هذا فيما يختص بمبدأ الاهتمامات الداخلية.. وأما الاهتمامات الخارجية في نظر الاسلام، فلأنه دين عام خالد يسعى للقوة ولحماية ظهر المسلمين، ودفع الغوائل عنهم من بعيد ومن قريب فانه ادخل هذه الاهتمامات بالشؤون الخارجية في اطاره.

«عبدالقدوس الأنصاري»

شعبان ١٣٨٠ هـ
فبراير ١٩٦١ م

سعر النسخة:

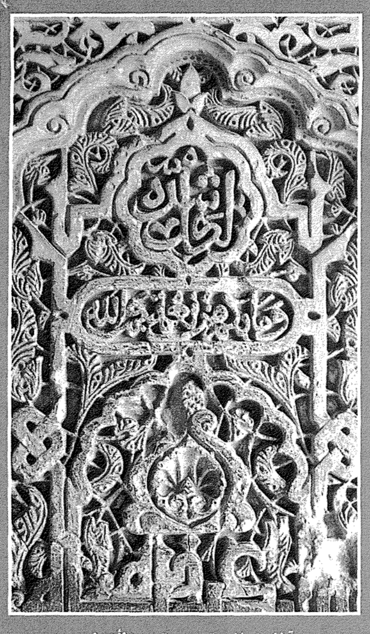
السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم

مصر ١٥٠ قرشاً - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس

عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس

موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

لقطة



آثار إسلامية عربية من الأندلس

الاشتراكات

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر – جدة
تليفون : ٦٣٩٦٠٦٠ – فاكس : ٦٣٩٤٠٩٥

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

فقرات مستلة .. فقرات مستلة .. فقرات مستلة .. فقرات مستلة

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة



غلاف السائح



غلاف هن

.. فقرات مستلة .. فقرات مستلة ..

☐ لغة النبات بين الرمز والحقيقة.

ص ١٢٦

☐ الأنصاري الغائب الحاضر .

ص ١٤٢

☐ الغـربيـون يسـتلون من الاسـلام خـلاصـة فكره ويضعون قبعة الغرب فوق حضارة العرب.

ص ١٤٤

أما بعد

ما بين : العدالة المطلقة ٠٠ والظلم المطلق

العدالة: نظام عقلاني، يبحث عن الحق، في هدوء وتؤدة وتأن٠٠

نظام لا يعلوه الهوى، ولا تطيش بموازينه أباطيل منمقة، ولا أكاذيب سرابية خادعة٠

العدالة: دعا الاسلام للأخذ بها، وحث على احترامها ٠٠

يقول سبحانه وتعالى: **{وأمرت لأعدل بينكم} ـ {فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا} ـ {ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا} ـ {وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون} ـ {اعدلوا هو أقرب للتقوى} ـ {واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى} ـ {واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل} ـ {ان الله يأمر بالعدل والاحسان}**٠

الاسلام دين عدل، وأمته أمة عدل٠٠ هذه حيثيات العدالة التي يعرفها الاسلام ويعرفها المسلمون٠٠

أما أن تعج أعالي البحار والمحيطات في كل أنحاء العالم بكل وسائل الدمار تحت مسمى تنفيذ وتحقيق (العدالة المطلقة) أو الحرب ضد الارهاب من قبل البحث المتأني المتعقل في معرفة من هو الجاني الحقيقي، فلا نجد مسمى لذلك غير **(الظلم المطلق)**٠

الأمة الاسلامية في مجموعها أمة خيّرة، تقيم الموازين القسط في كل أنظمة حياتها، وتحفظ للآخرين حقوقهم ولا تجور على أحد٠٠ وهذا لا ينفي ان يكون فيها من هو خارج متمرد عن انظمتها العدلية٠٠ وبطبيعة الحال لا تؤخذ الامة بكاملها بجريرة خارج٠٠ والارهاب في دنيا اليوم غدا ظاهرة عالمية في كل الشعوب، فلا سبيل لأخذ الكل بجريرة البعض٠٠ وإلا تحول العدل الى ظلم٠

أن تدمّر مقومات بنيات الشعوب تحت مسمى محاربة الارهاب، من غير دليل أو حيثيات عدل، **فهو الظلم المطلق٠**

أن يدمّر العدو الصهيوني كل ما هو فلسطيني، ناساً وأرضا وبُنَىً، وأن يُدْمغ المدافع عن أرضه وعرضه بأنه إرهابي، على مسمع من كل العالم المتحضر، **إنه الظلم المطلق٠٠**

إذن :

العدالة، في مفهومها الصحيح المتزن العاقل، هي حضارة ٠٠ أما دون ذلك ٠٠ **فهو الظلم المطلق٠**

نبيه عبد القدوس الانصاري

٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

مشروع ترميم آثار الدرب الأصفر

- منزل السحيمى قبل الترميم.

وضعت وزارة الثقافة المصرية خطة طموحة تهدف الى المحافظة على تراث القاهرة المعمارى، بعد سنوات طويلة من الاهمال في ظل سياسات ثورة يوليو التى اعتبرت الآثار الاسلامية ، أحد خياراتها لكسب تعاطف الجماهير سواء باسكانهم فيها أو بازالة هذه الآثار لاقامة مساكن شعبية مكانها، ولم تدرك ثورة يوليو أهمية هذا التراث كأحد مقومات الشخصية المصرية، كما لم تدرك أهميته كوسيلة لزيادة الدخل القومي، وفي ظل سياسات العولمة التى تسود العالم يصبح التراث المعمارى أهم مقومات الشخصية الحضارية لأى دولة. كما يصبح استثماره مقوماً هاماً من مقومات الاقتصاد الوطنى.

من هذا المنطق تبنت وزارة الثقافة المصرية مشروع الدرب الأصفر ليكون مشروعا استرشاديا.

بدأ هذا المشروع مثل أغلب مشروعات ترميم الآثار في مصر بفكرة ترميم بيت السحيمى الأثرى

بقلم : **د. خالد عزب** - مصر

الذى يقع في منتصف الدرب، ويعد أبرز آثاره المعمارية، ثم تطور ليشمل منزل الخرزاتي المجاور، حيث تكفل المجلس الأعلى للآثار بدفع ٦٠٠ الف جنيها مصريا لاخلائه من السكان، وبذلك حدث تطور آخر مثير في المشروع وذلك بانضمام منزل مصطفى جعفر الذى يقع على رأس الحارة والذى يجاور منزل الخرزاتي الى المشروع. فأصبح لدينا ثلاثة منازل متجاورة. تكشف ملامحها المعمارية تطور عمارة المنازل في مصر من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر. تمثل مساحة هذه المنازل أربعين بالمئة من مساحة الدرب الأصفر، وهو ما دفع القائمين على المشروع الى التفكير جديا في ضم الدرب وسكانه الى مشروع يهدف الى اعادة الحياة للدرب كما كانت عليها في القرن التاسع عشر، ولم يتبق في الدرب سوى أثر واحد هو سبيل قيطاس بك تم دمجه في المشروع، هذا السبيل يقع على رأس الدرب في اتجاه منطقة الجمالية.

بدأ مشروع الدرب الأصفر تستكمل ملامحه ، فتم تحديد ثلاثة عناصر أساسية به هي:

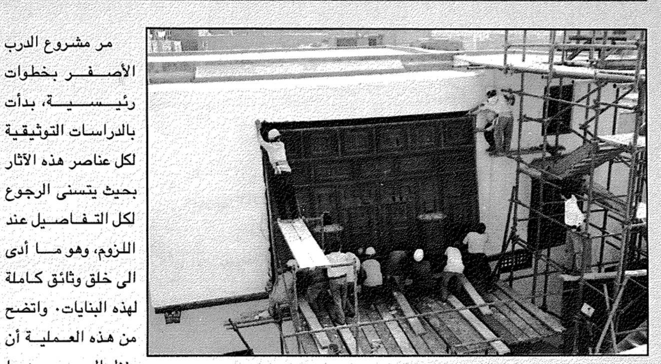
العنصر الأول: هي تغيير محاور المرور وذلك بتحويل الدرب الأصفر الى منطقة للمشاة فقط، حتى لا تؤثر حركة السيارات والناقلات على الآثار بالسلب، ولكى يتيح ذلك فرصة للسائح أن يتأمل الدرب وآثاره بهدوء، وفي هذا الاطار وضعت عوائق حجرية في بداية ونهاية الدرب لمنع مرور المركبات به.

العنصر الثاني: هو تجديد البنية الأساسية، والتى اتضح خلالها أن ما كانت تعانيه آثار الدرب من ارتفاع نسب الرطوبة والمياه الجوفية، كان نتيجة لتهالك شبكة الصرف الصحى وتسريبها مياه الصرف في سراديب المنازل الأثرية وأسفل أساسها، وفي هذا الاطار تم تجديد شبكة المياه وشبكة توزيع الكهرباء وشبكة الهواتف.

العنصر الثالث: في مشروع ترميم الدرب الأصفر هو ترميم الآثار، الذى اعتمد على خبرات مصرية، وفي اطار مشروع الدرب الأصفر تم ادماج واجهات مبانى الدرب في مشروع الترميم فأعيدت تكسيتها بالأحجار ورممت بواباتها وعناصرها الفنية المميزة.

تبنت وزارة الثقافة المصرية محورا جديدا للدرب وهو تنمية الحرف التقليدية به التى يمارسها سكانه ومنها زخرفة النحاس بالحز والحفر والتكفيت بالفضة. وهذه المنتجات النحاسية من المنتجات التى يقبل عليها السياح، كما أصدر المشروع دليلا للحرف التقليدية في القاهرة، التى يقبل عليها السياح. ويجيء هذا في اطار خطة طموحة لتنمية هذه الحرف وتشجيع الشباب على تعلمها من خلال تدريبهم عليها، وقد راعى مشروع الدرب الأصفر هذا التوجه حينما درب عددا من الشباب على صناعة الخشب الخرط الذى تتكون منه المشربيات، كما درب الشباب على حرفة نحت الأحجار وزخرفتها سواء بزخارف هندسية أو نباتية، وهو ما سيوفر حرفيين للعمل في ترميم آثار القاهرة، ولاحداث اندماج بين السكان.. والمشروع خصص طابقاً

مر مشروع الدرب الأصفر بخطوات رئيسية، بدأت بالدراسات التوثيقية لكل عناصر هذه الآثار بحيث يتسنى الرجوع لكل التفاصيل عند اللزوم، وهو ما أدى الى خلق وثائق كاملة لهذه البنايات. واتضح من هذه العملية أن منزل السحيمى به ما يزيد على ستمئة شرخ بعضها نافذ بسمك الجدران، كما قامت الأسر التى كانت تشغل هذه المنازل بتغيير الفراغات حسب متطلباتها. كما أجريت التحليلات على المونة المستخدمة في بناء هذه الآثار. وتم التوصل الى تركيبة هذه المونة، كما تم عمل رفع دقيق للزخارف الحجرية وزخارف الأسقف الخشبية والمشربيات. إن أروع ما تم في هذا المشروع هو الحفاظ على القطع الفنية النادرة، فتم فك الابواب الخشبية ذات الزخارف وتغليف الأسقف المزخرفة والمشربيات أثناء ترميم الحوائط والأرضيات حفاظا عليها.



- مشربية بمنزل السحيمي.

يعود الفضل في انشاء بيت السحيمى الذى يعد الأثر الرئيسى في الدرب الأصفر الى عبد الوهاب الطبلاوى، واسماعيل بن الحاج شلبي، حيث قام كل منهما ببناء جزء من المنزل، فقد ابتدأ ذلك عبد الوهاب الطبلاوى في سنة ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م. حيث قام بتأسيس الجزء الجنوبى الغربي من المنزل. وقام اسماعيل بن الحاج شلبى في سنة ١٢١١هـ/

بمنزل مصطفى جعفر ليكون وحدة لتعليم الحاسب الآلى لأبناء الدرب، وكذلك لتعليمهم العزف على الآلات الموسيقية الشرقية. ولمزيد من الاندماج تم تشكيل جمعية للحفاظ على الدرب وصيانته، تضم في عضويتها كل القاطنين به والمجلس الأعلى للآثار، هذه الجمعية التى بدأت نشاطها فعلا تعد هى مجلس ادارة للدرب يذكرنا بما كان موجودا في القاهرة القديمة حينما كان يختار سكان الدرب شيخ حارتهم الذي يمثله الآن رئيس مجلس إدارة الجمعية، وكان أهالى الدرب يعاونون شيخ الحارة في الحفاظ على المكان وخصوصيته، وهو ما سيحدث في الدرب الأصفر في القرن الواحد والعشرين. ومن المقرر أن تقوم هذه الجمعية بصيانة الدرب وآثاره ومساكنه ومرافقه. وهذه نظرة جديدة لم تكن موجودة في مصر من ذى قبل إذ كان من المعتاد أن ترمم الآثار وتترك وهو ما كان يؤدى الى تدهورها لاحقا.

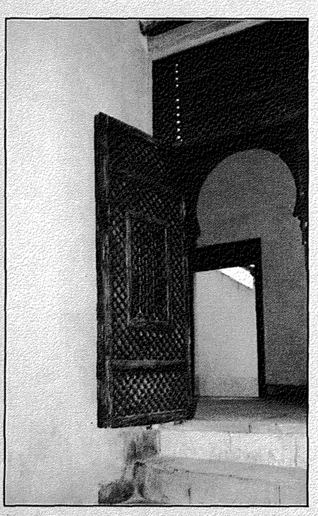
١٧٩٦م بتأسيس الجزء الشمالى الشرقي من المنزل. كما قام بدمج الجزئين معا ليكونا منزلا واحدا. وآل المنزل بعد ذلك الى ملك محمد امام القصبي شيخ الجامع الأحمدى بطنطا. ثم آلت ملكيته بعد ذلك الى الشيخ أحمد السحيمى ثم لولديه أحمد ومحمد.

- منزل مصطفى جعفر/ الدرب الأصفر

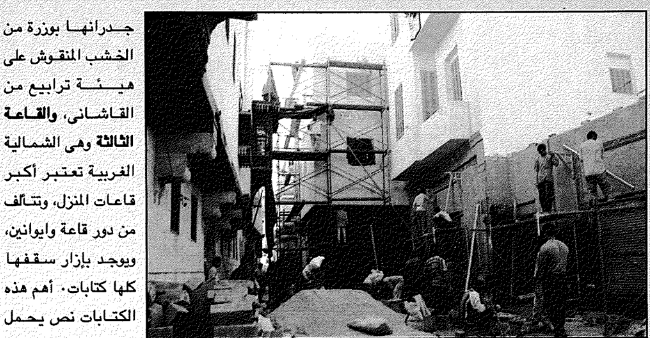
وآخر من سكنه الشيخ محمد أمين السحيمى شيخ رواق الأتراك في الجامع الأزهر الذى توفى في العام ١٩٢٨م. وقامت لجنة حفظ الآثار بشراء المنزل في العام ١٩٣٠م بمبلغ ٧٠٠٠ جنيه مصرى. وقامت بترميمه بمبلغ ١٠٠٠ جنيه.

أكدت الحفائر التى أجراها المسؤولون على ترميم المنزل، أن هذا المنزل بُني على أنقاض أبنية قديمة، كما يذكر على باشا مبارك أنه كان في موضع المنزل الخانقاة الشرابيشية. ويتكون المنزل من فناءين: الأول الجنوبي الغربي وهو الرئيسى مسقطه مستطيل الشكل وأهم ما به ثلاث قاعات أرضية، **الأولى** على يسار الداخل للمنزل من المدخل المنكسر، وتتألف من ثلاثة ايوانات، يوجد في ازار سقف ايوانها الجنوبى كتابات قرآنية.

أما **القاعة الثانية** فهى على يمين الداخل، وهى تتألف من ايوانين بينهما دور قاعة أرضيتها مفروشة بالرخام الخردة الدقيق الالوان، وقد كسيت أسفل



- باب بمنزل مصطفى جعفر.

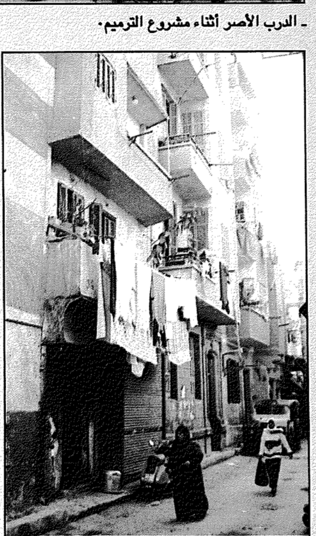


- الدرب الأصر أثناء مشروع الترميم.

جدرانها بوزرة من الخشب المنقوش على هيئة ترابيع من القاشاني، **والقاعة الثالثة** وهي الشمالية الغربية تعتبر أكبر قاعات المنزل، وتتألف من دور قاعة وايوانين، ويوجد بإزار سقفها كلها كتابات. أهم هذه الكتابات نص يحمل اسم مشيد المنزل الحاج اسماعيل بن المرحوم اسماعيل شلبي وتاريخ التأسيس ١٢١١هـ.

كما يوجد في الجهة الشمالية الشرقية من الدور الأرضى لهذا الفناء تختبوش كبير. محمول في وسطه على عامود رخامى مستدير، ويفتح بكامل اتساعه على الفناء، كما يفتح جداره الشمالى الشرقى على الفناء الثانى للمنزل بشباكين عريضين غشى كل منهما بحجاب من خشب الخرط. ويضم الدور الارضى ضريح الشيخ السحيمى، حيث يشغل الركن الجنوبى الغربى مطلا على الدرب الأصفر.

أما الدور الأول لهذا الفناء فأهم ما به قاعة القاشانى التى تتألف من ايوانين ودور قاعة، فرشت كل أرضيتها بالرخام الخردة الملون، وغطى الجزء الأسفل من جدرانها بالقاشانى، ويفتح الضلع الجنوبى الغربى للدور قاعة والايوان الجنوبى الشرقى على الفناء بحجاب من الخشب الخرط، فتح به عدة شبابيك، يعلوها اثنا عشر شباكاً معشقاً بالزجاج الملون كتب عليها اسم الشيخ محمد



- الدرب الأصر بعد الترميم.

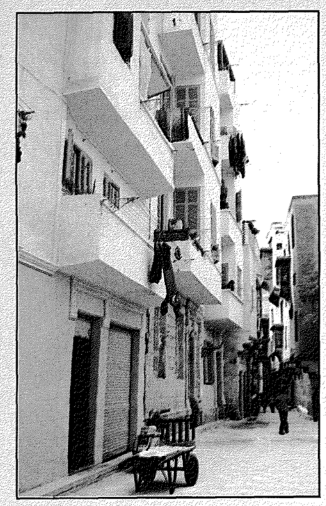
السحيمى ووظيفته شيخ الأتراك بالأزهر. مما يؤكد تجديده لهذه القاعة، ويعلو هذا الحجاب رفرف خشبي.

كما يجاور هذه القاعة حمام يتوصل اليه من بئر السلم الصاعد في الزاوية الشمالية للفناء، ويتألف الحمام من ثلاث غرف باردة ودافئة وحارة، غطى كل من الغرف الباردة والحارة بقبة ضحلة بكل منها مضاو من الزجاج الملون. ويحتوى هذا الدور على مقعد وهو يتكون من مساحة مستطيلة تشرف على الفناء بعقدين من نوع حدوة الفرس يرتكزان على عمود رخامى في الوسط. وكان المقعد من الأماكن التي يفضل الجلوس بها في المنازل خاصة في فصل الصيف لكون واجهته شمالية غربية تأتى إليها رياح تحمل نسمات رقيقة من الهواء.

أما الطابقان الثاني والثالث فيضمان عدداً كبيراً من الغرف والأروقة والسطوح التى يبرز من بعضها شخشيخات وهى أسقف بارزة عادة ما تتوسط سقف الحجرة. وتكون مثمنة الشكل بها فتحات لادخال الهواء والضوء.

والفناء الثانى في الجهة الشمالية الشرقية عبارة عن حديقة كبيرة توجد بها ساقية ماء وطاحونه وتفتح عليه حجرات الخدم وغيرها ويتصل بالفناء الأول عبر دهليز على الجانب الشمالى للتختبوش.

أما منزل مصطفى جعفر فيعود انشاؤه الى العصر العثماني، وهو أصغر حجما من منزل السحيمى، ويضم قاعة رائعة في طابقه الأول مزخرفة بالرخام الخردة في أرضيتها ولها سقف خشبى يضم كل فنون النجارة في ذلك العصر، ويقع منزل الخرزاتى بين المنزلين وهو يعود الى القرن التاسع عشر. وطرازه خليط بين عمارة منزل



- **الدرب الاصفر في القاهرة.**

القاهرة وعمارة منزل استانبول في القرن التاسع عشر.

ورابع أثر في الدرب الأصفر هو سبيل قيطاس بك الذى يقع على رأس الدرب عند تقاطعه مع شارع الجمالية، والسبيل منشأه خيرية الهدف منها هو ارواء عطش المارة بالماء الذى يخزن في صهريج أسفل السبيل. ويعلو الصهريج حجرة يتم فيها تبريد الماء على ألواح رخامية قبل أن يناوله عامل السبيل الى المارة. شيد هذا السبيل الأمير قيطاس سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م. ويعلو السبيل كتاب لتعليم أطفال الدرب القرآن الكريم والحساب والقراءة.

أمير الشعر

** في أواخر شهر أغسطس ٢٠٠١م وفي مدينة أبها حاضرة الجنوب في المملكة العربية السعودية، احتفت دار الدكتورة سعاد الصباح بصاحب السمو الملكي الامير الشاعر عبد الله الفيصل، وكانت قد اختارت سموه الشخصية الابداعية للعام ٢٠٠١م.

وكان الحفل تظاهرة أدبية وثقافية ضخمة.. حضرها عدد وافر من الأدباء والنقاد والمثقفين من داخل المملكة ومن كثير من الدول العربية.. والقى فيها عدد من الدراسات والبحوث تناولت شعر سموه، كما تناولت مجموعة من الجوانب الانسانية والابداعية عند سموه..

والمنهل ـ تناغماً ـ مع هذا التكريم الخالد لسمو الامير الشاعر عبد الله الفيصل تخصص هذا الملف، وهو تحية تقدير واحترام وإكبار للأمير عبد الله الفيصل.

وبهذه المناسبة كانت المنهل قد نشرت قصيدة عصماء للدكتور زكي المحاسني ـ عليه رحمة الله ـ مهداة الى صاحب السمو الملكي الامير عبد الله الفيصل وذلك في عددها لشهر ذي القعدة ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧٠م.. وتفاعل مع هذه القصيدة الأستاذ على حافظ ـ عليه رحمة الله ـ وقام بتشطيرها .. ونشرت في عدد ذي الحجة ١٣٩٠هـ.

ويسعد المنهل ان تهدي (القصيدتين) لسمو الأمير الشاعر.

« والأبيات بين الاقواس للأستاذ علي حافظ والأخري للدكتور زكي المحاسني»

انشدته الشعر في مغمور مغناه
(والشعر يدعمه دوما ويرعاه)
(غردت لما رأيت الحظ أسعدني)
في جدة والدُنى تزهو بلقياه
طويت بيدا اليه في «مجنحة»
(بالحب مثقلة تصبو لرؤياه)
(نزلت ساحته في ظله فرحا)
وبت ضيفا على نعماء جدواه
وجئته في شروق القصر احمده
(والشكر حق له فيما تولاه)
(نفسي فداء أويقات به كرمت)
على ضيافة يوم عزَّ مغداه
لم أجْن مالا سوى شعر فأنشدني
(من فيض تبيانه سحرا ألفناه)
(في نظمه درر، في قوله أدب)
من فنه العذب ما تحلو سجاياه
قلت الأمير ـ وصان الله دولته
(قد ساند الأدب النامي وأعلاه)
(من ذا يضاهيه في شعر وفي كرم)
يعز في دولة الاشعار مغناه
بيانه طلع اشراق فتحسبه
(زهرا تضوع في أرجاء نعماه)
(كانما حقب التاريخ تسمعنا)
عاد امرؤ القيس فيه من مزاياه
انشاده حل في أذني فما برحت
(آثاره في شعاب القلب تغشاه)
(ونشوة الفكر تسرى في جوانحه)
فيه التناعيم تسبيني برياه
أعز تبيانه في العرب ان له
(أبا تألق في الجوزاء مثواه)
(بالعدل والحلم والاحسان أسسه)
مجدا بأعراقهم، النجم نجواه
بارحت مكة أبغى الشام دارتنا
(لكن قلبي هنا بل طوع يمناه)





د. زكى المحاسنى   على حافظ

(وفي الرياض، وفي بطحان أندية)
ومـوئل الشعـر تيـاه بذكـراه
ليت الامير يعيد العهد حالية
(عقوده بالذى نهوى ويهواه)
(بمجمع لبناة الضاد تبعثه)
أقلامه غير حرمان تولاه
خط الصلاح بلبنان دراسته
(وكان لبنان مسراه ومرعاه)
(كأس العلوم دواء لا مثيل له)
تشفى الغليل على معسول دنياه
لكنني بعد مسحور بساحره
(ان البيان لسحر في ثناياه)
(لما سئلت عن الابداع يبدعه)
قلت القريض لديه فاق محياه
سم العطاء لما أعددت مطلعه
(فالجود ينبع من شتى زواياه)
(فلا يرد الذى قد جاء يقصده)
واشكر إلهك اذ زادت عطاياه
أغلى مقدمة قد رحت أنسجها
(شوقا وحبا وقربا قد تبناه)
(وفي يدي باقة بالشكر ارسلها)
هدية لامير جل مهواه
ونحن ندان في فن وفي أدب
(وفي دم العرب يجرى في حناياه)
(إن قلت ندا فقد حاولت مفتخرا)
وليس ندّين في مال، هو الجاه
آداب نجد تجلت في مباسمه
(وفي الحجاز لقانا قد حمدناه)
(تنفست بقريض ساحر لبق)
على الاثير فبت الليل أرعاه
أخا العروبة وابن الملك شاهدة
(بفيصل العرب والاسلام حياه)
(كالبحر، يبنى بلا منٍّ ولا ملل)
لك البحار أيا بحرا بملقاه

وجدة فيك قد زانت محاسنها
(وحظها بك للعلياء مسعاه)
(كأنك البدر بالانوار تغمرها)
وعند منهلها الرحمن رواه
لو ابصرت عينك الغراء طيف اخ
(الوجد والشوق والتهيام أضناه)
(كمثل مجنون ليلى في محبته)
اضحى خلالا بجسم هدَّ مبناه
غنى بشعرك في أظلال جامعة
(ثمارها بيدينا قد جنيناه)
(أراد بوحا بسر فانثنى خجلا)
وعاد في جسد يسعى بمضناه
يطوي السنين على فيحاء «ملحمة»
قصيدة نظمت في نبل معناه
(ولم ينل بغية والحظ حاربه)
في دولة الشعر لا يحظى بمرعاه
لقلت ويحا لو انى جئت رافدها
(بما تمنى عطاء ليس ينساه)
زان العقال جبينا شع كوكبه
(نورا تدفق في الآفاق لألاه)
(رأيته في قباب من مهابته)
وفي حمى البيت قلنا ما أحيلاه
يا ليت عزى في فكر وفي أدب
(وفي مكارم تترى من سجاياه)
(وكم ظفرت به والسعد يسعفنى)
انى اطالعه في مجد مرآه

الأمير عبد الله الفيصل .. السيرة والمسيرة



في نهاية شهر اغسطس ٢٠٠١م قامت دار سعاد الصباح بتكريم صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل في مدينة أبها .

ولقد كنت أتمنى أن تضطلع إحدى الجامعات السعودية بهذا التكريم لهذا العلم الذى كان رائدا من رواد الشعر والرياضة في المملكة العربية السعودية .

صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل بن عبد العزيز آل سعود شاعر من كبار شعراء العربية، ومسئول من كبار المسئولين، وفارساً من كبار الفرسان، ورياضياً من كبار الرياضيين.

بمعنى أن الأمير عبد الله الفيصل يتمتع بـ (بالابدا ع) في القيادة والريادة في عدد من المجالات التى تتصل بصياغة مستقبل المجتمع السعودي.

وهذه الروح المبدعة جعلته يؤثر في مجتمعه ويتأثر به حتى أصبحت المحصلة سلسلة من الإنجازات الفريدة في مجالات من أهم مجالات فكر المجتمع وبناء المؤسسات.



بقلم : د. أمين ساعاتي - جدة

للأمير عبد الله الفيصل دواوينه الشعرية وله حكمته السياسية من خلال إدارته للمناصب الوزارية الرفيعة التى تقلدها، وله بصماته العميقة في تاريخ الحركة الرياضية السعودية، وله أعماله الإنسانية والخيرية التى أثر بها في مجتمع يذكر دائماً أيادي الأمير عبد الله الفيصل بالشكر والثناء والدعاء.

الأمير عبد الله الفيصل، اسم يعرفه العربي من المحيط الى الخليج، ورغم هذا، فإن الحديث عنه يبدو أكثر صعوبة من الحديث عن الآخرين ممن يملكون شخصية محددة، وتبدو الصعوبة عندما تقف امام رجل هو شاعر وسياسي ورجل اعمال وفارس ورياضي عريق.

الشاعر السعودي الكبير عبد الله الفيصل.. هو الشاعر الفارس الذي استطاع ان يقود مسيرة القصيدة الشعبية وقصيدة اللغة العربية الفصحى في الجزيرة العربية الى قلب الإنسان العادي البسيط، وهو أحد شعراء جيل العمالقة، انتاجه الشعري متدفق، وما يكتب عنه اليوم يبدو ناقصا غدا.

ولد الشاعر عبد الله الفيصل في مدينة الرياض في الخامس عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٣٤١هـ والموافقة ١٩٢٢م، وهو الابن الأكبر للملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز يرحمه الله، وجده هو الملك عبد العزيز آل سعود باني المملكة العربية السعودية وموحدها، ووالدته الأميرة سلطانة السديري، وعائلة السديري من العائلات السعودية العريقة التى لمع كثير من أفرادها، وشغلوا مناصب كبيرة في الدولة، وخاصة امراء مقاطعات ووزراء ووكلاء وزارة.

عاش الشاعر السنوات الخمس الأولى من حياته في كنف جده الملك عبد العزيز في الرياض، ثم انتقل الشاعر بعد ذلك الى مكة المكرمة حيث عاش في كنف والده الملك فيصل الذي كان آنذاك نائب الملك على الحجاز.

التحق الأمير عبد الله الفيصل بإحدى المدارس الابتدائية في مكة المكرمة وكان التعليم آنذاك في طوره الأول، فحصل على الشهادة الابتدائية التى كانت من أعلى الشهادات آنذاك في المملكة، ولكن الشاعر لم يكتف بشهادته المتواضعة، فانكب على التحصيل والمطالعة، وكان ميله الى الشعر واضحاً.

ويحدثنا الشاعر عن نفسه فيقول: كنت مدمن مطالعة إذا صح التعبير، أقرأ في الأدب والتاريخ والسياسة، كان الشعر أحب الفنون الى نفسي، وعن الشعراء الذين قرأ لهم وأحب شعرهم يقول: أحببت كثيراً من الشعراء، ولا أستطيع حصرهم. فمن العصر الجاهلي أحببت شعر طرفة بن العبد والنابغة الذبياني وامرأ القيس وعنترة، ومن العصر الأموي عمر بن أبي

** قضى بضع سنوات في كنف جده الملك عبد العزيز، أعجب به فأسماه (نصف الدنيا).



سمو الأمير مع الرئيس الفرنسي شيراك

ربيعة، ومن العصر العباسي المتنبي، ومن العصر الحديث ابراهيم ناجي وأحمد شوقي وعلي محمود طه في مصر، وأما في سوريا فأحب شعر بدوى الجبل وعمر أبي ريشة، كذلك قرأت الكثير عن شعراء لبنان وأحببت شعرهم. وهنا لابد لنا من الإشارة الى أن عبد الله الفيصل كان له احتكاك مباشر مع بعض شعراء لبنان، ومنهم بالتحديد الشاعر والأديب المعروف صلاح لبكي الذي كتب لعبد الله الفيصل مقدمة ديوانه (وحي الحرمان). ويعد الشاعر عبد الله الفيصل من سادة الشعر الشعبي أو النبطي في المملكة العربية السعودية، وإليه يعود الفضل الكبير في حماية هذا الشعر وتقريبه من ذوق وفهم الجمهور، فقد جدد عبد الله الفيصل في استعمال الصور الشعرية، وهذا أضفى على هذا اللون من الشعر رونقا عصريا جديدا، وإن استعماله الصور الحديثة والانفعال بها ضمن رؤية جديدة قد قرب الألفاظ والمفردات من فهم القارىء وحببها الى نفسه.

والشاعر عبد الله الفيصل ينظم الشعر الشعبي (النبطي) السهل أو المطعم بالفصحى، بحيث تتقبله الأذواق والثقافات المختلفة.

وقد صدر للشاعر أول ديوان شعري بعنوان (وحي الحرمان) في عام ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٣م، وهو الذي نال إعجاب وتقدير النقاد ومتذوقي الأدب بأسلوبه الفريد، وأثنى على شعره كبار الأدباء والشعراء في العالم العربي أمثال الدكتور طه حسين وعلى محمود طه وفاروق عبود وعمر أبو ريشة وصلاح لبكي، وقد طبع منه طبعته الثانية عام ١٤٠٠هـ الموافق ١٩٨٠م، وصدر ديوانه الثاني (حديث قلب) في عام ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٢م وديوان ثالث بعنوان (مشاعري) بالشعر الشعبي (النبطي)، وترجمت أعماله الشعرية الى الفرنسية في ديوان أدهش بعض مفكري العالم الغربي.

شغل الشاعر الفيصل مناصب عديدة مرموقة، منها منصب وزير الداخلية بجانب وزارة الصحة.

كما يعتبر الأمير عبد الله الفيصل بحق أحد الرواد الأوائل لنهضة الرياضة في السعودية، فهو الذي رعاها ونظمها بتأسيس الإدارة العامة للرياضة والكشافة في عام ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٣م حين كان وزيراً للداخلية، إذ كان يحضر المباريات بنفسه، كما تولى رئاسة شرف الأندية الرياضية، وأسس الاتحاد السعودي لكرة القدم في عام ١٣٧٦هـ الموافق ١٩٥٦م كما أسس المنتخب السعودي لكرة القدم، فضلا عن رئاسته الاتحاد السعودي لكرة القدم واللجنة الأولمبية الأهلية السعودية. وفي عام ١٤٢١هـ صدر قرار سمو الرئيس العام لرعاية الشباب بإطلاق اسم الأمير عبد الله الفيصل على استاد جدة الرياضي، وأيضاً فالأمير عبد الله الفيصل رجل أعمال معروف، وعضو في كثير من الشركات، وله العديد من المؤسسات الهامة التي تمثل دعامة للاقتصاد السعودي.

يعتبر واحدا من أهم مؤسسي مؤسسة الملك فيصل الخيرية، ويشغل منصب رئيس مجلس أمنائها.

نال الشاعر/ الأمير عبد الله الفيصل العديد من الأوسمة والجوائز، حيث منح الدكتوراه الفخرية في العلوم الإنسانية بقرار من مجلس أمناء «أكاديمية العلوم الثقافية» المتفرعة من «مؤتمر الشعراء العالميين» الذى انعقد في مدينة سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨١م.

وفاز بجائزة «سولاتراز» الثقافية الفرنسية، وهي الجائزة الدولية الكبرى للشعر الأجنبي التي تمنح كل عام لأحد كبار الشعراء غير الفرنسيين في العالم، كما حصل على اللوحة الألفية لمدينة باريس من السيد **جاك شيراك** عمدة باريس وقتذاك، في عام ١٩٨٥م الموافق ١٤٠٥هـ.. وهي تمنح عادة لرؤساء الدول أو رؤساء الحكومات أو لرجالات الفكر والإنجازات العلمية من جامعة السوربون.

كذلك فقد حصل على جائزة الدولة التقديرية بالمملكة العربية السعودية لعام ١٤٠٥هـ.. كذلك منح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة شاد الأمريكية عام ١٤٠٩هـ في مجال الأدب.



الأمير واختبارات شهادة الدراسة الابتدائية

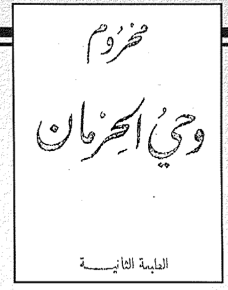
كما اختارت اللجنة الأولمبية في تاريخ ١ محرم عام ١٤٢١هـ الأمير عبد الله الفيصل كأحد أبرز القادة الرياضيين على المستوى الوطني.

وأما عن سيرته في نظر أصدقائه وزملائه فيقول اللواء الشاعر **علي زين العابدين**: تشرفت بمعرفة الأمير عبد الله الفيصل في عام ١٣٥٢هـ حينما كان سموه في الحادية عشرة من عمره المديد إن شاء الله، وكنت في التاسعة من عمري.

ضمتنا مدرسة حارة الباب التحضيرية في الصف الثالث وكان مدير المدرسة في

**** ولي مجموعة من المهام الوزارية والادارية، وكان فيها مكان الثقة والتأييد.**

**** كان الساعد الأيمن لوالده الملك فيصل.**



غلاف ديوان (وحي الحرمان)

** في وقت مـــبكر اهتم بالرياضــة وأولاها اهتـمـامــه حـتى بلغت مـا هي عليـه الآن.
** لعل الشـــعــر يمثل نصف دنيـــاه، فــقـــد أحبـــه، ونـأى بـه عـن مناصب الدولـة.

ذلك العام فضيلة الشيخ **عبد الله عبد الغني خياط**، اختير بعد الشيخ مصطفى داغستاني، وكان سمو الأمير عبد الله الفيصل يصل المدرسة صباحا في سيارة ذات مقعدين لم يكن مثلها في مكة المكرمة، بل لم يكن في مكة المكرمة سيارات إلا قلائل. كان يصحبه صاحبان أحدهما (سعد) وهو حارسه و(مسعود العبد الله) خادمه. وكان التواضع سمة للأمير عبد الله ميزة له فقد كان الصاحبان زميلين لنا في نفس الفصل الدراسي صباحا مع بقية الزملاء وكان وسيم الوجه باسم الثغر عيناه تشعان بالذكاء.. أخلاقه بالغة السمو تواضعه الجم ينم عن طيب المنبت ورفعة التربية وسمو التهذيب.

ويستطرد زين العابدين قائلا: وكان سمو الأمير عبد الله هو الأول على الفصل طيلة السنوات الأربع التى قضيناها في المدرسة الابتدائية وتم التخرج عام ١٣٥٧هـ **ونشرت الصحف خبر تخرجنا بالأسماء وكان الأول هو سمو الأمير عبد الله الفيصل حفظه الله..** افترق تلاميذ السنة الرابعة الابتدائية بعد نجاحهم، فمنهم من التحق بتحضير البعثات التى أسسها السيد طاهر الدباغ - رحمه الله - واسمها يدل دلالة واضحة على أهدافها وقد كنت أحد طلابها حتى تخرجت منها عام ١٣٦٣هـ، والتحق آخرون بالمعهد العلمي السعودي ، وقد كان هو في المدرسة الثانوية الحكومية الوحيدة ولم يكن لها منافس إلا مدرستان أهليتان هما الفلاح صاحبة الشهرة الواسعة التى خرجت كثيرا من رجالات الدولة.. والمدرسة الصولتية التى تنافس الفلاح، واستمر سمو الأمير عبد الله في الدراسات الخاصة حتى نبغ كعادته واختاره جلالة الملك عبد العزيز - رحمه الله - وزيرا للداخلية ثم أضاف إليه وزارة الصحة مما جعلنا نشعر بالفخر والاعتزاز بتولى زميلنا النابغة عبد الله الفيصل أمور الوزارتين.

ولقد ترك سموه العمل الحكومي كما تركناه تقاعدا ولكننا لم نترك الأدب ولم يتركه زميلنا الأمير وأصبحت له مجالس خاصة في داره تروى فيها الأشعار عذبة حلوة بوقعها القيثاري.. وأصبح بيت الأمير عبد الله ندوة للأدب ومقصدا للأدباء والشعراء والمفكرين.. وأصبحت داره مضيفة مفتوحة لكل زائر وطارق وقاصد. أصبحت يده كالسحاب تظلل بالخير على العفاة والمعوزين فكم أعان فقيرا وربّى يتيما وأغاث ولهى وأيامى.. ليس على داره حاجب يمنع أحدا.

وكان الملك عبد العزيز طيب الله ثراه يحب حفيده الأمير عبد ا لله الفيصل ويستأنس به، حتى سماه «نصف الدنيا» وكان إذا جلس في المجلس ويريد أن يستأنس يطلب إحضار نصف الدنيا، وإذا وصل الأمير عبد الله الى المجلس تنفرج أسارير الملك عبد العزيز

ويداعبه ويلاطفه ويسأله عن أحواله وعن أحوال من حوله.

يقول الأمير عبد الله الفيصل في الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه -

لقد عشت في كنف وبيت الملك عبد العزيز - رحمه الله - خمس سنوات فقط ولكني كنت قريبا منه، وحديثي عنه يحتاج الى أيام طوال، لقد جمع الله في الملك عبد العزيز صفات كثيرة امتزجت في شخصيته بين شدة ولين وقوة وصرامة وكرم.

ولم يكن غريبا أن يقسو عليك حتى يعطيك ثقته بعد امتحان، ورحمته وخشيته على رعيته والمسلمين تظهر حتى في الأزمات، حيث كان يتحاشى المعارك والصراعات، كما كان كثير العفو حتى مع أكثر أعدائه شدة ومكرا، ومن ذلك حادثة «السبلة» التى تحاشى الدخول في معركتها مع فيصل الدويش حين أرسل إليه رسولا يقال له ابن عرير، فقام الدويش بحلق شنب ابن عرير وسلمه خمس رصاصات وقال له: هذا جوابي الى عبد العزيز، فعندما بلغ الخبر الملك عبد العزيز ورأى مبعوثه ابن عرير وما أصابه نزل عن صهوة جواده وسجد لله قائلا: «اللهم إن تكن تعلم أني لم أترك بابا للسلم إلا وطرقته وأنهم رفضوا ذلك، أن تجعلها في وجوههم» واشتبك معهم في معركة لم تدم أكثر من عشرين دقيقة انهزم العدو بعدها، فإذا بالدويش وقد أصيب فأتى الملك عبد العزيز يتشفع بعد ثلاثة أيام حيث أمر له الملك بخيام يسكن فيها مع نسائه. ثم تهيأ الملك عبد العزيز للسلام على فيصل الدويش الذى طلب من الملك عبد العزيز يده ليبايعه فقال له الملك: «يا فيصل ما نفعتك عهودك الأولى أنا صافح عنك، وما فات مات وأنت شيخ مطير وإن خنتني مرة اخرى فسيعاثرك الله بين يدي كما عثرك الآن».

ولم يكن الملك عبد العزيزمتكبرا أو مترفعا وليس بالغريب من خصائصه أن يتحدث عن غرمائه بكل خير، ومن ذلك عبد العزيز بن الرشيد الذي كان يقول عنه «إنه أطيب مني وأشجع ولكن حظي أوفر من حظه».

وكان - يرحمه الله - إذا اشتدت عليه الأمور خلا الى ربه يصلي ويتلو قرآنه.. وكانت له طريقة فريدة إذ يجتمع بوزرائه وكبار رجاله بعد طلوع الشمس لتدارس الأوضاع والمعاملات والبرقيات الواردة على الدولة حتى إذا ما انتهوا انصرف كل واحد الى عمله، وهو عالم بما أوكل إليه من مهام. ولم يكن يغرب عن ذهنه كبيرة ولا صغيرة من أكياس القهوة التي تدخل المطبخ في القصر وحتى محادثاته مع روزفلت وتشرشل.

ومما يذكر عن الملك عبد العزيز - رحمه الله - أنه خرج ذات يوم الى الصيد في أطراف الرياض بعد صلاة الفجر ، حيث كان الصيد كثيرا في تلك الأيام وكان يذهب معه أصدقاؤه ومستشاروه ويعود في المساء. وذات مرة أمر بوضع طعام الغداء وبعد أن انتهى الجميع أمر بإحضار الدجاج الذي على المائدة فإذا به ١٥٠ دجاجة، فابتسم ضاحكا وهو يقول: إنا لله وإنا اليه راجعون، والله لقد صرفت للمسؤولين عن الطبخ ٣٠٠ دجاجة لم يقدم منها سوى ١٥٠ فقط.

وعند وفاته - رحمه الله - لم يترك وراءه مالا أو مزارع وقصورا سوى بعض الملابس التي بيعت في السوق وأدخل ثمنها بيت المال.

ولدى الأمير عبد الله الفيصل الكثير من الذكريات عن الملك عبد العزيز وعن والده الملك فيصل يرحمهما الله، فكان من أشد المعجبين بوالده الملك فيصل وكان حينما يتحدث عن خصاله يحدثك وكأنه يلقي عليك قصيدة عصماء.

والواقع أن عبد الله الفيصل يختزن الكثير من التجارب التى لها علاقة بالتاريخ المعاصر للمملكة العربية السعودية، وإذا شئنا الحقيقة فهو أحد صناع تاريخ المملكة الحديث ولساته في بناء المؤسسات وفي بناء الفكر وفي بناء الحركة الرياضية لا يمكن أن تخفى عن أحد.



الأمير الشاعر مع رجال الأدب والثقافة عقب نجاح كلمات أغنية «من أجل عينيك»

الأمير عبد الله الفيصل .. شاعراً

-عندما نتحدث عن الأمير الشاعر عبد الله الفيصل فإننا نتحدث عن قمة سامقة في دنيا الشعر العربي، وعن منارة تشع إبداعاً وجمالا لا تخطئها عين الرائين والباحثين في سجل هذا الشعر. وهو - بكل المقاييس - يعتبر إضافة ثرية في وجدان الأمة العربية، وإضاءة ريادية شامخة في المسيرة الأدبية لهذه الأمة.

ولد الأمير الشاعر عبد الله الفيصل في عام ١٣٤١هـ. تأثر في بداية حياته بالشعر النبطي لوالده الذي كان ضليعاً فيه. بدأ ثقافته الذاتية بالاطلاع الواسع على قراءة الأدب والتاريخ والسياسة. واتسم شعره بجمال الأسلوب ورونق العبارة وحسن السبك وصدق الكلمة. ومن أبرز الشعراء الذين تأثر بهم ونهل من معينهم الثر طرفة بن العبد، النابغة الذبياني، امرؤ القيس، عنترة بن شداد، عمر بن أبي ربيعة، أبو الطيب المتنبي، ومن المحدثين إبراهيم ناجي، أحمد شوقي، علي محمود طه، وعمر أبو ريشة.



بقلم : **د. عبيد خيري** – المدينة المنورة

تبوأ الأمير الشاعر مناصب قيادية عديدة منذ بداية العهد السعودي الميمون. فكان وزيرا للداخلية ووزيراً للصحة في آن واحد ولفترة من الزمن. ترك العمل الرسمي وتفرغ لأعماله الحرة، كما تفرغ للإبحار في دنيا الأدب والشعر خاصة. فصدرت له دواوين ثلاثة هي: (وحي الحرمان)، (حديث قلب)، و(مشاعري). والأخير نبطي المنهج. هذا وللأمير الشاعر منتدى أدبي يؤمه الشعراء السعوديون وغيرهم من الأدباء العرب.

حصل الأمير الشاعر على الجائزة الدولية الكبرى للشعر الأجنبي ومُنح الدكتوراة الفخرية في الدراسات الإنسانية من سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية. كما حصل على جائزة الدولة التقديرية من المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٥م، وفي نفس العام منح وسام باريس، **وتُرجم شعره الى اللغة الفرنسية.**

لقد تعددت الأغراض التي تناولها الشاعر في رحلته الكبيرة في عالم الشعر. ولعل من هذه الأغراض التى كتب فيها الشاعر وأجاد وطنياته التي خصت بلده المملكة العربية السعودية والعالم العربي الرحب. فهو يقول في قصيدة بعنوان (إلى شباب بلادي):[١]

مرحى فقد وضح الصَّوابُ

وهفا الى المجد الشَّبابْ

عَجْلانَ ينتهب الخطى

هيمان يستدني السَّحابْ

في روحه أملٌ يضيـ

ـءُ وفي شبيبته غلابْ

قد فارق الجهل العقيـ

ـم وهشَّ للعلم اللُّبابْ

ذاكم لعمري عُدَّة الـ

ـوطن الكريم المُستطابْ

تزخر هذه القصيدة بالنداءات الحماسية المتدفقة ناراً ووطنية. فهو يستحث شباب بلاده أن يطاول الثريا حُبّاً لوطنه وتطلعاً لا يعرف الضفاف والمدى. هذا وقد اتسمت الأبيات بعفوية اللفظ وسهولته مع الاحتفاظ بالتحليق فيه والإبداع.

وفي قصيدة أخرى يخاطب فيها الوطن ويسطر محبته له، كتب بعنوان (نشيد الفداء) يقول:[٢]

أفديك يا وطني إذا عزَّ الفدا

بأعزِّ ما جادتْ به نعمُ الحياه

كلُّ الوجود وما احتواه الى الفنا

إلا هواك يظلُّ مرفوعاً لواه

يا مهد أجدادي

يا كنز أحفادي

يا ظلَّ أمجادي

** شعر الأمير عبد الله الفيصل اضافة ثرية في وجدان الأمة العربية.

** اعتمد الفيصل على الاطلاع الذاتي الواسع.

** ترجمت أشعاره الى الفرنسية وأعجب بها جمهور الأدباء.

** أشعاره الوطنية تزخر بالنداءات الحماسية المتدفقة، وبالروح العالية الوثابة.

منك الشجاعةُ والكرمْ
فيك المروةُ والشَّممْ
تعلو بعلياك الهممْ
لتظلَّ مرفوع العلمْ

وهذه القصيدة يتدفق الحماس فيها أيضاً، وتفيض جذوة المحبة لكل ذرة في تراب الوطن. فهو يفدي بلاده بأعزّ ما وهبته الحياة، ويعلن للملأ أن حب الوطن لا يدانيه حب مهما كان، وهو وحده العشق الباقي أبداً. فما أعزّ مهد الأجداد وموئل الأحفاد الذي يستمد منه المرء كلّ المعاني الرفيعة في الشجاعة والكرم والشمم. فهنا يرق اللفظ وتتدفق المعاني سحراً لا يعرف الشبيه.

وحلّق الشاعر في فضاءات عالمه العربي خارجاً عن حدود وطنه وسابحاً في سماوات الأرض العربية الكبيرة. فقد كتب بعنوان (صنَّاجة العرب) قصيدة يتغنى فيها بأمجاد العرب ويمدح فيها أمير الشعراء.. أحمد شوقي خالعاً عليه ما خُلع على الأعشى، فيقول:[٣]

أسدْرة المنتهى أم كرْمةُ العنب
قد كان شوقي بها صنَّاجة العرب[٤]
شدا بها الشعر ألحاناً معطرة
لسالف الدَّهر أو مستقبل الحقب
وكان من قبس الإلهام مقتبساً
نوراً يضيء به مُحلْولك الكُرب
أهدى إلى الشرق من مكنون حكمته
جواهر الحكمة الوهَّاجة اللُّهب
إني لأحسبُهُ حيّاً فما برحتْ
أنغامهُ بيننا شوقية النسب
يا مصر يا زينة الدُّنيا وفتنتها
ما كنت إلا ملاذ العلم والأدب
النيل يمرحُ في واديك منعطفاً
على الخصيب ويروي غير مختصب
أمُّ الحضارة والتاريخ من قدم
كم سطَّرتْ مجدها في رائع الكتب

في عين جـالوت أو حطين مـقـبـرة

لكل مـغـتـصب بالإثم مـحـتـقب

من شـاعـر عـربي كلٌّ غـايتـه

أن يظفـر العُـرْبُ بالآمـال والغلب

وكالعادة يبرز هنا بهاء اللفظ ونصاعة المقطع وقوة الكلمة. والقصيدة بها زخمٌ جمالي يغطي مساحات واسعة لا حدود لها وقد أعطى أمير الشعراء ما يستحقه من تمجيد هو أهل له، ولا يفوتنا أن نذكر توارد الخاطر والتشابه الزاهي بين قصيدة الأمير الشاعر وقصيدة شاعر البادية السوداني محمد سعيد العباسي التي يقول فيها:[٥]

يا شـاعـر الضَّاد يا صنَّاجـة العرب

إسلم لدولة أهل الفـضل والأدب

واستـقبل العمـر لا تعدوك جِدَّتُهُ

تُبلي بهـا جـدَّة الأيام والحـقب

فـاصدح بوحيك يا شـوقي وزفَّ لنا

شـعراً يقوم مـقـام الجحفل اللجب

في ذمـة الله والتـاريخ منك يدٌ

طُولى وآمـالُ شـعب فـيك لم تخب

يا فـخر مصر بماضيها وحاضرها

وسـعد مـصر بهذا الشـاعر الأرب

قم ذكِّـر القـوم بالماضين مـا فـعلوا

واذكـر لهم كـيف كـانت دولة العـرب



الأمير فى إحدى الندوات الثقافية بمصر

واذكر أميـة واذكر مجد هاشـمـهـا

والمنعـمـين بني حـمـدان في حلب

من لا يعـابون في حـال إذا قـدروا

ولا تُغـيِّـرُ منهم سَـوْرَةُ الغَـضَب

كـانت بهم دولُ الإسـلام في دَعَـة

ومن عـزائمـهم في مـعـقل أشب[٦]

أيام قد بسطوا ظل الحضارة في الـ

دنيـا وجـاءوا لهـذا الدهر بالعـجب

فقارىء النَّصَّيْن يلمح - بعد ما أخذ بجمال الحرف وروعة التكوين اللفظي والنصاعة التى سامتْ هامة السُّحب في أبيات النصين المضيئة زهواً وبهاء - يلاحظ تشابه المبْدعَين في كتابة هذين النصين الآخذين بمجامع القلوب. فكلا الشاعرين استخدم نفس لفظ «صنَّاجة العرب» والبحر والقافية والمعاني.

شعر الوجدان وخفقة القلب في غزلياته غطت نطاقاً

كبيراً في شعره. كتب الأمير الشاعر العديد من القصائد التى أقلّ ما توصف به أنها بالغة الرقة وصفاء الكلمة التى تصف نبضاً يتدفق عاطفة ويموج بالإحساس. هذه القصائد أيضاً تنطق بالقدرة المذهلة على تجسيد موضع الجمال الذي يسترعى الأعين ويستحوذ على الإدراك والنظر. برع الشاعر في عاطفياته الشعرية فأصبحت كل قصيدة لوحة قلَّ أن تُرى في الكثير من القصيد. كيف لا.. وكلُّ بيت يعانق السُّها ازدهاء وطلاوة وتمكناً. إننا نرى صدق إحساس الشاعر وأصالته في كل بارقة بيت أو مقطع. في شعر العاطفة للشاعر الأمير نلمس نضارة العبارة. إنها تحمل المرء إلى مدارج يضيء فيها عمق النبض وتدفق الشعور.

وفي قصيدته (هل تذكرين) مناجاة رائعة لحبيبة قلبه التي شدَّت خياله وجعلت كلماته تبدع وتصور عاطفة جياشة وشعوراً زخَّاراً بالإحساس. هذه الجميلة قد تيَّمت قوافيه واستلفتت ناصية حرفه وصيرته بحراً من روعة التصوير. تقول الأبيات:[٧]

هل تذكرين ودَاعَيْنا مُصافحة
أودعت فيها كريم الأصل يُمناك
أو تذكرين بوادي وجٍّ وقفتنا
وقد أفاضتْ علينا الطُّهر عيناك
وحين غنتْ على الأغصان شادية
أنشودة الحبِّ في ترديدها الباكي
أنت الحياة لقلب جدُّ مكتئب
وليس يُسعده بالوصل إلاك
ماذا يضيرُك لو حققت أمنيتى
فيسعد القلبُ - من شوق - لرؤياك

في قصيدته (عواطف حائرة) التى صدحت بها أم كلثوم، كوكب الشرق، فزادتها خلوداً على خلودها، برزت هنا قدرة الشاعر التي لا تدانيها قدرة في تصوير خلجات نفسه وعاطفته وإحساسه. وأما اختياره لبحر الوافر فكان موفقاً فيه لأنه وبتفعيلاته القادرة استطاع ان يصور ما أراده الشاعر من إبلاغ لقلوب الناس. ووفق الشاعر أيضاً في اللفظ الذي اختاره لصياغة هذه الأبيات. يقول في القصيدة:[٨]

أكاد أشكُّ في نفسي لأني
أكادُ أشُكُّ فيك وأنت مني
يقول النَّاسُ إنَّك خُنت عهدي
ولم تحفظ هواي ولم تصني
وأنت مُناي أجمعُها مشت بي
إليك؛ خُطى الشَّباب المطمئن
كأنَّ صباي قد ردتْ رُؤاه
على جفني المسهَّد أو كأنّي
وكم طافتْ عليَّ ظلالُ شك
أقضَّتْ مضجعي واستعبدتني

** الأمير عبد الله الفيصل تغنى بأمجاد الأمة الاسلامية والعربية.

على أني أغـالطُ فـيك سـمعي
وتبـصـرُ فـيك غـيـر الشّك عـيني
ومـا أنا بالمصـدق فـيك قـولا
ولكني شـقـيتُ بحُـسن ظني
تُعـذّبُ في لهـيب الشّك رُوحي
وتشـقى بالظنون وبالتـمني

وتجدر الإشارة هنا إلى أن اسم القصيدة عند غنائها قد تغير الى (ثورة الشك) لأن كلمة «الشك» ترددت في أكثر من بيت وكانت هي المعنى الأكبر الذي حملته مقاطع هذه القصيدة.

وفي قصيدته (سمراء) التي شدا بها العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ والتي أطربت القلوب في المدى الممتد من الماء الى الماء، والتي تميزت برشاقة التفعيلة ورهافة البحر وخفة الجرس، ولأنها كذلك فقد سهُل لحنها وموسقتُها والتغني بها. الأمير الشاعر يقول فيها:[٩]

سـمـراء يا حُلمَ الطُّفـوله
يا مُنْيـة النُّفْس العليلةْ
كـيف الوصـول إلى حـمَـا
ك وليس لي في الأمـر حـيله
إن كـان في ذُلّي رضـا
ك فـهـذه رُوحي ذليلةْ
ووسـيلتي قـلْبٌ بـه
مـثـواك إنْ عـزَّتْ وسـيلةْ
فلتـرحـمي خـفـقـانهُ
لك واسـمـعي فـيـه عـويلةْ

وفي قصيدة رقيقة المعنى والمبنى وتعتمد على بيت الشطر الواحد، يتذكر فيها الأمير الشاعر سويعات هانئة قضاها ومن يحب على ضفة النيل الخالد. تلك الهنيهات قد نقشت وجودها في كل ذرة من قلبه، فخلدها بأجمل وأحلى المقاطع. يقول فيها:[١٠]

يا حـبـيـبي أين أيام خـوال
يوم كنا بين سُـمَّـار اللَّيـالي
ننهلُ الحبَّ ونفني في الجـمـال
وعلى النِّيل مـواعـيـدُ الوصـال
لم يدمْ لي غيرُ ذكرى في خيالي

وتجدر الإشارة هنا الى أن هذه الرائعة قد أداها

بغناء يفرح القلب الفنان السوداني الكبير العاقب محمد حسن. وقد أضافت هذه المنظومة مجداً في سجل قصائد الأمير الشاعر الملحنة.

وفي قصيدة أخرى بعنوان (في روضة الهوى) نجد شاعرنا الأمير محافظاً على تحليقه الشائق وجزالة لفظه ونصاعة الكلمة المصورة لخلجات قلبه ورفيف وجدانه تجاه من أحب ليخلده بشعر رائع جميل، والذي يسترعي الانتباه اختياره السليم والموفق للبحر الشعري الذي يبرز ما أراد الشاعر أن يسطره بقصيده. تقول الأبيات:[١١]

ما كنتُ أومنُ بالعيون وفعْلها

حتّى دهتني في الهوى عيناك

الحسنُ قد ولاك حقاً عرشَهُ

فتحكمي في قلب من يهواك

قلبي كما تبغين إلفُ صبابة

قد ملّ كلّ خريدة إلاك

بالله يا أملي الحبيب ترفّقي

إنّي وربِّك في الهوى مُضْناك

فرنتْ إليّ وقد تألق لحظُها

أفديه من لحظ رنا فتّاك

ونضتْ عن الوجه الوسيم وتمتمتْ

يا رُوحهُ الظمأى عليّ رواك

وتعانق الرُّوحان في روض الهوى

فثملتُ حتّى غبتُ عن إدراكي

القارىء لهذه القصيدة يدرك قدرة الشاعر من الوهلة الأولى على كتابة أحلى الشعر الوجداني الذي يأخذ بمجامع الدواخل ويستبي القارىء أو المستمع من الوريد الى الوريد. والقصيدة حافلة بالاستعارات الموحية بالجمال والبلاغة في كل مرفأ حرف وناصية كلمة.

الأحزان التي عاشها الأمير الشاعر كانت ملء القلب ومسرى الدماء فيه. يوجد العزيز الذي كان يضيء في وجدانه محبة لا حدود لها. وتوجد اللحظات الفياضة بالألم والمضاضة التي مرت به في حياته. الشاعر لم يكتب أحزانه كلها شعراً ربما لأنه آثر أن لا يترك مرارتها تتعدى حدود نطاقه وتسكب الحنظل في حنايا قراء شعره.

مراثيه التي كتبها نضّاحة بالشجا والشجن ولعل أبرزها ما كتبه لوالده الملك فيصل ـ طيب الله ثراه. ولأن الملك فيصل كان إنساناً أحاطه المجد والإقدام

**** برع في عاطفياته الشعرية حتى غدت لوحات من الابداع خالدات.**

والشجاعة من كل ناصية في شخصيته. ولأنه كان رمزاً خالداً في ضمير أمته التى لن تنساه ذرة رمل واحدة من ترابها.. جاءت القصيدة لهذه الأسباب قمة في الشموخ الإبداعي. يقول فيها:[١٢]

أيُّ ذكـرى تعـودُ لي بعـد عـام
لم تزلْ فـيه نازفـات جـراحي
أيُّ خطب مُـروِّع كنتُ أخـشا
هُ فـأبلى عـزمي وفلَّ سـلاحي
أيُّ يوم ودَّعْتُ فـيه حـبـيـبي
ثم أسلمْتُ مـهـجـتي للنُّواح
إنه يومُ مـيـتـتي قـبل مـوتي
واختـلاجُ الضيـاء في مـصباحي
إنه يومُ فـيـصل خـرَّ فـيـه الـ
طودُ لله سـاجـداً، غـيـر صـاح
«فـيصلي» يا مُـهنَّداً مـا أحبَّ الـ
غـمـدَ يومـاً، ولا ارتوى من طمـاح
كـيف أرثيك يا أبي بـالقـوافي
وقـوافيَّ قـاصـراتُ الجناح
كـيف أبكيك والخلودُ التـقى فـيـ
ك شـهـيـداً مُـجـسَّـمـاً للفـلاح
غـيـرُ ربيَّ أرجـوه مـدِّي بالصَّبـ
ر ولقـيـاك في الجنان الفـسـاح

وبعد، ففي هذه الرحلة القصيرة المبهجة والنضرة في شعر الأمير عبد الله الفيصل ـ أطال الله عمره ـ لقينا كيف يزهو الشعر ويحلِّق ويصير درة في الدواخل. إن مثل هذا الشعر قمين بأن يُنَضَّد عقداً زاهياً يتقلده المرء ليزين عنقه. إنه الشعر الذي تهفو القلوب للاحتفاظ به في شرايينها. إنه مصدر للمسرة والبهجة والفرح خاصة وكلُّ لحظاتنا أضحت بحراً من شقاء النفس والحرمان. وهكذا تبوأ الأمير الشاعر مكانته الشامخة والسامقة في دنيا شعرنا العربي وفي تراثه الخالد علماً تتطلع إليه النواظر والمآقي.

الهوامش :

(١) عبد الله الفيصل: وحي الحرمان، جدة، دار الأصفهاني للطباعة، ١٤١١هـ ـ ١٩٨١م، ص ٤٨، ٤٩.

(٢) عبد الله الفيصل: حديث قلب، جدة، دار الأصفهاني للطباعة، ١٣٩٣هـ، ص ٢٩.

(٣) المصدر السابق، ص ١٩ ـ ٢٣.

(٤) صنَّاجة العرب لقب يقال للأعشى بن قيس لجودة شعره، وخلعه الشاعر هنا على أمير الشعراء، وهو أهل له.

(٥) محمد سعيد العباسي: ديوان العباسي، الخرطوم، دار البلد، ١٩٩٩م، ص ١٦٠ ـ ١٦٢.

(٦) المعقل الأشب: القوي المتين.

(٧) عبد الله الفيصل: وحي الحرمان، ص ٢١ ـ ٢٢.

(٨) المصدر السابق، ص ٥٤ ـ ٥٧.

(٩) المصدر السابق، ص ٥٨ ـ ٥٩.

(١٠) المصدر السابق، ص ١٠.

(١١) المصدر السابق، ص ٧٦ ـ ٧٧.

(١٢) عبد الله الفيصل، حديث قلب، ص ١٠ ـ ١٢.

الأمير الشاعر عبد الله الفيصل
«وديوان .. وحي الحرمان»

«وحي الحرمان» ديوان شعري للشاعر عبد الله الفيصل والديوان شعر وجداني وهو تعبير مباشر عن مشاعر الإنسان من حب وكره وحنين، وعذاب، وسعادة يمتاز بالانفعال العاطفي وتوهج الذات وقد يكون موضوعاً داخلياً صرفاً أو خارجياً، غير أن الشعر يعبر عنه من خلال إحساسه به، فتصوير الطبيعة ليس تصويراً مجرداً موضوعياً يعنى الشاعر به بأبعاد موضوعه المعقولة المحسوسة مادياً، بل يرسمه بعد انفعال به ومن الأفق الذي يتبدى له إثارة وحساسية.

والشاعر الأمير عبد الله الفيصل **يذكرنا بالشعراء المهجرين حيث الشعر الوجداني الغنائي، وهو تعبير صادق صاف عن خلجات النفس، وعن العواطف والانفعالات الذاتية الخاصة**، وفي تراثنا العربي نغمات وجدانية ثرة، وكثيراً ما يسبغ الشاعر الوجداني على موضوعه شيئاً من ذاته، وهو يعمد الى التشخيص فيجعل الطبيعة تشاركه أتراحه وأفراحه حتى يندمج بها أو تندمج به في كل موحَّد .. يقول الأستاذ صلاح لبكي من خلال مقدمته لديوان الشاعر عبد الله الفيصل: (ويا ما أفجع هذا الحرمان الذي يحول المرء وحقيقة ما يكنه له كإنسان ! يا ما أوجعه!! يأبى إلا أن يظل صاحبه رهين غربتك، غربة نفسه في الأرض أو غربة مؤاخاة لمن لا يعرف مدى الصدق في مؤاخاتهم له!! لكم يجب أن يكون هذا المحروم محروماً.

وفي غزل الشاعر الأمير عبد الله الفيصل سمو روحي يرقى بالحب الى آفاق سامية ويترفع عن كل مادي محسوس، وفي قصيدته (هل تذكرين) تشاركه الطبيعة في حبه وهيامه والشاعر يرى في الطبيعة ذاتها مرآة لأحاسيسه ومشاعره، ويؤكد على نقاء هذا الحب وأسمى ما فيه وهو العفاف:

هل تنكرين وداعينا مصافحة
أودعت فيها كريم الأصل يُمناك
أو تنكرين بوادي وجٍّ وقفتنا
وقد أفاضت علينا الطُّهْرَ عيناك
وحين غنت على الأغصان شادية
أنشودة الحب في ترديدها الباكي
أنت الحياة لقلب جدَّ مكتئب
وليس يسعده بالوصل إلاك
فان نسيت ودادا كان يجمعنا
على العفاف فقلبي ليس ينساك

وأبي الشاعر أن يكون الحب عبودية وبهذه النظرة

عرض وتحليل : **جاك صبري شماس**
عضو اتحاد الكتاب العرب - سوريا

عمق إنساني ينساب في شغاف قلبه رغم ما وجده من صدود وان كان يفصح عن مراده غير أنها لا تبادله الشعور بشعور ورغم هذا الصد كانت قريحته تتوقد فتتحول العاطفة إلى حمم من البراكين في قصيدته (أراك):

أراك فـــمــا لعـــينك لاتراني
وأنت وصـــوتي فـــرســا رهان
وها أنا في هواك أضـعت عـمـري
مـــقـــاربة على أمل التـــداني
دعوت الشـعـر فيك فما عصاني
ولان قـــيـــادته بعـــد الحـــران

ويرسم الشاعر لوحة شعرية لكن الألوان في هذه اللوحة تبعث في النفس الشجي واللوعة والحزن والقلق، انه الإعـراض ومـا يخلفـه من هواجس وعـواطف متصارعة داخل النفس، غير أن الشاعر على ما يبدو كان مستسلما لخياله الرومانسي فلم يفلح بالسيطرة على قلب الحبيبة فتظهر مثاليته وتزيد عما هو مألوف في الواقعية وذلك في قصيدته (حيرة):

إن تكن بالوهم تحـيـا بعـدما
جـــد منه البين فـــالوهم ذليل
مـــا ترانا ســـفـــحن أدمـــعنا
وكـــذاك الدمع بالوجـــد رســـول
نحن صـــرعى لفـــتـــات ورؤى
وأمـــان مـــا إليـــهن ســـبـــيل

ومما لا شك فـيـه أن المرأة تبقى دائما ملهـمـة للشعراء ومفجرة للخيال وموقدة للمشاعر، أما عن قصيدته (ثورة خيال) تتأجج المشاعر فتنساب أبياته العذبة كالينابيع الثرة وعلى عادة الشعراء العشاق العرب لم يستطع أن يصرح تصريحاً مباشراً عما يكنه داخل أعماقه وذلك امتداد لطقوس عربية منذ القدم فالسر يكاد يمزق أوصال الشاعر ولكنه في حيرة من أمره وكان لابد له من الصبر شاء أم أبى ذلك فالحب سلطان السلاطين:

هل أداري الألم العاصف في قلبي بصبري؟
أم أبوح اليـوم بالسـر وهل يجـهل سـري؟
لست أدري هل أبوح الآن ويحي لست أدري؟

وفي قصيدته (نجوى) استرجاع للذكريات التي مرت بحياته حين كان في زيارة (لمصر) وكان لابد أن

** عبد الله الفيصل: شاعر غنائي وجداني أبدع في ميدانه.

** ترقى بالحب الى آفاق سامية بعيدة عن الحسّية والمادية.

يتواجد النيل في شعره وبذلك تتداعى الأحلام الجميلة وقد أراد الشاعر أن يملأ الكون بهجة وسروراً وفرحاً، فلم يبق من الحب سوى شريط الذكريات، وهذا الشريط الذي يرسمه الذهن يبقى عزاء لشاعرنا. فلم يعد هناك شيء سوى الحلم الجميل:

وعلى النيل مواعيد الوصال

لم يدم لي غير ذكرى في خيالي

يا حبيبي هذه الدنيا لنا

فاملأ الدنيا بهاء وسنا

إنما سلواي ذكرى حبنا

أين يا ليلاي مني عشنا؟

ويحلق الشاعر في فضاء الإبداع ويفصح عن تجاربه الحياتية في (عواطف حائرة) فالحيرة توجع رأس صاحبها وقد انسابت المعاني انسيابا جميلا رائعا وفق شاعرية غنائية ترق فيها الألفاظ وتتوقد فيها الأحاسيس:

أكاد أشك في نفسي لأني

أكاد أشك فيك وأنت مني

فالشاعر يريد أن يمزق حبال الشك وما أقسى الشك حين لا تحسم المعاناة ولا تظهر الكوامن كما يجب فهو قلق وأسير لهذه الظلال القاتمة:

يكذب فيك كل الناس قلبي

وتسمع فيك كل الناس أذني

وكم طافت عليّ ظلال شك

أقضت مضجعي واستعبدتني

وجريا على عادة الفرسان الذين لم يهابوا سطوة الموت ولم يكترثوا بما تؤول إليه الأمور حيث الحمية والشكيمة والاعتداد بالنفس غير أنهم عندما يقتحمون رحاب المرأة يرفعون الراية البيضاء حيث تصرعهم العيون النجلاء والجمال الساحر، وكم كان بودي ألا يهزم عبد الله الشاعر في هذه المعمعة الغزلية وذلك في قصيدته (سمراء):

سمراء يا حلم الطفولة

يا منية النفس العليلة

** إبداع الفيصل يسبح في فضاءات واسعة.

** الفيصل يمتلك ناصية الكلمة ومفاتيح الابداع.

** شعر الفيصل يتعاطاه الخاصة بحميمية.. ويجده العامي قريباً الى نفسه.

** أجاد في اختيار الوزن المتسق مع الموضوع.

كــــيف الوصــــول الى حــــمــــا
ك وليس لي في الأمــــر حــــيلة
ان كــــــان في ذلي رضــــــا
ك فـــــهــــــذه روحي ذليلة

رغم أن الشاعر قد مني بالهزيمة من قبل المحبوبة التى لم تصن العهد فكانت ناكرة خادعة ورغم ما وهبها من شبابه وحيويته ووجده، إلا أنه كشف قناع الغدر وأما هذه الحالة التي لا تسر أراد الشاعر أن يتظاهر بالازدراء منها ربما ليخفف من وقع المصاب عليه وربما يكون الكبرياء بعينه كما هو وارد في قصيدته (أمل يخيب):

لا حبٌ والغــدر الخــؤون يحــوطه
وليّ الغــرام مع الحــبيب الغـادر
هـي وردة ظمــأى وقـــد رويتـــهـــا
إذ قلّ عنهــا الغــيث مــاء نواظري
كم ذا بذلت صــداقــة ومــحــبــة
وجنيت مــا يجني فــقــيـد بصـائر
فــاربأ بنفــسك أن تكون مــعــنبا
وانظر الى الماضي بعين الســاخــر

ما أنبلك أيها الشاعر الأمير وأنت لا تطلب من الحبيبة سوى الوفاء فالشاعر يرفض أن تذرف الحبيبة الدموع ويرفض صراخها ونحيبها وفي موقفه هذا يتجلى الكبرياء والشمم والسمو يقول في قصيدته (أطيلي الوقوف):

هـو الداء يبـــــعث في أضلعي
إذا مــــا نعــيت فـــلا تفـــزعي
ولا تبـعـثي صـرخـة في الفـضـاء
ولا تـرسلي مـــــدمـع الـوجـع
ولكن عليك بحــــفظ الوداد
وصــوني عـهـود الفـتى الألمعي

ولم ينصرف الشاعر الى الهوى ويدع الوطن فقد كان الوطن ومازال أثمن وأغلى وأسمى شيء في حياته فهو يفتخر في وطنه ويشيد بشباب المملكة الذي تسلح بالعلم وبكرامة تراب الوطن كما يهب روحه فداء للسواعد الفتية وذلك في قوله من خلال قصيدته (الى شباب بلادي):

مــرحى فــقــد وضح الصــواب
وهـفــا الى المجــد الشــبـــاب
قــد فــارق الجـهل العــقــيم
وهـش لـلـعـلـم اللـبـــــاب
قــد راح يســتــهــدى العــلا
ويصـــارع الموج العـــبـــاب
ذاكم لعـــــمـــري عُـــدَّة الو
طـن الـكريم المســـتـطـاب
كــرّمــتــمــوني دائمــاً
فلكم حــيــاتي يا شــبــاب

وهكذا تفيأنا في دوحة الشعر العربي السعودي، أمد الله في عمر الشاعر عبد الله الفيصل، وهو أحد عمالقة الشعر العربي وقد بلغت قصائد الديوان تسعاً وثلاثين قصيدة وضم بين دفتيه مائة وتسعة وأربعين صفحة، وقد رصد ريع الديوان لمؤسسة الملك فيصل الخيرية.

من رواد الأدب السعودي
الشاعر الأمير/ عبد الله الفيصل

لو أننا طرحنا سؤالا فقلنا: ما السبب الذى جعل شعر عبد الله الفيصل يحلو العيش في ظله، وتطيب الحياة الى جواره، وينعم القلب بالإصغاء إليه، وتحلق النفس حين تستمع إليه في أجوائه السامقة، وسماواته الرفيعة السامية؟

لو أننا طرحنا هذا ا لسـؤال لكان الجـواب على الفور - ولا إخال أحدا يعارضني فيه - لأنه من شاعر وجد نفسـه، ووعى ذاته، وفـهم رسـالتـه، واعتـز بعـقله وفكره ووجدانه، فجمع بين الصدقين: النفسي والفني، ثم كـان فطنا إلي ميـزان ضـبط العـاطفـة في الشـعـر بحيث لا تغلو فتسف، ولا تقل فتجف، فلم يأت مـاتى لا سبيل له في العقل، ولا نصير له من الوجدان والقلب، ولا مسا غ له في الذوق، ولا حقيقة له في الواقع، وإنما كان على حد قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وإن أشـعـر بيت أنت قـائله
بيت يقـال إذا أنشـدته صـدقـا
وإنما الشـعـر لب المرء يعـرضـه
على المجالس، إن كيسا وإن حمقا[١]

وقـوة التلازم بين الصدق النفسى والصدق الفني في الشعر عامة، وفي شعر عبد الله الفيصل خاصة هو الذى جـعله ويجعله دائما كزهرة انبثقت في غصنها الأخضر عطرة نضرة، فهى تلذ عين ناظرها بحسنها، وجـمال تكوينها وتنسـيقـهـا، وتملأ نفس مـستنشـقـهـا بعطرها وطيب فوحها، ولا تضن على مستزيد بعطاء، ولا تحرم مستقصرا أو قاصرا من فيض بهاء، وما ذاك إلا لأنها استمدت كل مقومات حياتها، وعصارة بقائها من الأصول الضاربة بجذورها في أعماق أعماق قلب الشاعر الكبير فاسترسلت في جمال مستفيض وجادت بعطاء لا ينتهى.

وكما لا يمكن تصور الشجرة خضراء زاهية بدون تربة تمدها بعناصر غذائها، وعوامل بقائها كذلك لا يمكن تصور الصدق الفنى بدون الصدق النفسى.

وكما لا يمكن تصور البقاء لزهرة - مهما حسنت وجملت - منفصلة عن غصنها، كذلك لا يمكن تصور البقاء لعمل فنى مجتث من أصوله، ومنقطع عن جذوره، فمصيره - وإن حلا وزها حينا - إلى انتهاء، فهو يدخل التاريخ الأدبى أو سجل التاريخ الأدبى على أنه رمز من رموز مراحله الميتة، وحلقة من حلقاته الفارغة، لا من حيث كونه ذا قيمة فنية وأدبية ممتازة ومثله إن

بقلم : **د. محمود محمد لبدة**
- مصر -



الأمير مع والده الملك فيصل - رحمه الله -

أردنا تشبيهه كزهرة من عمل الإبرة والخيط، فهى ميتة لا حياة فيها، مهما راق منظرها، ورق مظهرها.

وقد عبر الأمير الشاعر أو **أمير الشعر الوجدانى دون منازع** عن ذلك في مقدمة ديوانه «وحى الحرمان» الرائع فقال: «في هذه المجموعة صورة من شعورى وإحساساتى المختلفة كما هى، لم يجملها التزويق، ولم تلونها الأصباغ، لأننى أريد أن يكون شعرى «صورة طبق الأصل» لحياتى وصدى حقيقيا لشعورى وعواطفى وآمالى وخيالاتى وانفعالاتى النفسية، وذلك هو الشعر»[٢].

وهذا بيان يحتاج الى عمل كلام طويل فهو يعنى **أنه لا يقول الشعر، وإنما يصوغ نفسه ويصورها في كلام هو الشعر**، فلا يرى الناظر في كل قصيدة من شعره إلا قطعة من الحس ونبضه من الوجدان تمثلت في أسمى صورة من صور البيان، ولا يرى في البيان لغة ملحنة، وإنما يراه ألحانا وأنغاما لغوية تشع من كل جهة، وتتمدد في كل نفس، وتمتد في كل زمن ولعل هذا هو السر في إمتاعه الخواص والعوام من غير أن يشعر الخواص بأى ابتذال أو سقوط أو هبوط في الإمتاع الفنى والعاطفى، إن لم يشعروا بأنه في الطبقة العليا من البيان، لأنه يجعل السهل نسق الصعب، والممتنع صوغ المكن.

ومن غير أن يشعر العوام بأنه أعلى من فهمهم وإدراكهم، لأنه يرتفع بهم ولا ينزل إليهم، ويرقق ذوقهم ولا يتدنى إلى مستواهم، ويسمق بهم ويسمو الى علياء سماواته ولا ينحط الى غشاوة بصيرتهم، وغرارة جهلهم.

وهل أحد يسمع قوله:[٣]

يا حبيبى أين أيام الصفاء؟
يوم كنا كل صبح ومساء
في تلاق، وعناق ، وهناء
إن رأيت البدر في كبد السماء
أو رأيت الطير يشدو بالغناء

* * *

يا حبيبى أين أيام خوال؟
يوم كنا بين سمار الليالى
ننهل الحب ونفنى في الجمال
وعلى النيل مواعيد الوصال
لم يدم لي غير ذكرى في خيالى

يا حـبـيـبى هذه الدنيـا لنا
فـامـلأ الكون بهـاء وسنا
إنما سلواي ذكـرى حـبنا
أين ياليـلاي منى عـشُّنا؟
لم يدم في العش إلا طيـفنا

وهل من أحد أيضا يسمع رسالته الى الحبيب الأول والأخير بعنوان «كنا وكان»[٤] فيقول:

يا حـبـيـبى أين تلك الأمـسـيات
يوم كنا من هوانا في سـبـات
يا حـبـيـبى كـيف ذاك الحب مات
عندمـا دبت به روح الحـيـاة

* * *

يا حـبـيـبى ذكريات الأمس تهـفـو
أبدا أصـحـو عليـهن وأغـفـو
كلمـا ودعت طيـفـا لاح طيف
أترى قلبك بعـد الهـجـر يصـفـو

* * *

يا حـبـيـبى إن يكن طال جـفـانا
وذوى في زهرة العـمـر صـبـانا
فلنعش يا حب في ذكـرى هوانا
ولنقل عن حـبنا كنا وكـانا

* * *

ليتنا يا حب نحيـا فـيـه سـاعـة
نوقظ الزورق أو نزجى شـراعـه
ونناجى ضـفـتـيـه في ضـراعـه
تسـعـد القلب ولا تشـقى التـيـاعـه

* * *

يا حـبـيـبى لوعـة الحب سـعـاده
تُزْهد القلب فـيـسـمـو بالزهادة
ويرى حـرمـانه في الحب زاده
حين لا يبلغ في الحب مـراده

أقول: هل من أحد يسمع أو يقرأ شدوه بهذا الشعر، الجامع بين الأنغام المختلفة المؤتلفة المتلئة بصواب المعنى، وبلاغة الأداء، وقوة التأثير، الآتية من إحساسه النافذ إلى تشكيلات اللغة الشاعرة، وكأنه قد وضع يده عليها، فهى تنبض بنبضه، وتحس بإحساسه وترفده بما شاء أنى شاء، ثم هو لا يقول ما قلناه آنفا:

إن عبد الله الفيصل لا يقول الشعر وإنما يصوغ نفسه، ويصور إحساسه في بيان ناطق هو الشعر، على نحو أخاذ جذاب ساحر، يلمس أوتار القلوب، ويهز أعماق النفوس؟!!

وهل من أحد يستطيع أن يفصل بين القصيدتين السابقتين، إذا وضعتا تحت عنوان واحد؟!! إن البناء الموسيقى الذى اختاره الشاعر في هاتين القصيدتين، ليصب فيه خواطره ومشاعره والذى تمثل في شكل خماسيات في القصيدة الأولى، ورباعيات في القصيدة الثانية، لكل خماسية أو رباعية قافية مستقلة تستقبل

**** عبد الله الفيصل: لا يقول الشعر، إنما يصوغ نفسه في كلام هو الشعر.**

دفقة شعورية قوية وتتابع هذه الخماسيات والرباعيات ذوات القوافى المتعددة، تتابع موجاته النفسية المتجددة، وروحه المعذبة المترددة، المتألمة، المتأملة، الآملة، يتبدد فيه كل شيء، ويضيع منه كل معنى إذا قيمناه، وجعلنا غاية المسعى، ونهاية المطاف منه أنه امتداد للأوزان المولدة، والقوافى المنوعة التى ظهرت على يد رواد التجديد في الأدب العربى أمثال بشار بن برد، وأبى العتاهية ومن جاء بعدهم وحذا حذوهم، وكان لهم في المزدوج والمشطر والمربع والمخمس والمسمط دور دفعهم الى ارتياده، وساقهم نحوه طبيعة العصر الذى عاشوا أحداثه وتطلعاته وطموحاته.

ويتبدد فيه كل شيء، ويضيع منه كل معنى إذا قلنا: إن شاعرنا قد تقرّى رصيد التجديد في الأدب العربي، ثم صنع على مثاله، ونسج على منواله، لأن (تكرار الشعراء القدامى لا يعطى قيمة حقيقية، ومجدا أصيلا، ومجرد العودة الى عصر خلا، أولى بأن تحسب رجعة إلى حيث وقف الشوط بسلف مضوا)[٥].

ولأن هذا التقييم يصدق في حالة واحدة هى: إذا كان الشعر موضوع الحكم والتقييم قد خلا من نبض الحياة، وحس الحركة، وجمال التركيب، وجلال الفن، ودقائق التحليل. ولأن قانون التطور سنة الحياة ونظامها، والأدب الحى لا يحسب حسابه، ولا يكون مسألة مطروحة للنظر والبحث إلا إذا كان جامعا بين الأصالة والمعاصرة، الأصالة لأنها المنطلق إلى كل جديد مبتكر، والمعاصرة لأنها الانعكاس الصادق لحركة الحياة، والحياة في تطور دائم، والجديد آخر مظاهرها، ولن تتبدد الحركة أو تُعَوَّقُ عن السير قدما، ولن يوأد الجديد في مهده إلا إذا وُلدَ ضعيفا، ومظاهر الضعف كثيرة منها: عدم قدرته على تلبية حاجات العقل والنفس والعاطفة في أبعد مداها، لأنه طفح وجدان مغلق، وحس أصم، وطبع مستوخم بارد.

ومنها: عدم القدرة وفقدان التوازن أمام الثقافة القومية الأصيلة، والثقافات الأخرى الوافدة، فيظهر ضعيفا متهالكا بين هاتين الثقافتين، فلا هو متصل بميراثه وأدبه القومى اتصالا وثيقا يمكنه من الانطلاق والتجاوب مع روح العصر، ولا هو بالغ قصده مهما تزود بالثقافات الأجنبية التى شكلت تكوينه النفسي، وكونت تركيبه الفكرى، ومن ثم يعيش بوهم المكابرة غريبا وإن بدا قريبا، وأجنبيا وإن بدا عربيا.

ومنها مصادرة الشاعر لإلهامات خياله، وسبحات فكره ووجدانه، ووقوفه متبتلا في محراب القديم، ونسيانه تماما أن الشعر خطفة من خطفات الوجدان، بلغة تخاطب النفس، وتصل الى أعماقها، من طريق تضاعف الإحساس بالمعنى، وتفيض بالدلالات المكثفة من غير مشقة أو كلفة.

ومهما يكن من شيء فإن القوالب الشكلية التى

صب فيها شاعرنا خواطره (عمل ممتد مع الزمن يأتي فيه كل عصر بما هو أهله من الإبداع أو الزيادة أو المحاكاة.. وهي صالحة لأداء المقاصد الشعرية، ومجاراة الأمم في تطورها الذى يمتد مع الزمن، على حسب حالاتها من الشعور والفهم والقدرة على الأداء.. فقد كانت بضعة بحور من أوزان الشعر كافية لأغراض الشعراء في الجاهلية: أشهرها الطويل والكامل والخفيف، ثم نشأت من أوزانها مجزوءات ومختصرات صالحة للغناء حين استحدثت الحاجة اليه في الحواضر العربية التى عرفت الغناء على إيقاع الآلات، ثم اتخذت من هذه البحور أسماطاً وموشحات وأهازيج تتعدد قوافيها مع اختلاف مواقعها، وتطول فيها الأشطر أو تقصر مع التزام قواعد الترديد فيها، واختار بعض الشعراء نظم المثانى أو المزدوجات، وبعضهم نظم المقطوعات التى تجتمع في قصيد واحد متعدد القوافي، أو تتفرق وتتعدد بأوزانها مع توحيد الموضوع)[٦].

أما فيما يتعلق بالأسلوب المتميز، والأداء البارع، والألحان البيانية الجامعة بين لطف التعبير، ودقة التصوير في شعر «عبد الله الفيصل» فليس من شك في أنه أعني **الشاعر كان حاضر النفس والقلب في كل كلمة قالها**، ونفس ردده، ومعنى أحسه، وذلك أهم عنصر يجب البحث عنه عند وضع أى شعر في الميزان، وتفهم الجليل الرائع فيه، وهو في الوقت ذاته الذى يجعل للشعر موضوع البحث والدرس مذاقا تدركه المعرفة ولا تحيط به الصفة.

**** الفيصل جمع بين الصدقين النفسي والفني.**

وكان ملتزما يؤدى رسالته، ويقول كلمته، وهو حر طليق غير مقيد ولا مكبل، وهو شريف وعفيف وهو واضح وجلى غير غامض ولا خفى، وليس في ديوانه كله، ولا في شعره كله بيت واحد يدل على أنه خان مسئولية الكلمة، أو فرط في حق الأمة، أو خلط بين الحرية والإباحية، أو مزج الجد بالهزل.

لم يكن أسلوبه الصافي إلا صورة لنفسه النقية الصافية، ولم تكن طهارة حبه إلا صورة لطهر شخصيته الممتازة، ونقاء قلبه الكبير، ولم تكن غزارة أسلوبه إلا صورة لفيض طبعه وتدفقه.

اشتهر بين الناس وفي الأوساط الأدبية والثقافية والعلمية بأنه شاعر الفؤاد المحروم، والوجدان المكلوم لكثرة ما قال وحدَّث عن الذكريات والآلام والآهات ونسوا أنه شاعر واقعى النظرة والكلمة، إنسانى الاتجاه، يعبر عن إحساسه، ويدافع الظروف والقوى المحدقة به من كل جانب، ويسعى إلى تغيْير الأوضاع التى تسلب الحياة معناها الطيب الجميل، وتجعلها والعدم سواء، ولنستمع إليه في قصيدته (منطق الحق)[٧] التى تعد نبعا صافيا لأدب واقعى سليم، حيث يقول:

بشر نحن عائشون مع النُّو
ر ... ولكننا بلا مصباح
لا إخاء يزهو فنلثم خدَّيـ
ـه، ولا قلبُ مُشْفق مسماح
لا ربيع يخضوضل الحب فيه
بل عداء تدمى به كل راح

أين من غيِّنا غياهب جهْل
كنَّ بالأمس مثل هوج الرياح
أين من عصرنا السلامة والأمـ
ـنُ ... وقد بات مصدر الأتراح
كلنا فيه نشتكي غيبة الصَّفـ
ـو .. ونهفو لعذب عيش قراح
كلنا مدلج بليل بهيم
لكأنا نسير سير الأضاحي
ليت هذا الوجود يمسي ويغدو
واحة للصفاء والأفراح
منطق الحق شرعة الكل فيه
لا احتكام فيه لغير السماح
وحي أحكامه العدالة والرفـ
ـقُ، وأمنُ الإمساء والإصباح
ليت هذا الوجود ينعم بالعقـ
ـل .. وبالمكرمات خضر المناحي
لا أنين المظلوم فيه شجي
بين خوف وذلة ونواح
أو دموع الضعيف تسكب هونا
تحت أقدام جائر سفاح
ليس للبيض فيه فضل على السُّو
د بغير الحجى وغير الصلاح
لا امتياز في العرق في الحجم في اللَّوْ
ن إذا كُنَّ في نفوس صحاح
كلنا آدم أبونا وحوَّا
أمنا.. والدُّنا مجرد ساح

فقد جمع شاعرنا المعطاء في هذه القصيدة بين الالتزام في أسمى معانيه، وأحفل ألوان عطائه، الالتزام الذى يرسم صورة واضحة للعصر الذى نعيشه، وما فيه من دين متروك وشرف مبتذل، وكرامة مهانة، وقيم ضائعة، وانحلال مستشر، وبين الوجدان الذى يعذبه ويؤلمه كل ما يجرى على مسرح الحياة من صنوف المفاسد والمظالم.

ثم يتمنى ـ وما أصعب تحقيق أمنيته ـ أن ينتسب الناس عامة الى المعنى الحقيقى لكلمة الإنسانية، وينتسب المسلمون خاصة نسبا صحيحا إلى دينهم وتعاليمه وصدق الله العظيم حين يقول: {إن الله لا يُغَير ما بقوم حتى يُغَيِّروا ما بأنفسهم} (الرعد/١١).

ونلاحظ أن أسلوب الشاعر في كلا حاليه الوجدانى الذاتي، والواقعى الإنسانى على حد سواء، فلم يدع ـ من حيث المعنى ـ فضلة من التغريد، ولم يترك فرصة أو سببا لمستزيد، إلا من أوتى طبيعة تكافئه أو تزيد عليه، فذلك فضل

** فطن الى ميزان ضبط العاطفة في الشعر بحيث لا تغلو فتسف ولا تقل فتجف.

**** الفيصل كان حاضر النفس والقلب في كل كلمة قالها.**

**** نقاء أسلوبه صورة من نقاء نفسه.**

الله يؤتيه من يشاء، وتلك سنته أن يخلق ما هو الأقوى والأكمل دائما، لتبقى القوة المطلقة، والكمال المطلق في النهاية له وحده - جل شأنه - .

وليس من الضروري في كل معنى يأتي به الشاعر المبدع أن يكون بكرا لم يُفَض، لأن المعاني تعاد وتتكرر، ولولا أنها تعاد وتتكرر لنفدت كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه. ولأن العبرة والمعول على البناء الفني للمعنى، وما يُبْذل فيه من عناء ومكابدة، للحفاظ على القيم والضوابط الفنية والجمالية. ولأن تكرار المعنى لا يفقده سحره وجماله، وقد يتكرر المعنى مئات المرات، فلا يزيده التكرار إلا سحرا على سحره، وجمالا على جماله.

وعلى سبيل المثال، فقد قرأت قصيدة الشاعر عبد الله الفيصل «في روضة الهوى»والتي مطلعها:

قد ساءلت من أنت؟ قلت: أنا الذي
قضَّيتُ عمري - مدنفا - أهواك

وأطعتُ عيني - في الغرام وخافقي
أقضي الليالي السود في نجواك

وآخرها قوله:

وتعانق الروحان في روض الهوى
فثملتُ حتى غبتُ عن إدراكي

فذكرني هذا البيت الأخير في القصيدة بمعنى تداوله الشعراء، فوقع بعضهم دون القصد، وأربى بعضهم على الغاية، وشارف بعضهم على النهاية وهكذا، وهذا المعنى هو معنى لقاء الحبيبين، وتعانق روحيهما حتى يغيب أحدهما في الآخر.

يقول ابن الرومي:

كأن فؤادي ليس يشفي غليله
سوى أن يرى الروحين تمتزجان[8]

وفي العصر الحديث تناول الشعراء هذا المعنى نفسه، تناوله شاعر الظرف والرقة إسماعيل باشا صبري فقال:[9]

ولما التقينا قرب الشوق جهده
خليلين ذابا لوعة وعتابا

كأن حبيبا في خلال حبيبه
تسرب أثناء العناق وغابا

وتناوله طيب الذكر مصطفى صادق الرافعي فقال:[10]

ولما التقينا ضمنا الحب ضمة
بها كل ما في مهجتينا من الحب

وشد الهوى صدرا لصدر كأنما
يريد الهوى إنفاذ قلب الى قلب

وآخر ما وقع عليه نظرى ممن تناولوا هذا المعنى هو قول أمير الشعر الوجدانى دون منازع، الشاعر الأمير عبد الله الفيصل، وقد ختم به قصيدته «فى روضة الهوى» وجاء به في بيت واحد، ولكن في رؤيا إبداعية على وضع أتم وأوفى، وحالة أبين وأبصر، ونقل فنى شعرى أوثق وأمكن فقال:

وتعانق الروحان في روض الهوى

فتملت حتى غبت عن إدراكي

هذا وقد رأيت أن أختم هذا المقال بتغريدة الشاعر في روضة الهوى، لتكون آخر عبق يشمه القارىء من طيب المعانى التى تصفى فى ذهن الشاعر كما تصفى المرائى في عين مبصرة.

قد ساءلت من أنت؟ قلت: أنا الذى

قضَّيت عمرى - مدنفا - أهواك

وأطعتُ عينى - في الغرام - وخافقى

أقضى الليالى السود في نجواك

أرنو إليك - على بعادك - مثلما

يرنو الحزين لساطع الأفلاك

وأبث للنجم المسهَّد لوعتى

ياليتنى - بعد النوى - ألقاك

ما كنت أومن بالعيون وفعلها

حتى دهتنى في الهوى عيناك

الحسنُ قد ولاك حقا عرشه

فتحكمى في قلب من يهواك

قلبى كما تبغين إلف صبابة

قد ملَّ كل فريدة إلاك

بالله يا أملى الحبيب ترفقى

إنى وربك في الهوى مضناك

فرنتْ اليَّ وقد تألق لحظها

أفديه من لحظ رنا فتاك

ونضت عن الوجه الوسيم وتمتمت

يا روحه الظمأى عليَّ رواك

وتعانق الروحان في روض الهوى

فتملت حتى غبت عن إدراكي[١١]

الهوامش:

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت لعبد الرحمن البرقوقى ص ٣٤٨، وانظر العمدة لابن رشيق ١١٤/١.

(٢) انظر وحى الحرمان ص ١٩

(٣) السابق: ص ٥٢، ٥٣.

(٤) السابق : ص ٦١، ٦٢، ٦٣.

(٥) قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر ص ١٨٥.

(٦) اللغة الشاعرة للعقاد ص ١٦٢، ١٦٣.

(٧) نشرت هذه القصيدة بجريدة المدينة بعد أن تسلم الشاعر وسام باريس من عمدة باريس بتاريخ ١٤٠٥/٥/٢هـ.

(٨) ابن الرومى حياته من شعره للعقاد ص ٣٨٢.

(٩) ديوان اسماعيل باشا صبرى ص ١١٠

(١٠) وحى القلم ٢٢٦/٣، ٢٦٧.

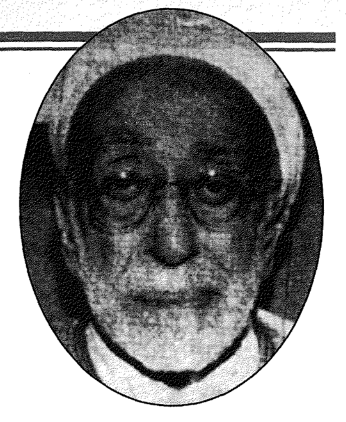
(١١) وحى الحرمان ص ٧٥، ٧٦، ٧٧

الهداية والضلالة

وردت آيات كثيرة تختلف في إسناد الهداية والضلالة إلى الله أو إلى العبد، فتوهم من لا يريد التفريق بين مواقع الدلالات انها في جميع اوجه الخطاب القرآني مسندة الى الله تعالى، ولكن ضرورة مسؤولية المكلف في اقتضاء الاختيار تستدعي، صدور القصد في تحصيل الهداية او ضدها من العبد، مع كون الله تعالى هو المد للعبد بوسائل تحصيلها، والمتفضل بزيادة الطافها، تبعا لتوجه العبد بنيته الى الاهتداء وكذلك الامر فيما يتعلق بالضلالة.

وقد مارس الكفار شبهة ان الانسان مجبر على اقتراف الكفر والعصيان، وغفلوا عن حق الله في مساءلة العبد على فعله بمقتضى ما منحه من **حرية التوجه بالعزم على الفعل او الترك**، فقال تعالى مصورا دعواهم الباطلة في ان عبادة الملائكة من مشيئة الله وقضائه: **{وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم، إن هم الا يخرصون}** (الزخرف/٢٠)، فبنوا على ذلك خليطا بين مشيئة الله بمعنى تعلق إرادته بوقوع شيء، وبين مشيئته التى قدرها في نظام العالم من إناطة المسببات باسبابها.

فمشيئة الله بالمعنى الاول يدل عليها ما أقامه من نظام احوال العالم واهله، ومشيئته بالمعنى الثاني تدل



الشيخ الطاهر بن عاشور

عليها شرائعه المبعوث بها رسله[١].

وتتكرر هذه الدعوى المثبطة لعزيمة الايمان، ومنها قوله تعالى: **{سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا، ولا حَرَّمْنا من شيء، كذلك كذَّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسَنا، قل: هل عندكم من علْم فتُخْرجُوه لنا، إن تتبعون إلا الظنَّ، وإن أنتم إلا تَخْرُصُون}** (الانعام/ ١٤٨).

يقول الشيخ العلامة الطاهر بن عاشور: «هذه شبهة اهل العقول الافنة الذين لا يفرقون بين تصرف الله تعالى بالخلق والتقدير وحفظ قوانين الوجود، وهو التصرف الذى نسميه بالمشيئة والارادة، وبين تصرفه بالامر والنهى، وهو الذي نسميه بالرضى وبالمحبة.. فان اهل العقول السخيفة حين يتوهمون ذلك كانوا غير ملتفتين الا الى جانب غفلتهم، ومعرضين عن جانب مخالفتهم، فانهم حين يقولون: «لو شاء الله ما اشركنا» غافلون عن ان يقال لهم من جانب الرسول: لو شاء الله ما قلت لكن ان فعلكم ضلال»[٢].

بقلم : **د. عبدالعزيز الخطابي** - المغرب

وإن حكمة الله البالغة اقتضت ان يجعل الانسان مختارا، والا يجبره على الإيمان؛ لانه لو حدث ذلك لكان الناس كلهم مؤمنين، فالله تعالى لا يريد لعباده الكفر ولا يرضى به: {**إن تكفروا فإن الله غنيٌّ عنكم، ولا يرضى لعباده الكفر، وإن تشكروا يَرْضَهُ لكم، ولا تزر وازرة وزر أخرى**} (الزمر/٧).

ويعاود القرآن طرح هذه الشبهة ونقضها مما يؤكد تواردها على ألسنة جميع المكذبين من الامم السابقة، فقال تعالى: {**وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا أباؤنا، ولا حَرَّمْنَا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم، فهل على الرُّسُل إلا البلاغ المبين**} (النحل/٣٥)، فهم يحسبون ان الله يتولى تحريك الناس لاعمالهم كما يحرك صاحب خيال الظل، ومحرك اللعب اشباحه وتماثيله، وذلك جهل منهم بالفرق بين تكوين المخلوقات، وبين ما يكسبونه بانفسهم، وبالفرق بين امر التكذيب، وامر التكليف[٣]، ويقول الكافرون في مقام فعل المعصية والاصرار عليها استجابة لشهواتهم وإغماطا للحق غفي استجابة العقول للتكليف: {**وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها أباءنا، والله امرنا بها، قل: إن الله لا يأمر بالفحشاء، أتقولون على الله مالا تعلمون**} (الاعراف/٢٨)، وما جاء في بعض الآيات من إسناد الهداية أو الضلالة الى الله فهو على معان، منها: متابعة الله تعالى لما اختاره العبد، فان اختار الاهتداء يَسَّر الله له سبيله، وان اختار الضلال لم يجبره على ترك ما اختاره بقصده، الى ما أراده الله بأمره، من هذا النوع قوله تعالى: {**والذين اهتدوا زادهم هُدى وآتاهم تقواهُم**} (محمد/١٧)، وقوله تعالى: {**ويزيد الله الذين اهتدَوُا هُدى**} (مريم/ ٧٦)، وبمثل ذلك يقابله الصد في الضلالة، قال تعالى: {**قل من كان في الضَّلالة فليَمْدُدْ له الرحمن مَدا**} (مريم/ ٧٥)، وانظر كيف اقترنت هداية الله بإيمان العبد في قوله تعالى {**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يَهْديهم ربُّهم بإيمانهم**} (يونس/٩).

وقد تكون الهداية ببيان السبيل الموصل اليها بخلق العقل، وإرسال النذر، وهذا في اكثر احوال ورودها في القرآن، لدفع توهم الاجبار، قال تعالى: {**وأما ثمود فهديناهم فاستحبُّوا العمى على الهُدى**} (فصلت/١٧)، فدل ذلك على أن الله يبين لهم معالم الايمان والحق بما غرسه في عقولهم من قدرة على التدبر، وبما أرسل اليهم من تعاليم على لسان رسولهم الذى كذبوه مختارين فأخذهم العذاب.

ويقابل الله بين المؤمنين والكافرين في هذا النوع من الهداية، فيقول تعالى: {**الذين كفروا وصَدُّوا عن سبيل الله أضل أعمالهم * والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وآمنوا بما نُزل على محمد وهو الحق من ربهم كفَّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهُم**} (محمد/ ١، ٢)، ثم يحلل الله هذا الحكم الفارق بين المؤمنين والكافرين على حسب توجههم الى الاهتداء، {**ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل، وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم**} (محمد/٣) ، فهو اقتران التكليف بالجزاء، إذ ليس كل الجزاء مقتصرا على الحدوث في الاخرى، بل ان بعضه حاصل فى الدنيا، وبمثل ذلك يفسر معنى الاضلال في قوله تعالى: {**يُضلُّ به كثيرا ويهدي به كثيرا، وما يُضلُّ به الا الفاسقين**} (البقرة/ ٢٦)، ومن اظهر ما يدل على ذلك، قوله تعالى: {**وهديناه**

النجدين} (البلد/١٠)، وهناك آيات اسندت الهداية ولوازمها، او الضلالة وتوابعها الى العبد على سبيل الاستقلال، لتؤكد صدورها من العبد اختيارا، وقد يرد ذلك في صورة اخبار أو إنشاء، قال تعالى: **{قد جاءكم بصائر من ربكم، فمن أبصر فلنفسه، ومن عَمِيَ فعليها}** (الانعام/ ١٠٤)، قال تعالى: **{فمالهم لا يؤمنون}** (الانشقاق/ ٢٠) ، وقال سبحانه: **{فمالهم عن التَّذْكرة مُعْرِضين}** (المدثر/ ٤٩)، وقال جل ذكره **{فمن شاء فليُؤمن ، ومن شاء فليَكفُر}** (الكهف/ ٢٩) ، وقال تعالى: **{فمن اهتدى فلنفسه ومن ضَلَّ فإنما يَضِلُّ عليها، وما أنت عليهم بوكيل}** (الزمر/ ٤١).

ودلت آيات كثيرة على حصول الضلالة بسبب توجه وامتناع القدرة الالهية عن التدخل بجبره على تركها، واكثر تلك الآيات بـ «لو» الدالة على امتناع وقوع النتيجة، لامتناع حصول المقدمة، منها قوله تعالى: **{ولو شئنا لآتينا كل نفس هُدَاها، ولكن حَقَّ القولُ منِّي لأملأن جهنم من الجنَّة والناس اجمعين}** (السجدة/ ١٣)، فامتنعت مشيئة الله في ان يجبر كل نفس على الاهتداء، ولكن لم يقع ذلك لحكمة الابتلاء بالتكليف، حتى يعاقب الضالون بجهنم جزاء وفاقا، وفي هذا السياق البرهاني يقول تعالى: **{ولو شاء ربُّك لآمن مَنْ في الارض كلُّهُم جميعاً، أفأنت تُكْرِه الناس حتى يكونوا مؤمنين}** (يونس/ ٩٩)، والمعنى المتحصل من هذا الشرط الممتنع: «لو شاء الله لجعل مدارك الناس مشتاقة الى الخير، فكانوا سواء في قبول الهدى والنظر الصحيح، لكنه لم يشأ ذلك، فاقتضت حكمته ان خلق عقول الناس متأثرة ومنفعلة بمؤثرات التفاوت في ادراك الحقائق، فلم يتواطؤا على الايمان[٤]، أما قوله تعالى في الآية اللاحقة: **{وما كان لنفس ان تؤمن الا بإذن الله}** (يونس/ ١٠٠)، فالاذن هنا اذن تكوين وتقدير، فهو خلق النفس مستعدة لقبول الحق والباطل، والصلاح والفساد[٥]، فليس في الامر قهر على الطاعة، كما يتوهم من لا يقابل بين القدرة والعدل، وبين التقدير والتدبير، وقال تعالى في امتناع انتفاع المنسلخ من آياته بالعلم؛ لانه اختار طريق الضلالة: **{ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه}** (الاعراف/ ١٧٦)، فلم ينفعه علمه؛ لانه لم يثبته على الإيمان، بل انحرف به الى الفجور، لفساد قصده، وقال تعالى: **{ولو شاء الله لجمعهم على الهدى، فلا تكونن من الجاهلين}** (الانعام/٣٥)، ولكن الله لم يجمع الناس على الهداية، وان امرهم بذلك، لان عقولهم لم تتخيرها سبيلا، واثرت السير في الضلالة.

وتنوع اسلوب الخطاب في الدلالة على امتناع جمع الناس على الهدى، يرد بصيغة الاستفهام في قوله تعالى: **{افَلَمْ ييْأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهَدَى الناس جميعاً}** (الرعد/ ٣١)، يقول الطبري: «ان الله لو اراد ان يهدي الخلق كلهم الى جنته لهداهم، لكنه كلفهم؛ لينالوا الثواب بطاعاتهم على وجه الاستحقاق»[٦].

ويقول الزمخشري: «أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله» بمشيئة الالجاء والقسر[٧]، يريد ان الله لم يرد ان يحكم في عباده مشيئة القهر، فيما يتعلق بالتكليف.

وقد أنبأ القرآن بأن الناس كانوا في اول امرهم على الهدى؛ لانهم يساقون بالفطرة السليمة، ثم التبست عقولهم بالهوى، وانه سبحانه وتعالى لم يشأ ان يرغمهم على الايمان والطاعة، فقال تعالى: **{وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا، ولولا كلمة سبقت من ربك، لقضي بينهم فيما فيه يختلفون}** (يونس/١٩).

أما ما ورد في القرآن من آيات يتوهم منها انها تدل على الجبر فانها محمولة على ان الله متصرف في

خلقه، ومن ذلك انه تصرف في الارادة الانسانية ليتحقق مبدأ الاختيار، فهو حكم عام، تدخل فيه جزئية حرية العبد، كما تدخل فيه بقية المجريات الكونية، ومن تلك الآيات قوله تعالى: **{وما تشاؤون إلا أن يشاء الله}** (الانسان/ ٣٠)، وبعمق في النظر نلاحظ ان هذه العبارة القرآنية دلت على المشيئتين، و«ما تشاؤون» ارادة الانسان في الاختيار، «إلا ان يشاء الله» إذن الله له في مباشرة ذلك، اما قوله تعالى: **{من يشأ الله يضلله، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم}** (الانعام/ ٣٩)، فمحمول على أول الآية، وهو قوله تعالى: **{والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات}** .. «فإن انصراف قلوبهم الى التكذيب بالآيات واعراضهم عن الحق إعراض الصم والبكم والعمي، جعل غضب الله محيطا بهم، ولطفه مفارقا لهم، وعلى الضد من ذلك حال المعتدين، فلا مناص من ان نقابل بين الآيات الواردة في سياق الدلالة على الهداية والضلالة، ونجمع بينها وبين الآيات الأخرى المتعلقة بالتكوين والتكليف والجزاء، حتى يكون تصور قضية حرية الارادة سويا لا يطغى، فيوهم النقص من قدرة الباري، ولا يهون من حرية الاختيار؛ فيطعن في عدالة الله، ومن الدلائل البرهانية المؤكدة لذلك ان هذه المنظومة الاستدلالية الجامعة بين التكليف والجزاء ووصفي الهداية والضلال مدلول عليها في سياق قرآني واحد في بعض الآيات، منها قوله تعالى: **{من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضلَّ فانما يضلُّ عليها، ولا تَزرُ وازرة وزرَ أخرى، وما كُنَّا مُعَذبين حتى نبعث رسولا * وإذا أردنا أن نُهْلك قرية أمرنا مُترفيها ففسقوا فيها، فحقَّ عليها القول، فدمرناها تدميرا}** (الاسراء/ ١٥ ـ ١٦)، وما بعدها من الآيات مصور للعقاب الدنيوي والاخروي جزاء على ضلال اولئك المترفين المعاندين، وما من شك في ان المتأمل في امثال هذه الآيات يدرك موقف القرآن من قضية الارادة الانسانية، وان يتسم بالانسجام التام، والتوازن الكامل بين وظيفة العقل الفردي، ونظام الفكر العام، على المستويين العقدي والحضاري، فان الاعتقاد بحرية الارادة الانسانية في اختيار منهج الاعتقاد والسلوك، مع الايمان بأنها منضبطة في حريتها بالمسؤولية الدينية والحضارية التي تستدعي ان يكون الاختيار وفق منهج الحق والصلاح، وشعور المتخير انه محاسب على اختياره يربي العقول على الاستواء الفكري، ويضبط ارادة الانسان فلا ينحرف بحريته، ويدافع عن خصوصية الانسان بتأصيل مبدأ الحرية ورعايته من الضعف بتوجيه الشريعة وبيان الرسول، وحفظه من الطغيان بضابط الجزاء الدنيوي والاخروي **{فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}** (الزلزلة/ ٧ ـ ٨)، وعندما أساء المسلمون فهم قضية الفعل الانساني بالمبالغة في تصور الحرية انشغلوا بما لا ينفع من المناهج والمباحث، وعندما انزلقوا في الجبرية صاروا ضعفاء منخذلين في مختبرات العلم، وساحات الجهاد.

الهوامش :

(١) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، تونس ـ الدار التونسية للنشر ـ ط ١٩٨٤م: ١٨٥/٢٥.

(٢) م.ت : ١٤٦/٨.

(٣) م . ت : ١٤/ ١٤٨.

(٤) م . ت : ١١/ ٢٩٢.

(٥) م . ت : ١١/ ٢٩٤.

(٦) مجمع البيان، بيروت ـ دار الكتاب اللبناني: ١٩٥٧م : ٢٩٤/٢.

(٧) الكشاف: بيروت ـ دار الكتاب العربي ١٩٤٧م : ٥٣٠/٢.

شق السماء بنوره

شق السماء بنوره فتجددا ... في منبع النور العظيم تفجّرتْ

ومضى شعاعاً لا ينافسُهُ مدى ... كُلُّ النجوم الساطعات تودُّدا

وطوى الظلام على البُراق وقد رمى ... تستقبلُ الأملاكُ نورَ محمد

في مسمع الدنيا وفي دمها صدى ... مطراً نقياً طاهراً مُتجددا

لم يترك الليل الطويل مكبلا ... تستقبلُ الأملاكُ أجمل متعة

إلا ونورُ الفجر يُطلقُهُ غدا ... ومدارُ بهْجتها النديَّة قد شدا

وبدتْ نجومُ الليل حين قدومه ... تستقبلُ الأمل المغيث بلذّة

ورداً يُعانقُ في الهوى قطر الندى ... ولضمٍّ نوره لنْ ولنْ تتردّدا

لو فُتشتُ كُلُّ النجوم فإننا ... أعيادُها بمحمد لا تنتهي

حتماً سنلقى في هواها أحمدا ... ما دام عشقُ محمد فيها بدا

ما هذه الأضواء إلا ومضةٌ ... خطواتُهُ البيضاء تبني للهدى

من ذلك النور الكبير تزودا ... في كُلّ شبر منْ عُرُوجه مسجدا

من ذلك النور المسافر أبصرتْ ... نثر السماء لآلئاً وجواهراً

أضواء عشقي في الوريد محمّدا ... وعلى نثاره قد بدا دربُ الهدى

من ذلك النور المسافر أبصرتُ ... سبعُ السماوات الضّخام تفاخرتْ

كُلُّ القصائد عشقها المتوقّدا ... فلأنّها صارتْ لأحمد مصعدا

سُبحان من أسرى بعبده والدجى ... فلأنها من مسك أحمد واحةٌ

سطران قالا للنبيِّ تعهُّدا ... خضراء يغسلها الصباحُ مُغردا

لنْ ينبتَ الكفرُ الخبيثُ على فم ... يتجاوبُ القرطاسُ حين أخطُّهُ

ويظلُّ نورُ الحق فينا سيدا ... في عشق أحمد بين حبري فرقدا

شعر : **عبدالله علي الأقزم** – القطيف – السعودية

من كـان تحت سمـاء طه فـإنَّهُ
وجد المكارم فيه تجري سرمدا
يا أيها المسكُ الكريم أفضْ على
هذي الليالي المظلمات لها غدا
لا يعرفُ القلمُ المدوّخ في الهوى
من عشْق أحمد أنْ يُريح ويرقُدا
بك تطردُ الأحزانُ كُلَّ هُمومها
وبك استقرَّ البحرُ حين تمرّدا
لك تخرجُ الأزهارُ كُلَّ جمالها
لخُطاك قدْ ظلَّ الثرى مُتودّدا
وللثم كفّك قدْ جرى ماء الهوى
وعليك بحرُه لم يزلْ متمددا
وتعودُ للبحر المحبُّ حرارةٌ
ما البحرُ في دنيا هواك تجمّدا
لم ينحسرْ عطرٌ وأنت يمينُهُ
لم ينكسرْ غصْنٌ وأنت لهُ ندى
لم تنحجبْ شمسٌ وكان طُلوعُها
منْ نُور وجْهك دائماً متجدِّدا
لم يحتفلْ فصْلُ الربيع بوردة
حتى رأى فوق الجمال محمَّدا

بك يلتقي الطيرُ الجميلُ رسائلا
حمراء أشعلها الغرامُ تغرُّدا
نحو السماء عرّجت حتَّى أصبحتْ
كُلُّ الفضائل من عُرُوجك مقصدا
لعُرُوجك الميمون كُلُّ مشاعري
طارتْ إليك تقرُّباً وتودُّدا
طارتْ إليك ملاحمُ العُشَّاق في
خط من البرد الشديد توقُّدا
فلديَّ حاجاتٌ تبوحُ بسرِّها
وعلى يديك فلن تُهان وتُطردا
لم تستلذَّ هذي المشاعر في الدنا
إلا وكنت الى المشاعر موردا
يا أيها الذهبُ النقيُّ ألا ترى
الكون أمسى في ردائك عسجدا
أعلنتُ عشقك صارخاً ومُصرحاً
ما كان بحري في هواك تبدُّدا
ما كان إلا بسمة وردية
بك تعرفُ الإبحار حين تمرَّدا
مازال اسْمك والخلودُ حروفُهُ
وَهَجاً تأبَّى أن يشيب ويخمُدا

قصة إدريس (عليه السلام)

ورفعناه مكانا عليا:

يتحدث المفسرون عن المكان العلي الذى رفع إليه إدريس ـ عليه السلام ـ ويقولون إن إدريس رفع الى السماء ولم يمت، كما رفع عيسى، فهو في السماء الرابعة كما في القصص النبوي الصحيح. وقال العوفى عن ابن عباس: (ورفعناه مكانا عليا) قال: رفع إلى السماء السادسة فمات بها، وهكذا قال الضحاك بن مزاحم، وقال الحسن وغيره في قوله ـ تعالى: {ورفعناه مكانا عليا} قال: الجنة.

وزاد الشوكانى ـ عما ورد في تفسير ابن كثير ـ أن الله رفعه الى السماء الثانية، وقد روى البخارى في صحيحه من حديث الإسراء وفيه: ومنهم إدريس في الثانية وهو غلط من رواية شريك بن عبد الله بن أبى نمر، والصحيح أنه في الرابعة. وقيل: إن المراد برفعه مكانا عليا: ما أعطيه من شرف النبوة[١].

وأما عن أسباب رفعه فقد أورد بعض المفسرين كابن جرير الطبري وأبى اسحاق الثعلبي، والقرطبي وابن كثير وغيرهم. وكذا تناقلت كتب التاريخ والسير كابن سعد وكتب الأدب كالنويري، وحكى ذلك النجار.

١ ـ قيل من أسباب رفع إدريس إلى السماء، قال وهب:[٢] كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض جميعهم في زمانه، فعجبت الملائكة منه، واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن الله في زيارته، فأذن له، فأتاه في صورة بنى آدم، وكان إدريس يصوم الدهر كله، فلما كان وقت إفطاره دعاه الى الطعام، فأبى أن يأكل، وفعل ذلك ثلاث ليال، فأنكره، فقال له إدريس في الليلة الثالثة: إني أريد أن أعلم من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، استأذنت ربى أن أزورك وأن أصاحبك، فأذن لي في ذلك، فقال إدريس: لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: اقبض روحي، فأوحى الله إليه (اقبض روحه)، ففعل، ثم ردها الله ـ تعالى ـ إليه بعد ساعة، فقال له ملك الموت: فما الفائدة في سؤالك قبض الروح؟ قال: لأذوق كرب الموت وغمه، فأكون له أشد استعدادا، ثم قال: لي إليك حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: ترفعنى إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار، فأذن الله ـ تعالى ـ له في ذلك، فلما قرب من النار قال: لي إليك حاجة قال له: وما تريد؟ قال: تسأل مالكا حتى يفتح لى أبوابها فأردُها، ففعل، ثم قال له إدريس: فكما أريتنى النار فأرنى الجنة، فذهب إلى الجنة فاستفتح ففتحت له أبوابها، فأدخله الجنة، فقال له ملك الموت: اخرج منها لتعود الى مقرك. فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها، فبعث الله ـ تعالى ـ ملكا حكما بينهما، فقال له الملك: ما لك لا تخرج؟ قال: لأن الله ـ تعالى ـ قال {كل نفس ذائقة الموت} وقد ذقته. وقال: (وإن منكم إلا واردها) وقد وردتها. وقال ـ تعالى: {وما هم منها بمخرجين} فلست أخرج. قال الله ـ تعالى ـ لملك الموت: دعه فإنه بإذني دخل الجنة، وبأمرى يخرج. فهو هناك. فتارة يعبد الله في السماء الرابعة، وتارة يتنعم في الجنة.

٢ ـ وقيل: وتنسب هذه الرواية إلى ابن عباس[٣] ـ



بقلم : أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة - مصـــر

رضي الله عنه - وأكثر الناس أن ادريس - عليه السلام - سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس، فقال: يارب إني مشيت يوما فتأذيت منها، فكيف من يحملها خمسمائة عام في يوم واحد، اللهم خفف عنه من ثقلها، واحمل عنه حرها، فلما أصبح الملك وجد خفة الشمس وخفة حرها مالا يعرف؛ فقال: يارب، خلقتني لحمل الشمس، فما الذى قضيت في؟ فقال: أما إن عبدى إدريس سألنى أن أخفف عنك ثقلها وحرها، فأجبته، قال: يارب اجمع بينى وبينه، واجعل بينى وبينه خُلة، فأذن الله - تعالى - له، فأتى إدريس حتى إن إدريس ليسأله، فكان مما سأله أن قال: أخبرت أنك أكرم الملائكة عند ملك الموت، وأمكنهم عنده، فاشفع لي إليه أن يؤخر أجلي فأزداد شكرا وعبادة، فقال الملك: لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها. قال إدريس: قد علمت ذلك، ولكنه أطيب لنفسي، قال: نعم أنا مكلمه لك، فما كان يستطيع أن يفعل لأحد من بني آدم فهو فاعله لك، ثم حمله ملك الشمس على جناحه، فرفعه الى السماء، ووضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت، فقال: لي إليك حاجة، قال: أفعل كل شيء أستطيعه، فقال له: صديق لي من بنى آدم يتشفع بي إليك أن تؤخر أجله، فقال: ليس ذلك إليَّ، ولكن إن أحببت أعلمه أجله متى يموت فيتقدم في نفسه. قال: نعم. فنظر في ديوانه، فأخبره باسمه، فقال: إنك كلمتنى في إنسان ما أراه يموت أبدا، ثم قال: إنى لأجده يموت عند مطلع الشمس، قال: فإنى أتيتك وتركته هناك. قال: فانطلق فإنه قد مات، فوالله ما بقى من أجل إدريس شيء. فرجع الملك فوجده ميتا.

٣ - وقيل من أسباب رفع إدريس - عليه السلام - الى الجنة، أنه كان شديد الحرص على دخول الجنة، وكان قد رأى في الكتب أنه لا يدخلها أحد دون الموت، فبينما هو يسبح في عبادته إذ عرض له ملك الموت في صورة رجل في نهاية الجمال، فقال له إدريس: من أنت؟ قال: عبد من عبيد الله أعبده كعبادتك، واصطحبا، فكان إدريس يأكل من رزق الله، وهو لا يطعم شيئا، فسأله عن ذلك، فأخبره أنه ملك الموت؟ فقال له: جئت لقبض روحى؟ قال: لا، ولو أمرنى الله بذلك ما أمهلتك، ولكنه أمرنى أن أصطحبك. فسأله إدريس أن يقبض روحه، فقال له: وما تريد بذلك وللموت كرب عظيم؟ قال: لعل الله - تعالى - يحيينى فأكون أكثر في عبادته، فأمره الله بقبض روحه فقبضها، وأحياه الله - تعالى - لوقته.

ثم قال إدريس له بعد حين: هل تستطيع أن تقفنى على جهنم؟ قال: ما حاجتك الى ذلك، ولها من الأهوال مالا تطيق أن تنظر إليه، وما لى سبيل إلى ذلك، ولكنى أقفك على طريق مالك خازنها، والله أعلم بحاجتك، فاحتمله ووقفه على طريق مالك، فلما رآه كشر في وجهه، فكادت روحه تخرج، فأوحى الله - عز وجل - إلى مالك: وعزتى وجلالى لا يرى عبدى إدريس بعد كشرتك سوءا، ارجع اليه وقفه على شفير جهنم ليرى ما فيها، فوقفه مالك على شفيرها، ونظر إلى ما فيها من الأهوال، فلولا أن ثبته الله - تعالى - لصعق ثم أعاده

إلى مكانه، فاحتمله ملك الموت إلى الأرض، فعبد الله حينا، ثم قال للملك الموت: هل لك أن تدخلني الجنة؛ لأرى ما أعد الله - تعالى - لأهل طاعته من النعيم؟ فقال: حاجتك إلى الله - تعالى - ولكني أحملك وأقف على طريق رضوان خازن الجنان، فسله حاجتك، ففعل ذلك، فلما رآه رضوان قال: من هذا؟ قال: إدريس نبى الله، يريد أن ينظر الى نعيم الجنان، قال: ذلك إلى ربى، فأوحى الله - تعالى - إلى رضوان: أنى قد علمت ما يريد عبدى إدريس، وقد أمرت غصنا من أغصان شجرة طوبي أن يتدلى إليه فيلتف به ويدخله الجنة، فإذا دخل فأقعده في أعلى موضع، فلما دخلها إدريس ورأى ما فيها من النعيم، قال له رضوان: اخرج الآن، قال إدريس: أيدخل الجنة من يخرج منها؟ فحاجَّه في ذلك. فأرسل الله - تعالى - له ملك الموت، فقال له إدريس: ما حاجتك؟ إنك لن تسلط على قبض روحى مرتين، فاذهب، فرجع ملك الموت الى ربه - عز وجل - وقال: إلهى قد علمت ما قال إدريس، قال الله - تعالى - إنه حاجك بكلامى، فذره في جنتى، فلذلك قوله تعالى: {واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا}.

نقل ذلك النويرى وقال: هذا ما أورده الكسائى - رحمه الله - في كتاب المبتدأ[٤]. وقد علق كثير من العلماء على الروايات السابقة، فمن ذلك تعليق ابن كثير في تفسيره لقول الله - تعالى: {ورفعناه مكانا عليا} فذكر أن كعبا روى أن الله أوحى الى إدريس أنى أرفع لك كل يوم مثل عمل جميع بنى آدم - إلى آخر الرواية - ثم قال ابن كثير:[٥] (هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة، والله أعلم).

وقال ابن حجر[٦] بعد التعرض لبعض هذه الروايات مثل قول ملك الموت لصديق إدريس: (إن هذا لشيء عجيب، أمرت أن أقبض روحه في السماء الرابعة، فقلت كيف ذلك وهو في الأرض؟ فقبض روحه، فذلك قوله - تعالى: {ورفعناه مكانا عليا}. قال ابن حجر: (وهذا من الإسرائيليات. والله أعلم بصحة ذلك).

وعلى الرغم من نقل عبد الوهاب النجار لكثير من أخبار إدريس - عليه السلام - ما جاء في رواية كعب الأحبار وغيره، بل إنه نقل من التوراة في قصة إدريس وغيره من الأنبياء إلا أنه يقول: (الأسلم تفويض علم ذلك إلى الله تعالى) ويقول في موضع آخر: (فأنتم ترون أن ما جاء عن إدريس في ذلك الكتاب أخبار لم تؤيد بنقل صحيح ولم يعضدها نص قاطع، نشهد به على أن الله - تعالى - صنعه لعبده ونبيه إدريس - عليه الصلاة والسلام - وكلها أقوال مما قمشت[٧] وضم حبل الحاطب، فهى أقوال لا بأس بالاطلاع عليها، كما يطلع المرء على غيرها من السير).

وقد جاء في القصص النبوى عن أبى هريرة - رضي الله عنه - النهى عن تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم، فقال {صلى الله عليه وسلم}[٨]: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا (آمنا بالله وما أنزل) الآية).

وروى عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (بلغوا عنى ولو آية، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار).

قال ابن حجر: أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم؛ لأنه كان تقدم منه {صلى الله عليه وسلم} الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهى وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك؛ لما في سماع الأخبار التى كانت في زمانهم من الاعتبار.

إدريس وإلياس :

هل إدريس هو إلياس؟ كما سبق من كلام المفسرين والمحدثين وعلماء السير والمؤرخين أن إدريس - عليه السلام - من ذرية شيث بن آدم - عليهما السلام - ولذلك ترجم البخاري - رحمه الله - في كتاب الأنبياء فقال[٩]: (باب ذكر إدريس - عليه السلام - وهو جد أبي نوح، ويقال جد نوح - عليهما السلام) وفي الباب الذي قبله ذكر (وإن إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون - إلى - وتركنا عليه في الآخرين)٠

وعلى ذلك فإن إدريس الذي هو إلياس كان بعد نوح، وكأن المصنف رجح عنده كون إدريس ليس من أجداد نوح٠ قال ابن حجر: (ولهذا لم يجزم به البخاري٠ وقد أخذ أبو بكر بن العربي من هذا أن إدريس لم يكن جداً لنوح، وإنما هو من بني إسرائيل، لأن إلياس قد ورد أنه من بني إسرائيل، واستدل على ذلك بقوله - عليه السلام - للنبي {صلى الله عليه وسلم}: (مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح) ولو كان من أجداده لقال له كما قال له آدم وابراهيم: (والابن الصالح) وهو استدلال جيد، إلا أنه قد يجاب عنه بأنه قال ذلك على سبيل التواضع والتلطف)٠

ونقل ابن كثير[١٠]: (قال قتادة ومحمد بن اسحاق: يقال إلياس هو إدريس، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا إسرائيل عن أبي اسحاق، عن عبيدة بن ربيعة، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: إلياس هو إدريس، وكذا قال الضحاك، وقال وهب بن منبه: هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران بعثه الله - تعالى - في بني إسرائيل بعد حزقيل - عليهما السلام)٠

وستأتي - إن شاء الله - قصته في موضع آخر٠

صورة إدريس - عليه السلام :

لم نقف على نصوص صحيحة تصف لنا صورة إدريس - عليه السلام - على النحو الذي جاء في وصف آدم - عليه السلام - عن طوله وحسنه وغير ذلك٠ ولكن نقلت بعض الآثار والأخبار عن صورة إدريس؛ فقيل إنه كان رجلا آدم، تام القامة أجلح، حسن الوجه، كث اللحية، مليح الشمائل والتخاطيط، تام الباع، عريض المنكبين، ضخم العظام، قليل اللحم، براق العينين أكحلهما، متأنيا في كلامه، كثير الصمت، ساكن الأعضاء، إذا مشى أكثر نظره الى الأرض، كثير الفكرة به عبسة، وإذا اغتاظ احتد، يحرك سبّابته إذا تكلم[١١]٠ والله أعلم٠

الهوامش :

(١) فتح القدير جـ ٣ ص ٤٢٠٠

(٢) قصص الأنبياء الثعلبي ص ٢٩ ونهاية الأرب جـ ١٣ ص ٤١

(٣) الثعلبي قصص الأنبياء ص ٢٩٠

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب جـ ١٣ ص ٣٨ وما بعدها٠

(٥) جـ ٣ ص ١٧٠٠

(٦) فتح الباري جـ ٦ ص ٣٧٥٠

(٧) القمش : جمع الشيء من هنا وهناك٠

(٨) فتح الباري جـ ٥ ص ٢٩١ وجـ ٦ ص ٤٩٨٠

(٩) فتح الباري جـ ٦ ص ٣٧٣ وما بعدها٠

(١٠) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٢٧٠

(١١) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ص ٤٢٠

نحو تفعيل مؤسساتنا الإسلامية

فى أحيان كثيرة يحتاج الأمر إلى العودة الى البساطة لا الى التركيب، والى الفطرة.. لا الى الفلسفة وإني لأجدني مدفوعاً - الآن - لمخاطبة أمتي المسلمة، ومَنْ يُسمَّون نخبها وصفوتها.. معتمداً على صوت الفطرة قائلا لهذه النخب في مواقعها المختلفة:

- افعلوا ما شئتم.. فلن تصلوا إلا إلى القليل.

- وسيسبقكم أعداؤكم.. وسيسبقكم التاريخ..

وقد أصبحتم في موقف الذين ينفقون أموالهم.. ثم تكون عليهم لا لهم.

- تذكروا الحقيقة: لقد نجح أفراد بسطاء لم يركبوا كثيراً - وربما ولا قليلا - الدرجات الأولى في الطائرات.. ولم يعيشوا كثيراً - وربما ولا قليلا - في فنادق النجوم الخمسة!! ولم تفتح لهم صالات كبار الزوار!!.

وأكثرهم - فيما أعلم وفيما عايشت - عاشوا للعلم.. لكنه العلم الذي لم يرتبط بشهادة ولا موقع من مواقع الإدارة.. وإنما ارتبط بغايات أخروية.. وما كتبوا عن ضرورات الرقي الدنيوي - تكنولوجيا أو غيرها - إلا وهم يربطون ذلك بالرقي الأزكي والأبقى.. بالآخرة!!.

- كانوا يبدون أمام الناس أفراداً، لكنهم في الحقيقة.. كانوا أمماً تتحرك: «إن ابراهيم كان أمة» بينما تبدو مؤسسات كبيرة الآن.. كأنها - فرد - أو عند التجوز - أفراد يتحركون، تكاد تُختزل المؤسسات في شخوصهم التي نيطت بهم.. وسوف يسألون عنها في يوم لا تنفع فيه الفصاحة ولا البلاغة الإعلامية أو المؤتمراتية.

وقد كان على هذه المؤسسات «المختزلة» التي تزعم - وهي صادقة من الناحية القانونية - أنها تهدف لخدمة الإسلام.

كان عليها أن تسأل بإلحاح، وأن تذهب إلى أهل الذكر الذين لهم قلوب وعقول يفقهون بها.. قائلة لهم:

- كيف وقع هذا التناقض العجيب:

رجال بلا إمكانات ولا مواقع.. يصبحون أمة.. ومؤسسات تنكمش حتى تصبح فرداً أو أفراداً..؟ وكيف نُفسر نجاح عدد من الشخصيات في مراحل تاريخنا المختلفة؟

- وفي المقابل: كيف نفسر فشل كثير من المؤسسات والهيئات والجامعات التى لا تريد - للأسف - أن تعترف بالفشل، ولا أن تعرف مواطن الداء؟.

- وعند الوصول الى اجابة صحيحة لهذا التناقض.. يبدأ القطار في السير فوق قضبانه الصحيحة!!

والأمر لا يحتاج الى بحوث أكاديمية، فقلما تصل الأكاديمية الميتة الجافة الى مشروعات نهضة.. لأنها محكومة بقوالب منهجية بعيدة عن الروح الإبداعية!!

- إنه يحتاج - فقط - لدراسة بعض المعابر والتحولات والنماذج الرفيعة التي نجحت في تغيير التاريخ.. وصناعة تحول بدرجة ما.. قد يؤدي - بعد وفاة صاحبه - بنصف قرن مثلا - الى تحول كبير.. ومثل هذا الأمر - كذلك - لا يحتاج لمؤتمرات، فمؤتمراتنا المعروفة التوصيات - سلفاً - يعرف



بقلم : **د. عبدالحليم عويس**
مفكر إسلامي – استاذ الحضارة الإسلامية – مصر

أعضاؤها المبجلون أن نتائج بحوثهم وقراراتهم محكوم عليها - سلفاً - بالإعدام!!

وإنما الأمر - كما ألمعتُ - يحتاج الى دراسة عقلية ووجدانية (فلا انفصال بين القلب والعقل في الرؤية الإسلامية) لفترات البعث الحضاري والتحول التاريخي، وأيضاً لطبيعة تكوين بعض القيادات الرائعة، وطبيعة الأساليب التي اعتمدت عليها..

ونمزج بين كل ذلك وبين أمرين خطيرين:

أولهما: التطور الكمي والكيفي العلمي والثقافي، حتى تحدث النقلة الى موقع العصر الذي نعمل في زمانه وفي محيط تحدياته وإبداعاته وعلى أرضه الفكرية.

وثانيهما: المعنى الدعوي والرسالي والروحي الذى لن نستطيع تحقيق الإقلاع إلا به.. لقد حصل عشرات الألوف في عالمنا الإسلامي على رسائل ماجستير ودكتوراه في شتى التخصصات.

ولقد أصبحت جامعاتنا تُخرج في كل سنة عشرات الألوف من حملة ما يسمى بالشهادات العليا.. لكن..

لكن .. انظر بعين مخلصة منصفة لهؤلاء، وقارن - حتى في محيط الأزهر والقرويين والزيتونة - فكرهم ولغتهم الفصحى والروح التى تنبعث منهم - بما كان عليه أسلافهم، ممن انتسبوا الى هذه الجامعات فكانوا شموساً تتحرك على الأرض.

وقارن بين خريجي جامعاتنا الأخرى ونظرائهم من اليابانيين أو اليهود. وسترى أن أهل الباطل قد أدركوا أنه لا علم يصنع التقدم بدون دعوة ورسالة وانتماء وهدف كبير.. حتى ولو كان باطلا.. أو وهماً.. وتحت هذه المظلة - التي تمزج بين الوسيلة والغاية - أبدعوا وأخلصوا وتقدموا..

وفي المقابل: عندما أضعنا الغايات وركزنا على الشهادات والمصالح الذاتية، وفصلنا الأمة عن روحها وقلبها.. وعبثنا بثوابتها، وقدمنا لها مركباً من المتناقضات، فشلنا في كل شيء.. وأصبح أصحاب الشهادات عبئاً على الدولة بدلا من أن يكونوا قادة نهضتها وتقدمها.

ولابد من نبذ اليأس .. والأمل في بداية جديدة.

وبين أيدينا مساجد ومراكز إسلامية وجامعات في داخل العالم الإسلامي وخارجه ينقصها تخطيط سليم لعودة *الروح إليها*.

- أجل: عودة الروح والقلب ...

إنها أجساد وعقول (مع بعض التجوز).. لكنها - بالتأكيد - فرض عليها - بعوامل داخلية متصلة بعوامل خارجية - أن تكون بلا روح ولا قلب..!!

- وكل من يحاول أن يحتفظ بالروح والقلب .. توضع أمامه العقبات.. فيضطر الى التخلي عن روحه وقلبه لكي يمشي مع المجموع.. مع القافلة التي تتجه (وهي راضية) نحو الانتحار!!

بين يدي الآن نص اتفاقية تعاون بين منظمتين (أو رابطتين!!) دوليتين إسلاميتين رفيعتين..!

وأقسم بالذى بعث جبريل إلى محمد [صلى الله عليه وسلم] في (غار مُحكَم) ومكنه من تربية طلائع خير أمة في (دار ابن الأرقم) .. أن هذه الاتفاقية مضى عليها - وأنا أكتب هذه السطور - تسع سنوات، وأن بنداً واحداً من بنودها البالغة أكثر من عشرين لم ينفذ.. والمؤسستان - والحمد لله - قائمتان..

والجولات والصولات والاجتماعات على قدم وساق.. والضمائر ساكنة مستريحة .. والحمد لله على كل حال!!

- فهل نيأس، ونقول: إن أمة الإسلام لن تنهض إطلاقاً بمؤسسات رسمية أو فوقية؟

- وإن أمتنا كُتب عليها أن تعيش بالجهود المخلصة الفردية.. حتى في عصر المؤسسات، عابرة القارات والمحيطات.. والتي تحارب الإسلام وأمته - حرب إبادة جماعية؟!!

- هل نيأس ونقول ذلك.. أو نبدأ في طرح تصور آخر يصرخ في البرية.. ونقول لهؤلاء المسئولين (المخلصين منهم فقط!) تعالوا الى حلول عملية وتصورات بسيطة فطرية (فدينكم دين السهولة والفطرة) وهيا نتفق على أن يصدق بعضنا بعضاً، وأن نُخَذِّل عن الإسلام ما استطعنا (مثل نعيم بن مسعود في حصار الخندق الذي يشبه الحصار المضروب علينا الآن).

وأحذركم من أن يحتقر بعضنا بعضاً، أو يستعلي بعضنا على بعض بمواقعه الرسمية (الدولية) الزائلة.. والتي سيحاسب عليها ذات يوم حساباً عسيراً!.

هيا نعمل على أن لا نحتقر أي عمل صغير.. حتى ولو كان مثقال ذرة من خير.. فلو طلب داعية حر من داعية كبير مسئول عوناً في مشروع.. فعليه أن يستجيب له.. ولو بنسبة ضئيلة هزيلة جداً، وكأنه يشد أزره، ويدعو له.. ويحترم إنسانيته!!.

- هيا نعمل على وضع قواعد أخلاقية وإنسانية في محيطنا الدعوى الإسلامي، كما يتناصر أهل الباطل في العصر الحديث.. يتناصرون عبر الإنترنت والبريد الإلكتروني والمؤتمرات والمؤسسات.. فكأنهم خلية واحدة متكاملة.. (خلية نحل) بينما نحن متناقضون.. يهدم بعضنا بعضاً، ويصرخ بعضنا في البرية بلا طائل.. ويحترق بعضنا من العمل.. ويحترق بعضنا من الدجل والكسل!!

افعلوا ما شئتم.. لكنى أحذركم أن تكونوا سُذَّجاً لدرجة أن تنتظروا خيراً من مؤسسات التعليم الحديث.. مدرسية كانت أو أكاديمية.. ولا تظنوا أنكم قادرون على الالتفاف حولها.. فبنيتها مادية عقيمة لا تنتج مبدعاً ولا منتمياً، ولا صاحب رسالة أو قضية.. وعليكم أن تعملوا على انتشال ما يمكن انتشاله من ضحاياها الباحثين - فقط - عن الشهادات والوظائف!!

- وسوف تلاحظون أن كل من ارتفع من أبنائها كان بعوامل خارجية، فإما لأنه انتسب الى مدرسة ايمانية أو دعوة حركية..

- ولزيادة المعلومات نقتبس لكم بعض ما كتبه العلامة محمد إقبال.. فصدقوه إن لم تصدقونا.. يقول شاعر الإسلام العظيم:

«إن الشباب المثقف فارغ الأكواب، ظمآن الشفتين، مصقول الوجه، مظلم الروح، مستنير العقل، كليل البصر، ضعيف اليقين، كثير اليأس، لم يشاهد في هذا العالم شيئاً، هؤلاء الشبان أشباه الرجال ولا رجال، ينكرون نفوسهم، ويؤمنون بغيرهم، يبني الأجانب من ترابهم الإسلامي كنائس وأدياراً، شباب ناعم، رخو رقيق في الشباب كالحرير، يموت الأمل في مهده في صدورهم، ولا يستطيعون أن يفكروا في الحرية.

إن المدرسة الحديثة قد نزعت من الشباب العاطفة الدينية، فأصبحوا في خبر كان، إنهم أجهل الناس بنفوسهم، وأبعدهم عن شخصياتهم، شغفتهم الحضارة الغربية فيمدون أكفهم الى الأجانب ليتصدقوا عليهم بخبز شعير، ويبيعون أرواحهم في ذلك، إن المعلم لا يعرف قيمتهم، فلم يخبرهم بشرفهم، ولم يُعرفهم

بشخصيتهم، مؤمنون ولكن لا يعرفون سرَّ الموت، ولا يؤمنون بأنه لا غالب إلا الله».

ويرى محمد إقبال أن المدرسة هي المسؤولة عن هذا المسخ الخلقي، وهي التي نزلت بالشباب المسلم عن مقامه الرفيع الى المحل الوضيع، يقول في بيت: «أشكو إليك يا رب! من ولاة التعليم الحديث وإنهم يربون فراخ الصقور تربية بغاث الطيور، وأشبال الأسود تربية الخروف».

ومن أكبر أسباب هذا الضعف، الذل والتقدير الزائد للمادة والنظر الى الوظيفة والمرتب كفاية للتعليم، يقول إقبال في بيت: «إن ذلك العلم سم ناقع للأفراد الذين ليست لهم غاية، إلا حفنتان من شعير (يعنى المرتب الذي يتقاضاه الموظف)!!

والطريق الوحيد - إذن - هو التخطيط الكبير للتواصل مع أعضاء هيئات التدريس في هذه الجامعات.

- والمؤسسات (الدولية الاسلامية) عليها عبء التواصل مع أكبر عدد من صناع العقول:

١ - عن طريق ندوات متخصصة في الفروع المعرفية (أو الأشتراك بعناصر في شتى الندوات وتقديم دعم محدود).

٢ - عن طريق دعم عدد من الدوريات الصادرة عن بعض المؤسسات والهيئات العلمية.. شريطة أن تقبل نشر بحوث معمقة تحمل الرؤية الإسلامية.. (وهذا عملياً أفضل من التفكير في إصدار خاص).

٣ - عن طريق دعم حركة نشر الكتب ذات المنظور الإسلامي في سائر العلوم (والدعم ولو بشراء مائة نسخة أفضل من تبني النشر مباشرة).

٤ - عن طريق التفكير في إنشاء (مكتبة الباحث) وهي مكتبة في حدود مائة كتاب تقدم (مدعومة) أو (بخصم خاص) لأعضاء هيئات التدريس والدعاة،

**** درهم من الفعل الحقيقي الجاد خير من قنطار من الكلمات المكرورة.**

**** خزائن الجامعات والمراكز والمؤسسات التعليمية والاجتماعية ملأى بالقرارات والتوصيات.. ولا نحتاج الى مزيد.**

وهذه المكتبة تختار بعناية لتقدم أصول التصور الإسلامي لله والكون والإنسان والحياة.. ومدى خسارة البشرية بانحطاط المسلمين - ومدى حاجة الحضارة الحديثة لعودة الإسلام بمنظومته العقدية والقيمية، ومشروعه الإنساني اللاعنصري، وإمكانات البعث الحضاري الموجود لدى المسلمين!!

ويمكن تشكيل لجنة مصغرة جداً لاختيار عناوين الكتب لهذه المكتبة.. ويمكن التفكير في دعم المكتبة ببعض الوسائل السمعية والبصرية التي أصبحت تدخل في نطاق (المكتبة الحديثة).

كانت كلمة صائبة جداً.. وحين قرأتها شعرت بإخلاص كاتبها، وبأنه يبحث - جاداً - عن عمل حقيقي.

لقد رد على مشروع أرسل إليه بقوله:

«وكما ترون فإن المطلوب في هذه المرحلة هو العمل والتعاون والتنسيق لتنفيذ هاتين الاستراتيجيتين، لا إعداد المزيد من المشروعات والخطط مع التقدير لجهودكم ونتائج أعمالكم»..

وكلمات ـ كهذه ـ لا يكتبها إلا مخلص لأمته ودينه، باحث عن وسائل حقيقية للعمل والإنجاز والخروج من النفق المظلم.

ـ دعنا نفتش في أوراق صاحبنا هذا..

ـ إن من بين المساحات التى يبذر بذوره في حقولها فدرالية تسمى «اتحاد جامعات العالم الإسلامي»، وعدد الأعضاء يصل الى نحو ١٥٠ جامعة (لاحظ العدد مرة أخرى!!).

وهذه الجامعات تنتظر مساعدة المقر الأساسي للاتحاد المذكور.. (وهنا تبدو المركزية المختزلة).. والصواب أن يتجه الأمر الى العكس، بحيث تتفق إدارة المقر مع هذه الجامعات على أن تتحول هي الى مطابخ فعل حضاري.. وهي ـ فقط ـ تتولى تقديم بعض الدعم المادي والمعنوي والفكري.. وبالتالي تقنع هذه الجامعات، ولا سيما في بلاد الأقليات ـ على أن تصدر دوريات علمية، وهي تساعدها ـ مثلا ـ بالاشتراك في مائة أو خمسين نسخة بسعر تشجيعي.. وتساعدها ببعض الاستكتابات والافتتاحيات التشجيعية، وعمليات الإعلام التي تستطيعها.

ولنتخيل أن هناك ثلاثين جامعة قبلت هذا العرض، فهذا سيكون من شأنه إخراج عدد لا يقل عن ستين دورية في السنة (المتوسط عددان في السنة) بلغات مختلفة.. وتستطيع مؤسسة المقر وضع بعض الضوابط والشروط ومنها البعد عن الأكاديميات الجافة، والجمع بين الجانبين الأكاديمي والإبداعي، والبعد عن الاستغراق في الماضي.. ومحاولة استشراف المستقبل والعيش في الحاضر وطرح البدائل الحضارية.. العلمية والإنسانية.. وكذلك البعد عن الصراعات السياسية، والإلتزام بالتصور الإسلامي المحكوم بالقرآن والسنة.

> **** كثير من ابناء الامة الاسلامية قدَّموا للمستعمر ما لم يستطع هو الوصول اليه.**
>
> **** المتناقضات في الفكر والعمل هدمت بعض ثوابت هذه الامة.**
>
> **** التواصل الفاعل بين الجامعات، وبين المؤسسات الدولية ضرورة للتجويد والتفعيل.**

وتستطيع المؤسسة أن تفكر في مشروعات أخرى كثيرة.. لا تتولى هي تنفيذها بل تتولى الوقوف وراءها، والاتفاق مع الجامعات على تنفيذها.. وهنا يقع الانقلاب والتحول وتنتهي المركزية المختزلة.

«فمثلا» يمكن أن تتخصص كل جامعة بتدعيم نوع من العلوم.. حسب محيطها العلمي والبيئي، مع اشتراكها في العلوم الأخرى.

ويمكن تقسيم الجامعات الى (مناطق جامعية) بحيث تقسم الجامعات الإفريقية مثلا

الى خمس مناطق رئيسية، وتقسم الجامعات الأوربية الى ثلاث مناطق.. والأمريكية الى عشر مناطق.. والأسيوية الى عشر مناطق - مثلا.. وهكذا، تكون ثمة (جامعة مركزية) في كل منطقة تتولى التنسيق في كل منطقة جامعية.

ويمكن تقسيم بعض المراكز الإسلامية النشطة والكبيرة الى مناطق أيضاً. فالقياس هنا ممكن وصحيح!!.

وعلى المقر الرئيسي أن يعمل على المساعدة في تقريب شروط القبول والتخرج ومعادلة الشهادات.

«ومثل هذا يقال في نشر التراث الإسلامي والثقافة الإسلامية والتعريف بالإسلام والتصدي للأباطيل والشبهات الموجهة إليه والى المسلمين.. فيطلب من كل جامعة أو مركز إسلامي أن يتبنى خطة يكون هو المسئول عن تنفيذها.. وإن مقر الاتحاد يمكن أن يقدم العون - عند الاتفاق - في الحدود التى يمكن الاتفاق عليها، كتأمين عدد من الكتب، أو الدعم المالي (عن طريق الوساطة لدى القادرين) وتقديم المشورة والخبرة.. والدعم الإعلامي والمعنوي.. والمساعدة على تحقيق تبادل المعلومات مع الجامعات والمراكز الأخرى على أساس أن المركز الرئيسي هو «المنسِّق والميسِّر».

ويمكن عن طريق التعاون بين عدد من الجهات والقادرين، الاشتراك في مشروع (الألف كتاب الإسلامي) بحيث تختار له خمس لغات هي: (العربية - الإنجليزية - الفرنسية - الأوردية - السواحلية).

إنه مشروع طموح يحتاج الى مزيد من الدراسة والتفصيل.. ومن خلال هذا المشروع يمكن استيعاب المجالات التالية:

أ - التعريف العصري بالإسلام.

ب - تبسيط اللغة العربية وتقديم قواعدها من خلال النصوص الأدبية.

ج - بناء ثقة المسلم في دينه وحضارته.

د. غرس روح الإقلاع والشعور بالمسئولية نحو الإنسانية.. (رسالة الشهادة على الناس والوسطية)

هـ - تعرية أشكال الغزو الصهيوني والتنصيري من خلال التعريف بأعمدة الغزو الأساسية: التوراة - التلمود - البروتوكلات - الماسونية بجمعياتها - العولمة - اللائكية - التنصير بوسائل - الحركات المساعدة كالبهائية والقاديانية والحبشية - والقوميات اللادينية التي تركز على الوثنيات القديمة كالآشورية والفرعونية والطورانية والفارسية... الخ.

ولنتذكر هنا أن الدين قد انهزم في الغرب ، فهو أرض فارغة، لكنها لا تجد القادرين على ملء الفراغ، وحسبنا أن نعلم أن بعض الكنائس تستعمل وسائل لا أخلاقية في جذب الرواد، وكثير من الكنائس تباع للمسلمين.

وعندما طلب مني التعاون مع جامعة روتردام الإسلامية (بهولندا) التي تعجز عن استيعاب المتقدمين لقلة الإمكانات.. كنت أبتسم من قلة عدد طلابها بالنسبة للجامعات في بلدي مصر.. لكن مدير الجامعة أطلعني على عدد طلاب الجامعات الدينية في هولندا، وبعضها يعمل منذ عشر سنوات.. فالجامعة الدينية الكاثوليكية في أوتريخت طلابها (٨٨ طالباً) ، والجامعة الكاثوليكية في نايمايخن طلابها (١٢٤ طالباً)، والكلية الدينية في تيلبورخي طلابها (١٤٢ طالباً)، والجامعة الكاثوليكية في كامبن طلابها (٢٠٩ طلاب)، والجامعة الحرة بأمستردام تضم (٧٥ طالباً).

وهم يعجبون لأن جامعة روتردام الإسلامية وصل عدد طلابها مع مطلع السنة الثالثة ٢٥٠ طالباً، وتخطط

**** الاسلام الذي لجأ إليه الكثير من الاوروبيين وآمنوا به طواعية يحتاج منا الى البراعة والدقة في اسلوب العرض.**

**** سلوكيات المسلم المتناقضة مع مبادىء الدين تسىء كثيرا للدين نفسه.**

للوصول الى ٥٠٠ طالب خلال السنوات الثلاث القادمة بإذن الله.

وهذا يجعل من دعم الجامعات والمراكز الإسلامية في أوربا فرضاً لازماً.. وذلك من خلال:

أ - تزويدها بالمكتبات باللغات العربية والأوربية، وبكتب تعليم اللغة العربية.

ب - تزويدها بأشرطة الفيديو والكاسيت.

جـ - تزويدها بالمعامل الخاصة بتعليم اللغة العربية.

د - تزويدها بمعلم أو أكثر حسب القدرة.

هـ - تحريك فعاليتها الثقافية وفق الخطة التي ألمعنا إليها سلفاً.

أتذكر الآن أمراً يستحق أن تفكر فيه هذه المؤسسات - بشكل تعاوني - من خلال إدارة تنسيق مركزية.

- إن هناك في عالمنا الإسلامي مأساة اسمها «البحوث الأكاديمية - أطروحات الماجستير والدكتوراه» فأغلب هذه البحوث لم تظهر للنور.. ومهما قيل عن نمطية كثير منها وتقليديته، فمما لا شك فيه أنها أقوم من كثير مما يظهر للأسواق دون ضوابط.

- وحبذا أن يظهر مشروع يتولى أمرين مهمين:

أولهما: تبسيط هذه الرسائل وغربلتها وتقليص حجمها وإخراج جوهرها ونتائجها، والجديد فيها للباحثين والمجتمع، ويتحقق ذلك عن طريق مناشدة الجامعات الأعضاء بأن يتوجهوا الى باحثيهم بالرغبة فى تقديم زبدة أطروحاتهم فيما لا يزيد عن خمس ملازم (٨٠ صفحة) ومعدل الصفحة لا يزيد عن ٢٥٠ كلمة.

مجردين هذه الأطروحات من المقتضيات الأكاديمية، وصور الإسهاب التي لا يحتاج إليها القارىء المثقف.. الى غير ذلك مما ييسر البحث على القارىء المثقف.

والأمر الثاني: التعاون بين المقر الرئيسي والجامعات .. والباحثين .. وبعض هيئات ووزارات التشجيع العلمي والدعوى.. لإخراج هذه البحوث الرصينة الى الناس.. وليس هذا التعاون بدعاً فالسلاسل التى تظهر في مصر مدعمة للناس تحت اسم (مهرجان القراءة للجميع) تتعاون على إصدارها نحو سبع جهات.. والمشروع الذى كان يظهر في لبنان تحت اسم (زدني علماً) كانت تتعاون فيه عدة جهات من بينها مثلا شركة الخطوط الفرنسية.

فهل يحرم علينا أن نحلم بصور من التعاون تخرج كثيراً من الكنوز المطمورة للأمة التي يحاول تغييب وعيها وتزييف ثقافتها كثيرون متعاونون على الهدم.

▪ وأيضاً ..:

- إن كثيراً من المؤتمرات قد تركت توصيات كثيرة، فلم لا تشكل لجنة مصغرة لدراسة هذه التوصيات وتنظيمها واستخراج الممكن والملح منها، ووضع خطة لتحريك هذه التوصيات في اتجاه الواقع، ومن خلال خطة تقوم بتكليف بعض المؤسسات والهيئات بتنفيذ

قدر محدد من هذه التوصيات يناط بها، وتساعد على انجازه.. وقد يقتضي ذلك التعاون بين أكثر من هيئة.. المهم أن يكون هناك (دليل للتوصيات) التي أفرزتها مؤتمرات ربع القرن الأخير في الحقول المختلفة التي تقود الى السير العملي في طريق التقدم ولو بخطوات بطيئة وهادئة، ولعل هذا هو الذى منعني في هذه الورقة أن أقدم توصيات كثيرة.

ـ نداء أخير :

ويبقى أمر أساس لابد من دراسته من قبل الهيئات الإسلامية والعربية الدولية.. وإن تجاهله يحبط كثيراً من جهود التقدم والبناء.

ففي المحيط الإسلامي ـ والعربي منه بخاصة ـ تجاوزت بعض النخب السياسية والفكرية كل الخطوط الحمراء، وأصبحت ـ سواء أدركت ذلك أم لم تدركه ـ تخدم الصهيونية والماسونية وبقية قوى الهدم للأمة الإسلامية.

وقد تكون هناك بعض الأخطاء الفردية ـ أو الأخطاء المدعمة خارجياً ـ لتبرير هذا السلوك الذى يحارب ثوابت الأمة ويريد اقتلاعها كلها تحت مسمى (تجفيف المنابع)، ولذلك فهو يحارب الكتاتيب والمساجد والتعليم الإسلامي واللغة العربية، وينتصر للفرنكفونية والأنجلوسكسونية، ويضطهد كل رجل يظهر التزامه بالصلاة أو العبادات وكل امرأة تبدي رغبة في الاحتشام والالتزام.. ويعمد إلى تدمير البنى الأساسية التي لم يجرؤ الاستعمار على الاقتراب منها.. ويوجه كل طاقاته التربوية والتعليمية والإعلامية والثقافية ضد الإسلام والعربية، وهو ـ بهذا ـ يقدم للاستعمار ما لم يحلم به، بل ما لم ينله طيلة فترات استعماره، كما أنه يحبط كل الجهود التي تبذلها الأمة بمؤسساتها جامعية أو ثقافية أو دعوية.

ولابد من الوصول الى جسور للتواصل مع هؤلاء وتعميق العلاقة معهم، وجذبهم بعيداً عن هذه الخيانة الدينية والحضارية، وتبصيرهم بطرق ـ يقبلونها ـ بأخطار هذا التناقض مع سياق الأمة ومنهجها وثوابتها.

وإن الابتعاد عن هذا الأمر اعتماداً على أنه من المحظورات، أو على أنه قد يبدو تدخلا في الشؤون الداخلية، أو تدخلا في السياسات العليا.. هذا الابتعاد يجعل قطارنا الحضاري يتأرجح في مكانه ويتأخر أكثر مما يتقدم.. «فلن يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبني وغيرك يهدم».

ـ ونحن نطالب باستخدام وسائل مقبولة للتواصل والتفاهم والحوار.. وسلوك قنوات محترمة من الجميع.. أما الصمت المطلق، فهو رصيد يصب في خندق الإحباط، ويستغله خصومنا الحضاريون الذين يسعون الى شل فاعليتنا وتفكيك نسيجنا.

هذه خواطر .. ومقدمات..

واعتقد أن الاستراتيجيات والإعلانات والبحوث والتوصيات والقرارات التي قدمت في نصف القرن المنصرم.. تحتاج منا الى تحريك وتفعيل.. تحتاج الى روح.. تحتاج الى دعوة ودعاة.. تحتاج الى اخراج لها من عالم التكديس.. والكم .. والفوضى.

ـ ولا تحتاج الى مزيد من الأقوال.. أكاديمية كانت أو إبداعية.. فدرْهمٌ من الفعل الحقيقي خيرٌ من قنطار من الكلمات المكرورة.

ـ لنستثمر ما عرفناه.. ولنحوله إلى برامج وأعمال .. كما فعل أسلافنا الذين كانوا يكتفون بالقليل من القرآن الكريم .. مع التدبر والعمل والتغيير. وبالله التوفيق.

العنوان وتمظهر الآخر

لطرح قضية العنوان وتمظهر الآخر من خلاله لابد من التعرض لعنصر المكان لأنه هو الذي يحدد «الفضاء» وفي غيابه لا يمكن إيجاده، هذا إذا أردنا تحديد المصطلحين بدقة - المكان والفضاء - ولكي لا نخلط بينهما.

إن المكان هو الذي يؤطر الفضاء وبهما معا يتحدد المجال إذ الفضاء أوسع من المجال وبدونهما (المكان والفضاء) لا يمكن أن تحدث الحركة، والعلاقة بينهما تتحدد باستغلال المجال الذي يتمظهر فيه الآخر من خلال العنوان أو الرسم المرفق له.

في تفحصنا لدواوين الشعر الجزائري المعاصر لم نجد من الرعيل الأول من اهتم بهذا العنصر واستغلاله حسبما يجب. وأقصد بالتحديد استغلال مساحة الصفحة وطريقة الإخراج وبروز الآخر إلا من خلال الحرف الطباعي الآلي.

وبعد الستينيات نجد من الشعراء من اهتم بإخراج الديوان ومنحه نبرا بصريا مميزا يعمل على استقطاب إدراك المتلقي وجذب بصره، وتفننوا في إبراز «كاليكرافيه» العنوان بطرق شتى وبخطوط عدة، **لأن نبر الصورة ونبر العنوان** هما أول ما يصافح المتلقي ويصدم بصره، وأصبحتا بمثابة العلامة الدالة على شيء مجهول تقوم بتعريفه والإشارة إليه وهو «كالاسم للشيء به يعرف وبفضله يتداول»[١] وهو مؤشر سيميائي ومفتاح للنص وأولي عناية فائقة من قبل الشعراء فكتبوه بخط يدوي مميز، أو بأحرف طباعية لافتة للنظر تميزه عن «النص المتن». وكان للفنان - أقصد الآخر - الحظ الأوفر في كتابة عناوين الدواوين والقصائد. كما كان للذات الشاعرة حضورها الأوفر في تشكيل العنوان أو اللوحات التى تتصدر الدواوين سواء برسوماتها أو بإضفاء بصماتها من خلال إيحائها للفنان بما ترغب في تجسيده كواقع شعري في لوحة زيتية تتصدر الديوان.

إن العنوان بالنسبة للشاعر هو عبارة عن إنجاز عملية معقدة - عند بعض - من الصعوبة الظفر بها لأن الإيقاع يلعب دورا كبيرا في تجسيد الصورة، ومن ورائها الحكمة التي يريد الشاعر نقلها وتبليغها الى غيره، وكيف يتم التجاوب بينه وبين القصائد؟ فهو رسالة محملة بهموم القصائد التى يضمها الديوان، لذا فهو يحتل موقعا متميزا إذ يتصدر اللوحة بالنسبة للغلاف، والصفحة بالنسبة للقصيدة، بوصفه نصا أصغر MICRO TEXTE ويقوم بوظائف ثلاث: إذ يحدد، يوحي، ويمنح النص الأكبر MACRO TEXTE قيمة، ويفتح شهية القراءة La fonction aperitive كما يقول: ر.بارت[٢].

إن العنوان الذي يتصدر الديوان - بالخصوص - هو ما يميز الهوية ويعلن عنها من بعد. فعندما يصطدم بصرك بخط هذا العنوان «قصائد للحزن وأخرى للحزن أيضا»[٣] لا يمكنك إلا أن تقول بأنها مغاربية أي أن تضعها في الدائرة الكبرى أولا ثم تقوم بنقلة إيقاعية فتحدد جغرافيتها بدقة ثم تضعها في الدائرة الكبرى أولا ثم تقوم بنقلة إيقاعية فتحدد جغرافيتها بدقة ثم تضعها في الدائرة الصغرى «الوطن الأم» بعد القراءة طبعا لأن الخط المغاربي نبره البصري واحد. وبالتالي فالآخر - الخطاط - مغاربي يحمل - ربما - نفس الهموم والمتاعب والأهداف.

أما اللوحات الفنية التي تتصدر أغلفة الدواوين فهي تحمل في أجنحتها مؤولاتها الدلالية، فهي ناطقة

بقلم : **عبدالرحمن تبرماسين**
ماجستير في الأدب المغاربي القديم - جامعة محمد خيضر - الجزائر

بغير لفظ، ومشيرة بغير يد، «كالنصبة» كما يقول الجاحظ. وتنطبق تمام الانطباق على ديوان «النصر للجزائر» الذي صممه الخطاط يوسف الاضرع واختار له الألوان الوطنية، أما «الحرف الضوء»[٤] و«ألحان من قلبي»[٥] و«من عمق الجرح يا فلسطين»[٦] فإن نبرهم متميز ودال بألوانه الزاهية وسيرياليته التي تميز معظم لوحات الفنان «الطاهر ومان». إن التمييز يبلغ درجة إيقاعية كبيرة ودقيقة في «أغنيات النخيل»[٧] إذ لا يكفى الإيقاع البصري بالدليل على أنها جزائرية فقط وإنما يغوص في عمق الدائرة الأصغر ليجسد هوية متميزة في واقعنا الجزائري خاصة والإسلامي عامة، فتنقلنا الحركة والصورة الإيقاعية الى غرداية، فمن لا يعرف «محمد ناصر» فإن إيقاع اللوحة يحدد ويمنح عنوان ولادته - إن صح التعبير - ولا يكتفي بذلك فهو يوحي بخصوصيات الوسط الجغرافي والتراثي والثقافي والديني والاجتماعي والعمراني، فهو صدع ورجع بين اللوحة والقصائد والبيئة والمبدع لها (الآخر) والشاعر. في حين تتعرى لوحة قصيدة «غرداية»[٨] من جميع مميزاتها الفنية التي جاءت متناقضة مع بيئتها أمام لوحة «أغنيات النخيل» التي تتزاحم فيها القباب والنخيل والألوان المتساقطة من أشعة الشمس. فالانسجام لم يحدث بين الآخر الذي لا يحمل أية فكرة عن مجتمع غرداية ولا عن هموم الشاعر ومعاناته فتمظهره تغلبت عليه الناحية المادية التى أزاحت أمامها كل القيم الفنية والأدبية التي سعى الشاعر من أجلها لتخليدها والتغني بها ونتج عن ذلك قطيعة تامة بين العنوان واللوحة المرفقة له والتى تجسد تمظهر الآخر .. الشيء الذى خلق أزمة فنية بين الشاعر والآخر أساسها الصراع بين الروحي والمادي والضحية المتلقي المتذوق.

إن إيقاعات الألم والمنفي والهجرة القصرية وعذاب الغربة والعمل في الخنادق والأنفاق والمناجم تجسدها لوحة «العودة الى ثيزي راشد»[٩] التي تشغل حيزا ضيقا في وسط أسفل الصفحة كما يشغل المهاجر حيزا لا يتعدى مجالها الفضائي سريرا في غرفة محتشدة، فهي معادل إيقاعي للقصيدة التى يضمها الديوان، ومعادل درامي نقش جرحا عميقا في نفسية الشاعر، فصورتها القاتمة اللون تجسد الفجيعة التي راح ضحيتها عمال جزائريون من بينهم شقيق الشاعر. واللوحة مجهولة التوقيع لا نعرف هويتها إلا بعد السؤال، كالذين ماتوا تحت الردم لا يُعرفون إلا بعد التحقيق. فالآخر لا يتجلى ولو من خلال التوقيع المعهود عند كل الفنانين الذين يوقعون في الغالب لوحاتهم، وهو متضامن بالفعل مع المغمورين تحت الردم بل ومنتم ومُتَّحد معهم في الهجرة والغربة والهوية. هنا تكمن العلاقة الإيقاعية بين هوية اللوحة وهوية المغترب في اللاانتماء إلا للغربة والمنفى، واللوحة هي تطابق لما في «قصيدة الوصية».

أما إيقاعات «وحرسني الظل»[١٠] فانها تختلف كل الاختلاف عن سابقتها فهي أقرب في حركتها الإيقاعية من «أغنيات النخيل» إذ تحتل موقعا متميزا في الغلاف ونبرها عالي الشدة وواضح يتجسد في الحرف الأمازيغي وفي اللون الأصفر الذي رافق المرء الأمازيغي عبر العصور، وفي قسمات الوجه وبريق العينين، وفي تشققات اللون الأسود الذي يمثل البيئة الجبلية التي انحدر منها الشاعر - وهي منتمية متحدية - هذه كلها عناصر تشكل حركة صراع قائم على الصدمة وإثارة الصدمة. فأول ما يصدمنا هو الحرف الأمازيغي الذي كان محرما ليس من التداول فقط، إنما من البروز. وما تثيره الصدمة هو خيانة الحبيبة لفتاها المهاجر. وبين لوحة «وحرسني الظل» وقصيدة «ثيزي راشد» تناغم إيقاعي وتجسيد لآلام الضياع وانفجار لشحنات وجدانية.

إن نبر الصورة يبقى هو العنصر الإيقاعي المميز لهوية الديوان فصفحة «خضراء تشرق من طهران»[١١] يشغل مكانها وفضاءها صورة «الإمام الخميني» ويكسوها اللون الأخضر كعنصر رجع وصدى لكلمة خضراء: أما «قصائد مجاهدة» فاختار لها صاحبها لوحة من فن المنمنمات الإسلامية وتبقى بقية لوحات دواوين مصطفى محمد الغماري «عرس في مأتم الحجاج» قراءة في آية السيف» وغيرها توحي الى القاريء بما يبوح به الشاعر، وتفرده عن غيره وتوضح انتماءها العقائدي والأيديولوجي. والوحيد من حافظ على تبوء البسملة مختلف دواوينه.

إن الآخر لا يتمظهر إلا من خلال ذاتية وعقيدة الشاعر مصطفى الغماري وانتمائه الأيديولوجي.

في الجيل الجديد من الشعراء من يتقن الفنين معا الشعر والرسم كـ: عز الدين ميهوبي وعثمان ولوصيف، لكنهم يودون إشراك غيرهم في منح دواوينهم توقيعات ببصمات غير بصماتهم، لأنها أكثر جاذبية وإثارة، وأوقع في النفس، وتملأ فضاء الصفحة بكامله كما: «في البدء.. كان أوراس»[١٢] و«اللعنة والغفران»[١٣] و«قالت الوردة».

أما يوسف وغليسي فلم يكتف بلوحة واحدة لديوانه «أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار». الأولى تغطي واجهة الديوان (رسم قرورو) والثانية في الصفحة الموالية للغلاف (رسم فضيلة) لأن أوجاع الشاعر كانت أعمق من أوجاع الصفصافة في مواسم الإعصار. إذ هي نوع من الإسقاط. وإيقاعات أوجاعه أقوى وأعمق وأكثر حركة من إيقاعاتها. فالسند الى الآخر هو السبيل للتخلص من حدة الآلام وتمظهر الآخر في اللوحتين يتجلى في طبيعة الانتماء لكل من الرسام والرسامة فالأول فضل ابراز الحرف العربي الذي يعتمد على الانحناءات وهي السمة البارزة في الفنون والفكر الإسلاميين، ويحمل في جنباته هالة القداسة المستمدة من الكتاب والدين. أما الثانية فانتماؤها يتفجر من الداخل فكانت الصفصافة معادلا موضوعيا لجسد الأنثى فأسقطت أجزاء من أنوثتها البارزة والفاتنة التي تعمل على إثارة الآخر على جذع الصفصافة ليتغلب عنصر التأنيث على عنصر الانتماء الأيديولوجي.

والسؤال المطروح على الشاعر هل هذه المزاوجة في اشتراك الآخر وتمظهره من خلال انتمائه أو ما يحس به يخدم المعنى ويجمل النص؟ أم أن الشاعر تتنازعه نزعتان:

أ - الانتماء لليمين.

ب - عدم التفريط في الآخر.

إن تعدد الآخر من خلال اللوحتين يفرض طرح السؤال بقوة، ولا أظن بأن المقصود في ذلك هو تجميل الديوان والمتن فقط بل كسر لسيادة الذكور على الأعمال الفنية.

قديما كان العبور من الخط اليدوي الى الخط الطباعي أمراً يتطلبه العصر لظهور تقنية الطباعة الآلية وتوفيرها لجهد كان يقوم به العديد من النساخ، أما الآن وبعد أن بلغت الحضارة الإنسانية ما بلغته من تقدم إعلامي تقني وفر كل الشروط والخصائص الجمالية التي يرغب فيها المبدع. أصبح يبحث عن طريقة العودة بالعبور من حيث انطلق لا لأنه يرفض تقنيات الحضارة وإنما لينقل بصر قارئه من وضع إلف الحرف الآلي وشكله الطباعي الى وضع مغاير تماما أي أنه يغير له الإيقاع البصري الذي تعود عليه إلى إيقاع لم يألفه، إيقاع الحرف المخطوط بعناية ودقة، إيقاع سمتي روعيت فيه مقاييس الجمالية في انعراجاته وامتداداته وانفراجاته في سمكه ورقته، ليشبع رغبة البصر في رؤية حركة الخط ويمتعها مثلما تتمتع النفس بالقراءة وحركة الصورة أي أنه يستحوذ على لحظتي المتعة: متعة الذهن بالقراءة، ومتعة البصر بالرؤية، وليقرن لذة الإشباع بين العين والأذن، فالعين

والأذن لا تشبعان من البصر والخبر كما يقول المثل العربي[*].

فالنظر الى القصيدة وهي تحتل موقعا فوق الصفحة أولى عناية فائقة لاستغلال المكان والفضاء ليخرج القصيدة في حلة زاهية، ومن ثم يمنحه نسبته ومنشأه كالقصائد التالية: قصيدة الزلزلة. حنين، انتصار، للشاعر يوسف وغليسي.

ومن شعراء الجزائر الذين أولوا عناية فائقة لدواوينهم وحرصوا أيما حرص لتخرج في حلة تصافح المتلقي وتجعله يحس بحلاوة النغمة مقرونة بحلاوة الخط الشاعر الدكتور أبو القاسم سعد الله في ديوانه «النصر للجزائر» الطبعة الثانية، ميز بين المقدمة والقصيدة الشعرية، اعتمد في الأولى الحرف الطباعي وفي الثانية الخط اليدوي «النسخي» في جميع القصائد مدعمة بلوحات يتصارع فيها الأبيض والأسود، ومستوحاة من القصائد ذاتها، وذلك ليقدمها الى جمهوره في هيأة عمل فني يثير نشاطه العقلي، ولتصبح هذه الإثارة عبارة عن مناجزة ذهنية لدى القاريء المتأمل. وتلك هي المتعة العقلية التي يسعى كل شاعر أو مبدع في خلقها أو بثها في الآخر من خلال عمله الفني. في هذه الحالة تصبح اللفظة الشعرية غير مكتفية بنفسها مهما أوتيت من دلالة ومن قوة إيحاء لأنها تبحث عن انجاز زخرفي يرققها ليكمل جمالها ويتمم معناها.

لقد تنبه الشاعر الجزائري مثله مثل اخوانه الشعراء في المغرب والمشرق الى هذه الظاهرة الفنية التي تجعل من الديوان مجموعة من اللوحات الزخرفية التي تجعل المتلقى يقف أمامها ملاحظا ومتأملا ومتفحصا وناقدا في ذات الوقت، فظهرت سلسلة من الدواوين بأشكال خطية فنية رائعة من: الخط النسخي، والرقعة والثلث، وبخط فني آخر جديد تستعمله المجلات الفنية بكثرة (كاريكاتوري) وهذه الدواوين هي: «عرس في مأتم الحجاج، قراءة في آية السيف، أغاني الزمن الهادي، قصائد غجرية، أجراس القرنفل، في البدء كان أوراس، أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار، السفر الشاق.

إن سبب اختيار الشعراء لهذه الطريقة هو «خدمة المعنى، والإفصاح عنه من جهته تجميل شكله»[١٤] وتعويضا لفصاحة اللسان بدقة القلم، وجهارة الصوت بسواد المداد[١٥] فجمال الخط ووضوحه يسهل من عملية القراءة ويقرب العمل الأدبي من قارئه وفي ذلك تعويض للإلقاء واختيار للمواجهة البصرية بدل المواجهة السمعية، ومراعاة إيقاع التناسب والتناسق بين الحروف، كما يراعي في إيقاع الوزن التجاور والتجانس بين التفاعيل. فمثلما يبعث الشعر بهجة وحركة في النفس، يقوم الخط بكسر الإيقاع الساكن الذي يطغى على المكان فيملأه دبيبا وحركة، ومثال ذلك قصيدة [١٦] «آه يا وطن الأوطان» التي تملأ الصفحة أي تشغل مجالا

**** النبر البصري المميز يعمل على استقطاب ادراك المتلقي وجذب بصره.**

**** الخطوط المُشَكِّلَة للعنوان واللوحات المختارة بدقة، تضيف ابداعاً للابداع.**

**** العنوان: رسالة مُحَمَّلَة بهموم القصائد التى يضمها ديوان الشاعر.**

**** اللوحات الفنية التي تتصدر أغلفة الدواوين تضيف إيقاعية مُشَاهَدَة لإيقاعية الكلمة المقروءة.**

**** إيقاع الحرف المخطوط باليد بعناية ودقة يشبع رغبة البصر والنفس.**

**** الزخرفة المحيطة بالنص أداة اتصال بين الحاضر والماضي.**

في فضائها كقصيدة أولا، وكلوحة فنية ثانية، كقصيدة زينت بها اللوحة ثالثا. أي أن هناك نوعا من التداخل في الأشياء داخل المكان ليشغل فضاءه بأبعاد ثلاثية:

أ - جمال الشكل والمضمون.

ب - جمال الصنعة والحبكة.

ج - المتعة والمناجزة العقلية[١٧].

بهذه الأبعاد أصبحت القصيدة علامة ناطقة ومشيرة ومنتمية بفضل التأطير الزخرفي بخطوط تراثية جزائرية. وأيقون دال على الانفتاح على الموروث الثقافي وعلى الانتماء لوسط جغرافي محدد بالوطن «الجزائر». والصراع القائم بين الأسود والأبيض هو نفسه الصراع القائم بين الأطراف المتناحرة في الجزائر على سدة الحكم، همومه وعذاباته يتكبدها الشعب والوطن، هو تأويل سيميائي لإيقاع يتناغم بين الشكل والمضمون.

إن الزخرفة المحيطة بالنص هي أداة اتصال وتواصل بين الماضي والحاضر كاللغة تماما ولا فرق بين المستوى اللغوي وتركيبه والمستوى الزخرفي وتشكيله لأن الأول: هو «تشكيل زماني وتعبير صوتي» والثاني هو «تشكيل مكاني وتعبير بصري كالعمارة»[١٨] وهما معا يشكلان ما يمكن أن نتفق عليه ك «تعبير سمعي بصري» إن معظم الزخارف التي يضمها ديوان «أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار» لم تخرج عن إطارها التجريدي الذي يجسد طقوس الانتماء. فإيقاعاتها التجريدية تؤكد هويتها ضمن الدائرة الأكبر، دائرة الإسلام مثل: فاتحة الأوجاع، غربة وتعب، طلاق، مهاجر غريب في بلاد الأنصار، حلم من أوجاع الزمن الأموي.

إن الايقاع في الفن التجريدي - الإسلامي خصوصا - يتعانق مع إيقاع أصوات اللغة العربية كلاهما يعتمد على المشبك الثلاثي، فالكلام: اسم وفعل وحرف. والأشكال الأساسية ثلاثة: المثلث والمربع والدائرة. إن لم نقل الدائرة هي الأصل لأن الأشكال تستخرج منها و«كأن المشبك اللغوى هو المشبك الزخرفي»[١٩] فتداخل اللغة في بنائها وفق المنطق المعهود (الفعل + الفاعل + المفعول. أو المبتدأ + الخبر. أو المسند والمسند إليه) كتقاطع الخطوط وتكرار الحروف في تشكيل شبكة زخرفية تخضع لقوانين فنية تعتمد على التناسق والتناسب في بناء مشبك زخرفي أو عمارة كالقصيدة - تماما - التي تتوفر فيها شروط الحيوية والنماء التى تمنحها حركة إيقاعية تنبض بالحياة، فجمال اللغة لم يكتف به الشاعر المعاصر، ولم يشبع نهمه الإبداعي فراح يبحث عن شيء يتمم النقص الذي يشعر به فوجده في السمت الخطي وفي الشكل الزخرفي، وفي اللوحة المناسبة للقصيدة ليحدث تجاوبا عاطفيا سحريا ورمزيا بين المتأمل والعمل الإبداعي، والزخرفة والقصيدة، ليمنح

قصيدته بعدا فنيا وروحا تثير الدهشة وتهبها هالة من الفخامة والخلود.

إن القول بتجريدية الزخرفة لا يمنح أي شيء يزيد من العاطفة ويقوي الخيال، فوظيفتها لا تتعدى حدود التأطير، أو إعطاء قسط من الجمال الناتج عن التكرار، أو التقاطع والتعامد. إن مثل هذا القول هو اعتراف بوظيفتها الجمالية وخدمتها للمعنى والإفصاح عنه بتجميل شكله الذي يريح البصر ويمتع العين كالموسيقى تماما فهي لا تمثل أي شيء لكنها أشبه بالمشبك الصوتي تتداخل فيه الوحدات الصوتية والنغمات بعضها مع بعض وفق نظام داخلي خاص يمتع الأذن ويطربها و«يضع الرؤية في السمع» أضف لذلك أن هذه التجريدية هي وليدة الدين الإسلامي الذي حطم الأصنام وغير العقليات والمعتقدات وحول كل شيء الى ما ورائي أو الى تجريدي، ولذلك كان من الطبيعي أن يتخلى الفنان المسلم عن الفنون التى تجسد الجسد وتبرز مفاتنه وأن يبتعد عن المظاهر التى تمنح الظلال ومن ثم جاء ايقاع صوره إيقاعا تجريديا سطحيا. لا يعني ذلك أن الفلسفة الإسلامية تمنع البحث في العمق والحجم وإنما تتجنب بعض العناصر التي في الطبيعة كصورة الحيوان والإنسان وصنع تمثال له. كان هذا هو المعتقد، وإلا لماذا لا نعثر على فنون تجسد مظاهر الطبيعة الحية وتمنحها الظلال والعمق؟ وبالرغم من ذلك فقد تبحر المسلمون في مسائل أكثر تعقيدا من فنون الرسم والشعر، فكان مثلا علم الفلك والرياضيات والكيمياء من العلوم التى غاصوا فيها وأتقنوا دراستها. إذن مظهر التجريد والاهتمام بالخط مرده ديني بحت، وخدمة للدين والكتاب المقدس «القرآن الكريم» ومن ثم انتقلت العدوى الى الشعر وكتب اللغة، فأطروها ووضعوا لها الهوامش.

إن التجريدية في الفن الإسلامي تمنحنا دائما إيقاعا دائريا، وإن لم يكن ذلك فحلزونيا كما في فن المنمنمات، والقصائد التى أشرت إليها في ديوان: «أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار» تؤكد ذلك.

إن تمظهر الآخر يتجسد دائما في قالب الانتماء الذي يرفقه مراقب يتجلى في الضمير أو الدين ولو كان هذا الآخر منبثقا من الذات.

الهوامش:

(١) محمد الماجري الشكل والخطاب. المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ط ١ . ١٩٩١م ص ١٠٩.

(٢) لحسن احمامة. قراءة النص، بحث في شرط تذوق المحكي. دار الثقافة. المغرب ص ١٤١.

(٣) رضا بن حميد. الخطاب الشعري. مجلة فصول. المجلد ١٥ عدد ٢ صيف ١٩٩٦ ص ١٠٠.

(٤) ديوان لأبي القاسم سعد الله.

(٥) ديوان لأبي القاسم خمار.

(٦) ديوان لـ : محمد الأخضر عبد القادر السائحي.

(٧) ديوان لـ: محمد الأخضر عبد القادر السائحي.

(٨) ديوان لـ: محمد ناصر.

(٩) قصيدة في هيئة ديوان للشاعر عثمان لوصيف.

(١٠) ديوان لـ : عمر أزراج.

(١١) ديوان لـ : عمر أزراج.

(١٢) ديوان لـ : مصطفى محمد الغماري.

[*] قالت العرب: أربع لا يشبعن من أربع: عين من بصر وأذن من خبر وأنثى من ذكر وأرض من مطر.

(١٣) ديوان لـ : عز الدين ميهوبي.

(١٤) ديوان لـ : أحمد شنة.

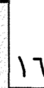
(١٥) رشيد يحياوي. شعرية النوع الأدبي. إفريقيا الشرق. ط ١ . ١٩٩٤م ص ١٥٠.

(١٦) نفسه ص ١٤٧.

(١٧) يوسف وغليسي. أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار. دار الهدى الجزائر ط ١ ، ١٩٩٥م ص ٨٠.

(١٨) د. الطاهر لدرع. بحث في خصائص الفنون الإسلامية وتطبيقاتها في فن العمارة. كلية العمارة. جامعة محمد خيضر بسكرة. الجزائر ١٩٩٩ ص ٠٦.

(١٩) نفسه ص ٠٩.



الآيــة الباهـرة فــي رحلـــة الطائرة!!

روى بعض الأعـراب عن أبي الشـمـقـمق[١] شـاعـر الـتـراب حكاية شـديدة الإغراب ما طرقت سمع أذن قط في سالف العهد، قال: سمعت وأنا بالبصرة عن أوبة ابن المقفع[٢] من سفرة وفيرة، فقلت لنفسي: ستغنى أبا الشمقمق بعد فقر مـدقع، وتسـعـد بعد شـقـاء مـوجع إن لقيت ابن المقـفـع ذا الجـاه الأرفع، والمال الأمرع، واللسن الألمع! فرحلت إليه، وجثوت بين يديه وأنشدته متلطفا مستعطفا:

أنـا فـي حـــال تـعـــالى الـلـه
ربـــي أي حـــــال!
لـيـس لـي شـيء إذا قــيــل
لـمـن ذا؟ قـلـت: ذا لـي
ولـقــد أهـزلتُ حـتـى
مــحـت الشــمسُ خـيـالي
ولـقــد أفـلـستُ حـتـى
حـلَّ أكـلـي لـعـيـالي!

فهز ابن المقفع رأسه، وصمت مليا ثم قال لي: بل أنا الذي محت الشمس خيالي، وتصرم جل مالي. أتخال أنني جمعت في رحلتي كنوز قارون وخزائن فرعون؟! وإني لعلي يقين أن ما تحقق خير من التبر والذهب يا أبا الشمقمق!

قلت: فمن أين قدمت يا أبا محمد ، وعهدي بك لا ترجع بخفي حنين صفر اليدين، ومثلك يُسترضى ويُعطى على فحولة بلاغته ورصانة صياغته؟!

قال : قدمت من أعالي الفضاء حيث يبلغ الهواء في كبد السماء!

قلت : ما كذب من رماك بالزندقة، أما آن أن ترعوي، وتغرف من منهل الحق وترتوي، وتقلع عن اساطيرك وأباطيلك، وقد وخطك[٣] الشيب!

فضحك ابن المقفع حتى كاد يستلقي، ثم أخذ بتلابيب أطماري[٤]، وأقعدني في شرفة الدار،



بقلم : **د. أحمد عطية السعودي** - الأردن

وقال : سأقص عليك اعجب الأخبار على أن تكتم عني، وأنت أعلم بقول الشاعر:

لا يكتم السرَّ إلا كلُّ ذي شرف
والسر عند كرام الناس مكتومُ!

قلت : في قعر بئر معطلة، لا ترومها دلاء القافلة، على أن تغذيني وتطعمني وتسقيني!

قال : على الرحب والسعة. ثم أسرّ إليَّ حديثه، فزعم أن عباس بن فرناس[٥] دعاه الى ضيافته في «قرطبة» مع عصبة من السادة الأعلام والصحب الكرام ذوي النظر في تقويم الأقاليم والأنام، وأنه أعد لهم مركبا عظيما ليطير بهم على الهواء دون زاد ولا ماء. قال ابن المقفع: فتعجبت من صنيع ابن فرناس كيف يقوى هذا المركب العظيم على التحليق في الفضاء واختراق الأجواء.

قال : فقال ابن فرناس - والصحب بين يديه يستمعون اليه: لا عجب أبا محمد ، فما صنعت هذا إلا بعد طول مران ومراس، فعمدت بادئا الى تمثيل السماء في بيتي بنجومها وغيومها، ورعودها وبروقها، ثم كسوت نفسي بالريش، ومددت لي جناحين، وقذفت نفسي من مئذنة هذا الجامع الكبير فطرت في الجو. وهأنذا اليوم استضيفكم أيها القوم في رحلة عبر هذه الطائرة الجاثمة، فهلم نصعد سلمها. فلما اقتربنا وجلنا وعجبنا، وقلنا: سبحان العزيز العليم، ما هذا إلا مارد عظيم، أو طائر الرُّخ[٦] القديم!

قال ابن فرناس: ما أعجبك وما أعجلك يا أبا محمد، تصدق أن الحيوان الأعجم ينطق ويتكلم في كليلة ودمنة، وتشك في هذه الطائرة، وأنت تراها رأي العين!

قلت : لا تؤاخذني بما جهلت، ولا تلمني على ما عجلت. فكيف إذن سيطير هذا المركب الكبير، ولو جئنا بمائة ثور وبقرة لما حركته قيد أنملة!

قال : لهذه الطائرة محركات عاتية تحرك المراوح تحريك الفارس على السابح، فتدفع الهواء بقوة الى الوراء فتندفع الطائرة الى الأمام بسرعة عالية على المدرج المعد، فإذا ازدادت قوة الدفع الهائلة تناقص وزنها، وتعاظم غيظها، فلا تلبث أن تهيج وتموج حتى ترتفع محلقة في جو السماء، وهي كما ترى مصممة كالطير لتغالب الهواء!

فلما صعدنا تغشّانا الهلع، وتداخلنا الجزع، وصحنا أين المفر والمفزع؟! فما هدأت نفوسنا إلا بالأقراص المهدئة وما قرّت عيوننا إلا بالمقاعد الوثيرة، والنوافذ الصغيرة، وروائح الطعام المثيرة. فما هي إلا دقائق معدودة، وإذا هي تمخر عباب الفضاء، وإذا نحن كالمعلق بين الأرض والسماء، وإذا البيوت تحتنا كالدمى الصغيرة، والطرقات كالأفاعي الخطيرة، وإذا الجبال الشاهقة كأشجار الحَوْر السامقة، وإذا الحدائق الغنّاء كخاتم في فلاة! ونحن نتسابق على النوافذ تسابق الجوارح على القنافذ!

ولما ذهب عنّا الروع دنوتُ من الطيار ابن فرناس، وعبثتُ بالأزرار والأجراس، فانتهرني وضربني على يدي فتقفعت، فقلت: حسبك قد زجرت وأوجعت!

قال : في هذه الأزرار تكمن الأخطار لمن لا يعرف الأسرار. ألا ترى إلى صحبنا الأبرار لا يتدخلون في عمل الطيار!

قلت : ومن هؤلاء يا بن فرناس؟!

قال : هذان العجميان المتشابهان هما «الأخوان رايت»[٧] وهما مساعدا الطيار ومكانهما كما ترى في غرفة القيادة، لأنهما في الطيران من أهل الريادة.

وهذا الخواجا «ماجلان» ملاح من البرتغال مولع بالأسفار والتجوال. وبجانبه الخواجا «فاسكودي جاما» محب للإبحار طامع بالاتجار.

أما هذا العلامة ذو اللحية البيضاء فهو «الإدريسي» وقد عهدت إليه أن يرسم خرائط جوية للأرض بدوائر الطول والعرض.

وهذا «ابن جبير» الرحّال الخبير ذو الباع في التطواف في البقاع.

وهذا الذي يليه «ابن بطوطة» الرحّال الأمين صاحب الخلق والدين، الشغوف بجمع الأخبار بعزم واقتدار، ومهمته أن يرصد كل شاردة وواردة.

وأما هذا الفتى اليافع فهو «ابن ماجد» ، ومهمته أن يرشد الخواجا «فاسكو» وأن يرسم مخططاً للطرق البحرية، ويطربنا ويشدو.

وأما هذان الوالهان المتأملان السارحان المتيمان الوامقان الأنيقان فهما الشاعران: أحمد بن شوقي المصري[٨] وفوزي بن عيسى المعلوف شاعر «الطيارة» المعروف[٩]!

ثم التفت إليهم وأشار اليّ وقال: وأما هذا فابن المقفع الذي «يحوك الكلام على حسب الأماني ويخيط الألفاظ على قدود المعاني، يجتبي من الألفاظ أنوارها، ومن المعاني ثمارها، ناظم سلك البلاغة وقائد زمام البراعة، إذا أوجز أعجز، وإذا شاء أطال» فلما فرغ ابن فرناس قلت: عرّفت بهذه النخبة فأبدعت، فمرحى مرحى رجال العلم والأدب، أنتم مصابيح الدجى، ومنارات العلا، وهداة الأجيال فشمروا وجدوا فإنما الأمم عقول الرجال وسواعد الأبطال.

وبينما الطائرة تحلق فوق الجداول والخمائل إذ رفع «شوقي» عقيرته[١٠] مغردا كالبلابل:

تلك الطبيعة طرْ بنا يا ساري
حتى أريك بديع صُنع الباري
الأرضُ حولك والسماء اهتزتا
لروائع الآيات والآثار
ولقد نمرُّ على الغدير نخالُهُ
والنبت مرآة زهتْ بإطار
حلوُ التسلسل موجُهُ وخريرُه
كأنامل مرتْ على أوتار
ينسابُ في مُخْضَلة مُبتلّة
منسوجة من سُندس ونُضار!

فقلت له : أنت عندي أمير الشعراء، ولولا أن «المتنبي» لا يقنع بما دون النجوم لكان هو! فاهتز طربا وانتشى، فأنشأ في وصف هذه الرحلة المبهجة والطائرة المعجزة:

مركبٌ لو سلف الدهرُ به
كان إحدى معجزات القدماء
نصفُه طيرٌ ونصفٌ بشرٌ
يا لها إحدى أعاجيب القضاء
رائعٌ مرتفعاً أو واقفاً
أنفس الشجعان قبل الجبناء
حمل الفولاذ ريشاً وجرى
في عنانين له نار وماء
وجناح غير ذي قادمة
كجناح النحل مصقول سواء
يتراءى كوكباً ذا ذنب
فإذا جدَّ فسهماً ذا مضاء
فإذا جاز الثريا للثرى
جرَّ كالطاووس ذيل الخيلاء
يملأ الآفاق صوتا وصدى
كعزيف الجنّ في الأرض العراء
أرسلتهُ الأرضُ عنها خبراً
طنَّ في آذان سُكان السماء!

فتمايل «المعلوف» نشوان، وربت على كتف «شوقي»، وتدفق سيل الجيشان، فغنّى:

هي طيرٌ من الجماد كأن الجنَّ
في صدرها تحثُّ خيولا!
حمحمتْ تضربُ الرياحَ بنعليها
فشقّتْ الى السماء سبيلا
ثم مدتْ الى النجوم جناحين
وجرّتْ على السحاب ذيولا
غرقتْ في الأصيل حيناً وعامتْ
بعد حين تعلو قليلا قليلا!

وبينما نحن في متعة وإيناس أمرنا ابن فرناس بربط الأحزمةإيذانا بالهبوط على مدرج قرطبة فهوت

رويداً رويداً تجرّ كالطاووس ذيل الخيلاء، وألسنتنا تلهج بالتضرع والدعاء: بسم الله مجريها ومرساها.

قال أبو الشمقمق : فما فعل رفقة سفرك لما انتهت الرحلة وحطّت القافلة؟!

قال ابن المقفع : أما العلامة «الإدريسي» فأنزلته الطائرة في «صقلية» وصنف لملكها «روجر» سفراً عن هذه الرحلة سماه: [نزهة المشتاق في اختراق الآفاق].

واختار «ابن جبير» النزول في اسكندرية مصر ليدون ما عَنّ له من الخواطر والسوانح.

ونزل ابن بطوطة بفاس بأرض المغرب، وأملى فيها (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار).

وأما الخواجات فتاهوا في مجاهل الأرض، ولولا الدليل «ابن ماجد» وكتابه (الفوائد في أصول علم البحر والقواعد) لظلوا تائهين الى يوم يبعثون!

وأما «الأخوان رايت» فاحتالا على ابن فرناس حتى غافلاه فخطفا الطائرة الى أرض بعيدة نائية، يقال لها أوروبا، فحزن ابن فرناس وعاش بائساً بين الناس.

قلت : وأما أنت يا أبا محمد؟! فماذا عن الهدايا واللحم المقدد[١١]؟!

قال : وأما أنا فسعدت بهذه الرحلة، لأني استخرجت حديث «بيدبا» الفيلسوف و«دبشليم» الملك من خزائن الفرس لما هبطت بنا الطائرة في المدائن، وكشفت لنا الخزائن.

قال أبو الشمقمق : ما عجبت من أحد كعجبي من ابن المقفع، فقد ظل يحدثني عن رحلته حتى طلع الصباح، وسكتت «شهرزاد» عن الكلام المباح، والجوع يمزق احشائي حتى غدوت: «أجوع من كلبة حومل[١٢] وأضيع من «جرير» الأرمل[١٣]! فقلت معرضا به وبكتابه ورحلته:

ما جمع الناسُ لدنياهم
أنفع في البيت من الخبز
والخبزُ باللحم إذا نلتَهُ
فأنتَ في أمن من التُّرز!

فقال : أتهزأ بالعلم أبا الشمقمق، ولولاه لكنت أحمق!

قلت : عفوا . قد ندمت على ما قلت، فزدني من حديثك المشبع يا بن المقفع.

فأشاح بوجهه عني، وأشار إلى كتابه (كليلة ودمنة) وفتحه على باب «الحمامة المطوقة» فإذا عنوان جديد جذاب يستولي على الألباب قد حل مكانه، وإذا هو:

[الآية الباهرة في رحلة الطائرة]!!

الهوامش:

(١) أبو الشمقمق: مروان بن محمد، شاعر عباسي، عاش فقيرا محروما، ت ١٨٠هـ.

(٢) ابن المقفع: أبو محمد عبد الله بن المقفع، فارسي الأصل، رمي بالزندقة، فقتل سنة ١٤٢هـ.

(٣) وخطه الشيب: فشا فيه أو استوى سواده وبياضه، فهو واخط ووخاط.

(٤) التلبيب: ما في موضع اللبب من الثياب (ج) تلابيب. والطمر: الثوب البالي الخلق الجمع: أطمار.

(٥) عباس بن فرناس: مخترع أندلسي، وشاعر وفيلسوف، صنع الزجاج من الحجارة، وهو أول من طار في الجو ، ت ٨٨٧م.

(٦) الرخ : طائر خرافي أسطوري بالغ في وصفه القدماء.

(٧) الأخوان رايت: هما أورفيل رايت، ويلبر رايت، قاما بأول رحلة طيران سنة ١٩٠٣م.

(٨) احمد شوقي: شاعر مصري كبير عاش في قصر الخديوي، له ديوان «الشوقيات» لقب بأمير الشعراء (ت ١٩٣٢م).

(٩) فوزي المعلوف: شاعر لبناني مهاجر، لقب بشاعر «الطيارة» (ت ١٩٣٠م) وهو ابن عيسى اسكندر المؤرخ واللغوي المعروف (ت ١٩٥٦م).

(١٠) العقيرة: الصوت (ج) عقائر.

(١١) من القديد وهو اللحم المجفف في الشمس.

(١٢) حومل امرأة أجاعت كلبتها حتى أكلت ذنبها، كانت تربطها للحراسة بالليل، وتطردها بالنهار!

(١٣) إشارة الى قول جرير: هذي الأرامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر!

منى الذكير

تعتبر منى عبد العزيز الذكير من صحفيات الرعيل الأول بمنطقة الخليج العربي فهي من مواليد دولة الكويت عام ١٩٥٢م وبها تلقت تعليمها الابتدائي والثانوي الى عام ١٩٧٧م حيث التحقت بكلية الآداب قسم التاريخ بجامعة القاهرة.

وقد مارست العمل الصحفي منذ عام ١٩٧٥م حيث عملت محررة بجريدة السياسة وفي عام ١٩٧٦م انتقلت للعمل في جريدة القبس حيث التزمت بزاوية اسبوعية تعالج فيها قضايا اسبوعية نقدية، ثم انتقلت الى جريدة الانباء، ثم مجلة (أسرتي) لفترة ثم عاودت الى جريدة القبس.. تعلق على ذلك ليلى محمد صالح:

إن انتقال منى بين صفحات الصحف المحلية المختلفة ربما يعود الى رغبتها في التجديد والتغيير في كل شيء[١].

ومن معالجتها الصحفية الاجتماعية مقالة تتحدث فيها عن دور الجمعيات النسائية بعنوان (قبل أن تطالب المرأة بالمساواة) نشر بجريدة القبس في يناير ١٩٧٦م جاء فيها:

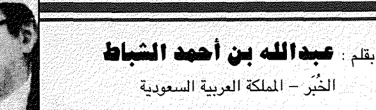
لنأخذ الجمعيات النسائية مثلا.. ماذا قدمت لمساندة المرأة بصفة عامة؟ هل أقامت حلقات توعية للأميات وندوات تعالج القضايا والمشاكل الاجتماعية الحساسة؟ ماذا قدمت للمرأة الأمية في الخيمة وفي العشة؟ ماذا كان تصرفها حيال المرأة الجاهلة الفقيرة التى تعتبر مهمتها الكبرى هي مجرد إنجاب أكبر عدد من الأبناء؟ الجمعيات النسائية تقدم الهدايا للمعوقين والمرضى والأيتام وهذا الحنان وتلك الرعاية مرغوبان.. وهؤلاء البشر محتاجون للعطف والرعاية لكن لا يجب أن يكون ذلك هو جدول أعمال الجمعيات النسائية الوحيد.

إن هذا مجرد نموذج لبعض كتاباتها الصحفية وهي في بدية مشوارها الادبي - أي عندما كانت طالبة في المرحلة الثانوية.

ومنى الذكير بالإضافة إلى ذلك التحرك الصحفي والمعالجات الاجتماعية عن طريق المقالة فقد خاضت ميدان القصة القصيرة، إذ صدرت لها في عام ١٩٩٨م مجموعة قصصية عنوانها (ظلال سحرية).

ومنى الذكير رغم ممارستها للعمل الصحفي المتزج بالمجتمع على اختلاف فئاته ركزت على أن تكون قصص مجموعتها (ظلال سحرية) تدور في فلك المرأة واهتماماتها العاطفية ففي قصة حلم تتحدث عن أحلام طفولية وممارسات صغيرة ليست لها دعامات اجتماعية لأنها غريبة على المجتمع الخليجي الذي لا يزال يلتزم بالقيم والعادات الفاضلة:

مدت «دلال» يدها وانتزعت سلسلة مطوية من صدرها، اختطفتها «سبيكة» ضاحكة ثم قبضت عليها بيديها ووقفت صامتة تتنفس بقوة، وقد تصلبت رقبتها فبدت طويلة خمرية اللون، وجهها مستدير مكلل بشعر أسود وقد اتسعت عيناها فبدت كظبي نافر وظهر جمالها بصورة مخيفة، ذلك الجمال



بقلم : **عبدالله بن أحمد الشباط**
الخُبَر – المملكة العربية السعودية

الوحشي وليد الطبيعة البكر البوهيمية الموشاة بألوان براقة، كانت ترتدي ثوبا أحمر قانيا نصحتها أمها أن ترتديه اول أيام العادة الشهرية لاعتقاد قديم، كان يلتصق عند صدرها المتوثب ويلتف حول خصرها الناحل، وينساب طويلا متسعا إلى قدميها، كأن الحب قد كرسها ذلك اليوم أسطورة للعشق[٢]٠

وفي قصة الحرب تحاول ان تصف تلك الآثار السيئة التي يتجرعها المجتمع داخل البيوت:

أخيرا قررت ان تفاتحهم بالأمر، تريد السفر٠٠ دهش الجميع، وارتسمت في أعينهم نظرة اتهام قالوا أين المشاركة الوجدانية، الكرامة العربية تتطلب الصمود العاطفي على أقل تقدير إن لم تكن المشاركة الفعلية في القتال٠٠ ارتجفت فزعا، هي تقاتل!! من؟ ولماذا؟ هكذا دون إعداد فكري مسبق، ودون استعداد نفسي، شيء مرفوض، وهي أصلا إنسانة مسالمة، تكره العنف٠٠ بكل اشكاله والحرب أقسى نوع منه[٣]٠

ومن خلال دراستها في الخارج، تعايش الحياة الجامعية وما يجري داخل أروقة الجامعات والأنشطة الطلابية ومطالبة الطلبة والطالبات بتحسين أوضاعهم واتخاذ الإضراب والمسيرات والهتافات وسيلة للتعبير والإصرار على المطالبة إلا أن ذلك يواجه بعنف٠

البنات يتراكضن، الدموع تسيل والشعر تطايرت خصلاته مجنونة، صرخات ناعمة تهيب بالفرسان الرحمة، ولكن الأوامر فوق الرحمة، طلقات المدافع ترج الفضاء الفسيح لساحة الجامعة مترامية الأطراف، المباني الجامعية تتراقص، ورؤوس الأشجار ترتعش، الطلقات مقدر لها ان ترتفع في الهواء للتخويف ولكن بعضها يطيش فتتساقط الجثث الشابة، طالبات السكن الداخلي هرعن الى النوافذ احتشدن في البلكونات، يعتصرن أيديهن بخوف، فلهن أخ أو خطيب أو صديق وهم الآن مع المتظاهرين المهروسين بهروات لا ترحم يصرخن يولولن يبكين بأصوات مرتفعة يخاطبن العساكر ويحاولن ان تصل أصواتهن رغم الضجة في ساحة المعركة الدامية حرام عليكم، خافوا الله ياولاد الـ٠٠[٤]٠

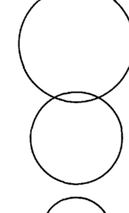
وفي قصة (الحياة بدونه) وصف كامل مفصل لمارسات الطالبات المغتربات في الخارج وعلاقاتهن بالآخرين وكأنها تدق ناقوس الخطر وتقول: احرصوا على بناتكم واحفظوهن بين ظهرانيكم ولا تفرطوا فيهن بأي حال من الاحوال٠

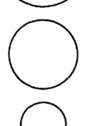
إن منى الذكير التي مارست الكتابة منذ عام ١٩٧٥م أي منذ ربع قرن لم تطور أدواتها الإبداعية فإن أسلوبها ولغتها وموضوعاتها لا تزال تدور في دوائر مكررة إلا أنها ما دامت قادرة على الصمود طيلة هذه المدة فهي قادرة على التطور والتطوير٠

الهوامش :

(١) أدب المرأة في الكويت ص ٢٠٥٠
(٢) ظلال سحرية ص ١٣٠
(٣) ظلال سحرية ص ٣٣٠
(٤) ظلال سحرية ص ٦١٠

الإسلام والفنون الجميلة





(الحلقة الأولى)

❖ الأستاذ الدكتور محمد عمارة، من الأقلام المتميزة في طرح القضايا الاسلامية، وقضايا الاجتماع، ما يتعلق به وما يرتبط به ٠٠ كل ذلك من خلال رؤية اسلامية عميقة ناضجة تستقرئ ثوابت الدين المكون الأساسي لثوابت هذه الأمة ٠

ومجموع كتاباته ينتظم في عقد متماسك الحلقات، ليشكل منظومة حضارية، أو لنقل مقدمة لمنظومة حضارية متكاملة، يظل الجهد مبذولا لاكمال حلقاتها من علمائنا الاجلاء كل في مجال تخصصه ٠

الدكتور محمد عمارة ظل ويظل ـ باذن الله تعالى ـ واحداً من علماء هذه الأمة الاجلاء، وواحداً من مفكريها، يصرف كل وقته وجهده من أجل الاعلاء من شأن كل القيم الرفيعة التي تميزت بها هذه الامة ذات الرسالة الخاتمة ٠٠ وكتاباته ومحاضراته وندواته ولقاءاته كلها تشهد له بهذا ٠

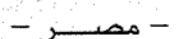
الاستاذ الدكتور محمد عمارة منذ بضع سنوات خلت خصَّ وآثر مجلته المنهل بعدد وافر من الدراسات والبحوث نشرت في صفحات المنهل على مدى السنوات الفائتة، وآخر سلسلة ـ وليست الاخيرة ـ كانت بعنوان (من زعماء الاصلاح) وهي عن (الدكتور عبد الرزاق السنهوري) ٠ ونشرت في ثماني حلقات متتاليات، آخرها في عدد رجب ١٤٢١هـ ٠

وكانت المنهل قد سعدت باجراء حوار صريح مع الدكتور عمارة، نشر في العدد (٥٧٥) العام ١٤٢٢هـ ٠

ويبقى الود موصولا مع استاذنا الدكتور عمارة، وهذه سلسلة جديدة من دراساته وبحوثه المتميزة، تحمل فكره واستقراءه، واستنباطه، وهي بعنوان (الاسلام والفنون الجميلة) ٠

والمنهل ـ لا شك ـ سعيد بالدكتور عمارة، وسعيد بكل الاساتذة الافاضل الكرام الذين آثروه بعلمهم وفكرهم، وفضلهم ٠



بقلم المفكر الإسلامي : 

- مصــــر -

من الناس من يحسب أن هناك خصومة بين الاسلام وبين الجمال، تدعو المسلمين الى التجهم في النظرة الى الحياة، وإدارة الظهر الى ما في الكون من آيات البهجة والزينة والجمال.. يحسبون ذلك، فيقولونه، أو يعبرون عنه بالسلوك المتجهم إزاء آيات الجمال والفنون والإبداعات الجمالية في هذه الحياة.

ولو كان هذا المسلك الخشن والغليظ والمتجهم، أثرا من آثار المحن التى يمتحن بها المسلمون في مرحلة الاستضعاف التى يعيشونها، ورد فعل للتحديات المعادية التي تفرض الهم والحزن على الوجدان الاسلامي المرهف، أو مظهر الغضبة لحرمات الله المنتهكة، لكان ذلك مبررا ومفهوما.. لكن أن يكون هذا التجهم، في نظر هذا الفريق من الإسلاميين، هو مما يقتضيه المنهج الاسلامي في الحياة، فذلك هو الذي يدعو الى استجلاء منطوق ومفهوم **المنهج الاسلامي إزاء جماليات الحياة.**

وجدير بالتنبيه أن هؤلاء الذين يحسبون قيام علاقة التلازم بين التجهم ومخاصمة الأحاسيس الجمالية وبين منهج الاسلام، منهم الإسلاميون، الذين يحسبون - مخلصين - أن هذا هو الموقف الحق للاسلام الصحيح في هذا الموضوع، ومنهم الخصوم الذين يتخذون من مسلك الغلظة لبعض الإسلاميين تجاه جماليات الحياة سبيلا للطعن على الإسلام.. فالقضية، إذن، أكبر من أن تكون «خيارا خشنا» لبعض من الإسلاميين هم أحرار في سلوكهم، وإنما هي قد غدت واحدة من المطاعن التى يحاول نفر من خصوم المنهج الإسلامي استخدامها - ضمن مطاعن أخرى - لتشويه صورة منهج الاسلام في الفكر والحياة.. الأمر الذى يكسب الحديث عن هذه القضية أهميته، ويجعل له مكانه الطبيعى في سياق الحديث عن معالم منهج الاسلام.

وباديء ذى بدء، فإذا كانت **«الحضارة» هى جماع إبداع الأمة في عالمي «الفكر» و«الأشياء»**، أي في «الثقافة» التى تهذب الانسان وترتقى به، وفي «التمدن» الذى يجسد ثمرات الفكر - في التطبيق - والتقنية - أشياء يستمتع بها الانسان المتحضر.. إذا كانت هذه هى «الحضارة» **فإنها كإبداع بشرى** - في المنظور الإسلامي وفي التجربة الإسلامية، وثيقة الصلة بدين الاسلام، كوضع إلهى، نزل به الوحي على قلب رسول الله، عليه الصلاة والسلام.

ففي التجربة الحضارية الاسلامية، كان «الدين» هو الطاقة التى أثمرت، ضمن ثمراتها، توحيد الأمة، وقيام الدولة، والإبداع في كل ميادين العلوم والفنون

والآداب، شرعية وعقلية وتجريبية، كما كان الدافع للتفتح على المواريث القديمة والحديثة للحضارات الأخرى، وإحيائها، وغربلتها، وعرضها على معايير الاسلام، واستلهام المتسق منها مع هذه المعايير، لتصبح جزءا من نسيج هذه الحضارة الاسلامية، التى وإن كانت إبداعا بشريا، إلا أنها قد اصطبغت بصبغة الاسلام الدين، كما كانت ثمرة للطاقة التى مثلها وأحدثها عندما تجسد في واقع المسلمين.

تلك هي العروة الوثقى بين دين الاسلام وبين حضارته، بما فيها من إبداع شمل مختلف الميادين.. الشرعية.. والعقلية.. والتجريبية.. والجمالية.

بل إننا لو تأملنا في مكان «الهجرة» في دعوة الاسلام ودولته وأمته، لرأيناها أكثر وأكبر من إنجاز لإنقاذ الدعوة من حصار «الشرك المكى» لأن الهجرة في حياة هذه الدعوة لم تقف عند الهجرة من مكة إلى المدينة - ومن قبلها الحبشة - **وإنما كانت، أيضا، هجرة من «البداوة»، الى «الحضارة» من «البادية» الى «الحاضرة»**، من حياة «الأعراب»، التى تغلب عليها الغلظة ويسود فيها الجفاء، الى حياة «العرب» الذين استقروا في «القرى» فغدا بإمكانهم أن يقيموا «مدنية» و«حضارة» في هذه «القرى».. كانت إنجازا حضاريا، ينتقل بالجماعة البشرية من طور ترحال البداوة، الذى يستحيل معه قيام «التراكم» في الإبداع - الثقافي والتمدنى - الى طور الاستقرار والحضور في «القرى» الحاضرة، الأمر الذى يتيح لإبداعات الانسان أن «تتراكم»، فتعلو بناء حضاريا مناسبا للجهد الابداعى المبذول فيه.

تلك هي «المكانة الحضارية» للهجرة في حياة دعوة الاسلام، في عصر صدر الاسلام.. وتلك هي بدايات خيوط العروة الوثقى بين الاسلام الدين - الوضع الإلهي - **وبين الحضارة الاسلامية - الإبداع الاسلامي لأمة الاسلام.**

وفي ضوء هذه «الحقيقة الحضارية»، نفهم اصطفاء الله، سبحانه وتعالى، «مكة» أم القرى - وحاضرة الحواضر - مهبطا للوحي بالدين الجديد.. ونفهم مغزى كون «يثرب» - المدينة - وهى ثانية القرى والحواضر - هى دار الهجرة وعاصمة الدولة ومنارة الدعوة.. بل ونفهم سر استمساك القرى والحواضر الثلاث - المدينة ومكة والطائف - بالاسلام، يوم ارتدت عنه، أو عن وحدة دولته، البوادى بمن فيها من الأعراب، عندما زلزلت وفاة الرسول {صلى الله عليه وسلم}، قلوب هؤلاء البدو والأعراب؟!.. نفهم جميع ذلك فى ضوء العلاقة العضوية بين هذا الدين وبين الابداع الحضارى للانسان الذى تدين بهذا الدين.

بل ونفهم أن هذه العلاقة بين «الدين» وبين «الحاضرة» ومن ثم «الحضارة»، ليست خصيصة إسلامية، وانما هى سنة من سنن الله في كل

الشرائع والرسالات.. فكما اصطفى الله حاضرة مكة، لتبدأ منها الدعوة، قائلا لرسوله: {... **ولتنذر أم القرى ومن حولها**}[١].. أنبأنا في قرآنه الكريم، أن هذا الاصطفاء إنما كان اطرادا لسنة إلهية.. **{وما كان ربُّك مُهْلك القرى حتى يبعث في أمِّها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مُهْلكي القرى إلا وأهلها ظالمون}**[٢].. فأم القرى، وحاضرة الحواضر كانت دائما هى موطن الرسل والرسالات، وذلك للعلاقة العضوية بين «الدين» و«الحضارة» على امتداد تاريخ الانسان.

ولأن هذا هو دور «الهجرة» في دعوة الاسلام وأمته ودولته، لأن هذه هى وظيفتها الحضارية ـ الانتقال بالانسان ـ الأعرابي ـ من غلظة البادية وتجهم خشونتها ـ الى مدنية الحاضرة وتثقف ـ تهذب ـ عقول أبنائها ـ لأن هذا هو دورها، وهذه هى وظيفتها الحضارية، كان المسلمون يستعظمون ويستنكرون رجوع المهاجر عن «المدينة» وانقلابه الى «البادية» مرة أخرى، حتى لقد سموا هذا الانقلاب «ردة».. وقرأنا في مصادر السنة ذلك السؤال الاستنكارى الذى سأله أحد الولاة لمن عاد فتعرب ـ رجع أعرابيا بعد هجرته «أرتددت على عقيبيك تعربت؟!»[٣].

تلك هى بدايات الخيوط بين الاسلام الدين وبين الحضارة .. وهى بدايات لا ترشحه كي يوحى بالتجهم إزاءها، ولا بمخاصمة إبداعاتها الجمالية بحال من الأحوال.

ثم .. إن «الجمال»، الذى يظن بعض من الناس مخاصمة الاسلام إياه، هو ـ إذا نحن تأملناه ـ بعض من آيات الله، سبحانه وتعالى، التى أبدعها في هذا الكون، وأودعها فيه.. إنه بعض من صنع الله وإبداعه، سبحانه، سواه وسخره للانسان، طالبا من الانسان أن ينظر فيه، ويستجلى أسراره، ويستقبل تأثيراته، ويستمتع بمتاعه ويعتبر بعبرته **{وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوانٌ دانيةٌ وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه، أنظروا الى ثمره إذا أثمر وينعه، إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون}**[٤] .. إنها آيات خلق الله، يأمر الانسان أن ينظر فيها.

وأينما يمم الانسان بصره أو بصيرته أو عقله أو قلبه، فإنه واجد آيات الله التى خلقها «زينة» للوجود، ودعاه الى النظر فيها.. **{إنَّا زينا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد}**[٥].. {وزيَّنا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا، ذلك تقدير العزيز العليم}[٦].. **{ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين. وحفظا من كل**

شيطان رجيم. إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين}[٧] .. **{أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج}**[٨].

فهذه «الزينة» - التى هى آيات إبداع الله، سبحانه وتعالى، هى «زينة - جمال» يدعو الله الانسان الى النظر فيها .. بل ويقول لنا إن خلقها ليس «للحفظ» فقط، ولا «للمنفعة» وحدها .. وإنما «للزينة» التى أبدعها الله لينظر فيها الانسان ويستمتع بما فيها من جمال.

ومثل ذلك حديث القرآن الكريم عن آيات خلق الله التى أبدعها لنا في صورة «الحيوان» المسخر للانسان .. فليست «المنفعة» المادية وحدها هي الغاية من هذا الخلق والتسخير، وإنما «الجمال» و«الزينة» أيضا غايات يتغياها الانسان في هذا الخلق الذى خلقه الله .. **{والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون. وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، إن ربكم لرؤوف رحيم. والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة، ويخلق مالا تعلمون}**[٩].

فليست «المنفعة المادية» فقط هي غاية خلقها وتسخيرها للانسان، إذ «الجمال والزينة» كذلك «منفعة» محققة ولازمة، أيضا، للانسان!.

والبحار، التى سخرها خالقها للانسان .. لا تقف منافعها عند المنافع المادية - اللحم الطرى، وسبل الاتصال - وإنما ابتغاء «الحلية .. والزينة .. والجمال»، أيضا، من منافعها .. **{وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون}**[١٠].

وعندما يشير الله سبحانه الى بعض من نعمه وآياته .. نرى قرآنه الكريم يلفت النظر الى ما ينزل من السماء من ماء تمتلىء به الأودية فيحيى الأرض ويزينها للناظرين .. والى ما يستخرجه الانسان، بالنار، من حلى الزينة والجمال، المستخرجة من معادن الأرض .. ففي الزرع: طعام، وزينة، وفي الذهب والفضة: نقد ، وحلية وجمال يتجمل به الانسان .. **{أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله، كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال}**[١١].

إن هذا الجمال وتلك الزينة .. هى آيات الله، أبدعها وبثها في هذا الكون، وأمر الانسان أن ينظر فيها .. إذن، فالنظر في هذا الجمال، والاستقبال لآيات الزينة، وفتح قنوات الاحساس الانسانى على صنع الله هذا، هو امتثال لأمر الله، سبحانه وتعالى (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) .. {أفلم ينظروا

الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها..}.. وهذا النظر، في هذه الآيات، هو سبيل من سبل الاستدلال على وجود الله، وعلى كمال قدرته وبديع صنعته..

وما تعطيل النظر في آيات الجمال هذه - باصطناع الخصومة بين الاسلام وبين جماليات الحياة - إلا تعطيل للدليل على وجود الصانع المبدع لهذه الآيات.

ويستوى مع هذا التعطيل للنظر - بقمع أدواته وسد قنواته وإهمال ملكاته - «النظر» المجرد من «الإحساس» بآيات الجمال المودعة في هذه المخلوقات!.. فالذين لا يرون في المحيط الذى يعيشون فيه غير «المنافع المادية»، ولا ترى بصائرهم آيات الجمال في هذا المحيط، لا شك أنهم معنيون وموصوفون بقول الله سبحانه {**لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بهـا، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون**}[١٢].

كذلك فإن تنمية الإحساس الجمالى لدى الإنسان المؤمن هي تنمية للملكات والطاقات التى أنعم بها عليه الله.. وفي ذلك الشكر لله الذى أنعم بها.. وإن في استخدام هذه الملكات سبلا للاستمتاع بما خلق الله في هذا الكون من آيات الزينة والجمال الشكر لله على نعمة خلقه لهذه الزينة ولهذا الجمال.. وصدق الله العظيم إذ يقول: {وأما بنعمة ربك فحدث}[١٣].. وصدق رسوله الكريم عندما قال: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»[١٤].

- للبحث صلة -

الهوامش:

(١) الأنعام: ٩٢.

(٢) القصص : ٥٩.

(٣) رواه البخارى ومسلم والنسائى.

(٤) الأنعام : ٩٩.

(٥) الصافات : ٦ ، ٧.

(٦) فصلت : ١٢.

(٧) الحجر : ١٦ - ١٨.

(٨) ق : ٦.

(٩) النحل : ٥ - ٨ (وفى الحديث الشريف عن الخيل: «الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة، وهى لرجل أجر، ولرجل ستر وجمال، وعلى رجل وزر. فأما الذى هى له أجر فرجل يتخذها يعدها في سبيل الله.. وأما التى هى له ستر وجمال، فرجل يتخذها تكريما وتجملا ولا ينسى حق بطونها وظهورها وعسرها ويسرها. وأما الذى هى عليه وزر فرجل يتخذها بذخا وأشرا ورياء وبطرا» - رواه مسلم والإمام أحمد.

(١٠) النحل : ١٤.

(١١) الرعد : ١٧.

(١٢) الأعراف : ١٧٩.

(١٣) الضحى : ١١.

(١٤) رواه الترمذي.

ولاة البلد الأمين

سبق القول في الحلقة الخامسة بأن الأمير قيس بن مخرمة المطلبي تولى امارة البلدة المحرمة نائباً عن أمير الحرمين الشريفين هشام بن اسماعيل المخزومي وخلفه عليها الأمير نافع بن علقمة الكناني رحمة الله عليهم اجمعين.

وبعد عزل الأمير هشام المخزومي عن ولاية الحرمين الشريفين خلفه عليهما:

- **الأمير الصالح التقي الورع سيدنا عمر بن عبد العزيز الأموي القرشي رضي الله عنه** حسبما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام. وكان مبدأ ولايته في سنة ٨٦ للهجرة الشريفة كما ذكره الامام أبو جعفر بن جرير الطبري في تاريخه وذكر الامام ابن الأثير في الكامل أن بداية ولايته كانت في سنة ٨٧ من الهجرة ودرج عليه الامام الفاسي في شفاء الغرام ونص بذلك الامام أبو عمرو خليفة بن خياط في تاريخه. وسيدنا عمر بن عبد العزيز غنى عن التعريف وهو خامس الخلفاء الراشدين حيث إنه قد تولى خلافة المسلمين فيما بعد كما هو معروف وكان رضي الله عنه عالماً تقياً نقيا ورعاً عابدا مسدداً في ولايته واثناء ولايته نعم أهل الحرمين الشريفين بالرخاء والخير والأمن والأمان والعدل والإحسان. ورضيته العامة والخاصة ولم يزل عليهما حتى عزل عنهما بوشاية واش وكانت مدة ولايته نحواً من سبع سنوات وكان رضي الله عنه يقيم اكثر اوقاته بالمدينة المنورة مهد الهدى والايمان.

وكان ينوب عنه في امارة البلدة المقدسة امراء منهم:

- **الأمير محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق البكرى التيمى القرشى رضي الله عنه** كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام وقد وهم من قال بامارته في ايام خلافة سيدنا عمر بن عبد العزيز لأن ذلك غير وارد وقد نوه عن ذلك الامام الفاسى في شفاء الغرام وتابعه العلامة ابن ظهيرة القرشي رحمة الله عليه في كتابه الجامع اللطيف. ولم أظفر بخبر يحدد مدة ولايته.

وممن تولى نائباً في هذه الفترة:

- **الأمير عروة بن عياض بن عدى بن الخيار بن نوفل بن عبد مناف بن قصي الخياري القرشي رحمة الله عليه.** وكان نائباً عن أمير الحرمين الشريفين سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. ولم أقف



بقلم : **السيد ضياء محمد عطار** - المدينة المنورة

على خبر يحدد مدة ولايته على البلد الحرام.

وممن تولى له نائباً:

- الأمير عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي رحمة الله عليه. كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام. وقد ترجم له العلامة ابن قدامة المقدسى في كتابه التبيين في انساب القرشيين وذكر أنه كان من الفضلاء النجباء غير أنه ذكر ولايته للحجاج بن يوسف على المدينة المنورة. وترجم له الامام السخاوي في التحفة اللطيفة وذكر توليه لقضاء المدينة المنورة ولم يشر الى ولايته للبلد الحرام. ولم أقف على خبر يحدد مدة ولايته للبلد الأمين في هذه الفترة.

وممن تولى نائباً عن سيدنا عمر بن عبد العزيز امارة البلد الحرام:

- الأمير عثمان بن عبد الله بن عبد الله بن سراقة العدوي القرشي رحمة الله عليه وكانت ولايته في خلافة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام. وكان رحمة الله عليه سيداً وجيها مسموع الكلمة وهو جد بنى سراقة وإليه تنسب سلالة سراقة. ويذكر أنه خطب بمكة شرفها الله يوماً وهو واليها قائلا: يا أهل مكة ما لكم قد تركتم الجهاد في سبيل الله تعالى. ولم أقف على خبر يحدد مدة ولايته.

وممن تولى نائباً:

- الأمير مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشى رحمة الله عليه. وكان نائبا عن أمير الحرمين الشريفين سيدنا عمر بن عبد العزيز. وذكر الامام الفاسى في شفاء الغرام ولايته لأبيه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان رحمة الله عليهم واذا صح هذا الخبر أى ولايته لأبيه لا في ولاية سيدنا عمر بن عبد العزيز فان هذه تكون الولاية الثالثة له. وقد ناقشت ذلك في جلاء العينين. وكان انتهاء ولايته في سنة ٩٣ للهجرة وقد خلفه عليها:

- الأمير خالد بن عبد الله بن يزيد القسرى البجلى رحمة الله عليه. وذلك في النصف الثاني من سنة ٩٣ للهجرة المباركة تقديراً. وأتت ولايته للبلد الأمين باشارة من الأمير الحجاج بن يوسف الثقفي للخليفة بذلك وبدأ الأمير خالد القسرى بالقبض على الامام التابعى الجليل سعيد بن جبير رضي الله عنه. ومن أوليات الأمير خالد بن عبد الله القسري بمكة شرفها الله إدارة الصفوف حول البيت الحرام وهو حدث لم يسبق له مثيل وكانوا من قبل يصلون

في واجهة الكعبة المشرفة مما يلى الباب. وكان هذا العمل بدعة ولكن لم يعترض عليه أحد من العلماء في عصره ولا أنكروا فعله بل وأيده الامام عطاء بن أبى رباح أحد أئمة التابعين رضى الله عنهم أجمعين وهو من آثاره المحمودة ومن أولياته أيضاً توقيته ساعة من النهار بعد صلاة العصر ليطوف النساء وحدهن بالبيت العتيق ولا يشاركهن الرجال في هذه الساعة. وله أعمال أخرى وقد لبث في ولاية البلد الحرام نحواً من ثلاث سنوات ثم عزل عنها في سنة ٩٦ للهجرة الشريفة وخلفه عليها:

ـ الأمير طلحة بن داود الحضرمي رحمة الله عليه.

وذلك في أواسط سنة ٩٦ من الهجرة كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام وذكر الإمام أحمد البلاذري في كتابه أنساب الأشراف أنه هو الذى تولى القبض على سلفه الأمير خالد بن عبد الله القسري وتولى ضربه. غير أنه لم يستمر طويلا حتى عزل عنها فكانت مدة ولايته لا تزيد عن بضعة أشهر وخلفه عليها:

ـ الأمير عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العاص الأموى القرشي رحمة الله عليه.

وذلك في مستهل سنة ٩٧ من الهجرة المباركة. وكان رجلا وجيها سيدا أحد أشراف قريش في زمانه ولبث في امارة الاباطح المكية مسدداً مستقراً بحسن السيرة وجميل السريرة أثناء خلافة أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ثم أمير المؤمنين سيدنا عمر بن عبد العزيز ثم أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ثم عزل. وهي الولاية الأخيرة له. وذكر الامام الفاسى في شفاء الغرام أنه تولى مكة شرفها الله في خلافة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان غير أنه لم يحدد لها زمنا. وقد خلفه في هذه الفترة على البلد الحرام:

ـ الأمير عبد ا لرحمن بن الضحاك بن قيس بن خالد الشيباني القرشي رحمة الله عليه وكانت امارته في سنة ١٠٣ للهجرة المباركة كما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام وكان اليه امارة المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلوات وازكى التحية منذ سنة ١٠١ من الهجرة الشريفة. وفي سنة ١٠٣ من الهجرة ضمت اليه امارة الديار الحرمية. فكان أميرا للحرمين الشريفين ولم يزل عليهما حتى عزل عنهما معا في سنة ١٠٤ للهجرة فكانت مدة ولايته للبلد الأمين نحواً من سنة واحدة وذكر الإمام أبو عمرو خليفة بن خياط ما يخالف ذلك ولكن خبره لا يخلو من ضعف ومن بعد عزله خلفه عليها:

ـ الأمير عبد الواحد بن عبد الله بن كعب بن عمير النصري رحمة الله عليه.

وكان اليه امارة الحرمين الشريفين معاً. وكان

ابتداء ولايته في شهر ربيع الأول من سنة ١٠٤ من الهجرة المباركة. وكان رجلا باراً صالحا حسن السيرة محمود السريرة تابعى ثقة ولم يأت الى أهل الحرمين الشريفين وال أحب اليهم منه. وكانت مدة ولايته نحواً من سنتين وبضعة أشهر وبعده خلفه عليهما:

ـ الأمير ا براهيم بن هشام بن اسماعيل بن هشام المخزومي رحمة الله عليه.

وذلك في سنة ١٠٦ من الهجرة المباركة وحج بالناس في اكثر سنى ولايته ودام عليهما حتى سنة ١١٤ للهجرة فكانت مدة ولايته نحواً من ثمانى سنوات الا قليلا.

وقد خلفه على البلد الأمين.

ـ الأمير محمد بن هشام بن اسماعيل بن هشام المخزومي رحمة الله عليه.

وذلك في سنة ١١٤ من الهجرة ثم ضمت له امارة المدينة الشريفة في سنة ١١٧ من الهجرة. وحج بالناس في سنيّ ولايته كلها ما عدا سنة ١١٧ من الهجرة حسبما ذكره العلامة نجم الدين بن فهد الهاشمى في اتحاف الورى باخبار أم القرى ثم عزل عنهما في سنة ١٢٥ من الهجرة وقبض عليه وعلى أخيه الأمير ابراهيم وقُيِّدا وضُربا حتى قُتلا بسجن بالعراق ضربا في سنة ١٢٦ من الهجرة. وخلفه:

ـ الأمير يوسف بن محمد بن يوسف بن الحكم الثقفي رحمة الله عليه.

في سنة ١٢٥ للهجرة المباركة وكان اليه امارة الحرمين الشريفين وهو الذي تولى القبض على سلفه الماضى ذكره. ولم يزل على ولايته حتى قتل الخليفة الوليد بن يزيد فعزل عنهما وخلفه في امارة الحرمين الشريفين:

ـ الأمير عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي القرشى. رحمة الله عليه.

وذلك في سنة ١٢٦ من الهجرة المباركة وكان رجلا فاضلا عالما جليلا عاقلا نبيلا ورث الأخلاق الحميدة عن أبيه سيدنا عمر بن عبد العزيز وكان جميل السيرة محمود السريرة وظل في ولايته للحرمين الشريفين التى عزل عنها في سنة ١٢٩ من الهجرة. وكان اليه الطائف أيضاً وكانت مدة ولايته نحواً من ثلاث سنوات وقد توفي رحمة الله عليه في سنة ١٤٧ من الهجرة ورثاه أحد الشعراء فقال:

قد كبى الدهر بجدى فعثر
اذ ثوى عبد العزيز بن عمر
وكان من عبد مناف كلها
بمكان السمع منها والبصر

كما ترجم له الامام الفاسى في كتابه العقد الثمين.

ـ للبحث صلة ـ

وقفات مع التعريب في المملكة العربية السعودية

كما ذكرنا في الحلقات الماضية، هناك تحمس شديد للتعريب في المملكة العربية السعودية سواء فيما يتعلق بتدريس العلوم الطبيعية باللغة العربية، أو فيما يتعلق باستخدام الكلمات المعربة بدلا من الوافدة، وذلك ايمانا بدور المملكة في خدمة الإسلام والمحافظة على اللغة العربية، وكونها موطن العرب الأول ورمز هويتهم الثقافية والحضارية.

وكما ذكرنا من قبل فإن التعريب كأي استراتيجية لغوية أو برنامج تخطيط لغوي يحتاج الى آليات علمية مدروسة تمكنه من تحقيق الآمال المرجوة منه. كما أنه لابد من دراسة العوامل الحقيقية المؤثرة في الاستخدام اللغوي في واقع المجتمع لكي يحقق التعريب الهدف المنشود.

ومع الأسف لم يسبق عمل أي دراسات ميدانية تهدف إلى تحديد الوضع اللغوي القائم في المملكة، كما أنه لم يسبق القيام بدراسات تقييم لأساليب وتطبيقات التعريب القائمة بهدف توضيح الصورة ومن ثم التطوير والتحسين.

ومما لا شك فيه أن دراسة الوضع اللغوي القائم في المملكة أمر ليس باليسير في ظل وجود الازدواجية اللغوية - أي وجود العامية والفصحى - في المملكة وفي بقية دول العالم العربي. ويزيد ذلك الموضوع تعقيدا أن العامية بدورها تنقسم الى لهجات متعددة تختلف من منطقة الى أخرى.

ويعرف فيرجسون الازدواجية اللغوية بأنها «وجود لغة ذات قيمة أدبية ودينية عليا - الفصحى - الى جانب لهجة لها قاعدة شعبية عريضة ومستخدمة في التخاطب - أي العامية أو الدارجة». وهناك اتفاق بين الباحثين باتسون وستتكفيتش و(بدوي) على وجود هذه الازدواجية في كل أنحاء العالم العربي.



بقلم : **د. سعد بن هادي القحطاني**

مدير مركز اللغة الانجليزية بمعهد الادارة العامة بالرياض

بل هناك اتفاق على وجود ثلاث مستويات لهذه الازدواجية - أي الفصحى، والعامية، ومستوى وسيط بين ذلك وهو ما يعرف بلغة المثقفين أو لغة الصحافة. وتعرف أيضا «العربية الوسيطة» (Modern Standard Arabic). وهناك اختلافات بين العربية الوسيطة والفصحى لا مجال هنا لذكرها، وتم التطرق لها في أبحاث كثيرة (انظر بدوي ١٩٨٦م).

وبذلك يتبين أن الوضع اللغوي في المملكة يبدو أكثر تعقيدا، فالى جانب الفصحى، توجد العامية، ولغة الصحافة، ولهجات محلية كثيرة تتباين فيما بينها. وذلك يجعل مهمة من يريد دراسة الوضع اللغوي في المملكة دراسة علمية دقيقة - يجعلها مهمة صعبة، ولكنها ليست مستحيلة.

وفي الواقع هناك احساس لدى التربويين والمعنيين بمسيرة التعريب بأن المجتمع عازف عن استخدام الكلمات المعربة التي تنتجها المجامع اللغوية، وتفضيل الكلمات الوافدة بدلا منها، فمثلا كلمة «الرائي» لم تلق انتشارا كما هي كلمة «التلفزيون» وكلمة «تكنولوجيا» تستخدم على نطاق واسع بدلا من «تقنية»، وهكذا.

والتعريب خيار لا مناص منه انطلاقا من أن التعليم باللغة الأم أي العربية - هو الخيار الأمثل لاستيعاب دقائق العلوم والتقنيات ومن ثم اللحاق بركب التقدم العلمي. فدراسة العلوم باللغة الأجنبية لا يمكن الطالب من استيعاب كل دقائقها وتفاصيلها، ذلك الاستيعاب الذي يمكن صاحبه من الإبداع والاختراع وليس التلقي فقط، فالحاجز اللغوي سيبقى دائما حجر عثرة في طريق الابداع، والأبحاث التي تدعم هذه النظرية كثيرة. فقد أشار كل من سليمان ١٩٨١م، وحافظ ١٩٨٥م، وقاسمي ١٩٨٧م، وحجازي ١٩٩٩م الى أن الطلاب العرب يستوعبون العلوم الطبيعية بشكل أفضل عندما يتم تدريسها باللغة العربية. كما أشاروا الى أن الإبداع في العلوم الحديثة لا يتم من خلال استيعاب دقائقها باللغة الأم، وهذا لا يتأتى عندما تدرس هذه العلوم بلغة أجنبية.

ويشير سليمان إلى أن مصر على سبيل المثال

لم تنتج الا ١٪ مما تنتجه استراليا في مجال البحوث الطبية، علما بأن تدريس الطب في مصر يتم باللغة الإنجليزية منذ ما يقارب ١٠٠ سنة (أنظر حجازي ١٩٩٩م ص ٦).

كما يشير القرشي (١٩٨٢م) في رسالته للدكتوراه حول إمكانية تدريس العلوم باللغة العربية، الى وجود «ظلال للمعاني» في كل لغة، ولا يستطيع المتعلم معرفة هذه الدلالات الدقيقة للمعاني الا عندما يكون من أصحاب اللغة الأصليين. وعليه فإن المتعلم بلغة غير لغته الأم لا يدرك هذه الأبعاد الدقيقة للمعاني، مما يحول دون الاستيعاب الكامل لدقائق النظريات العلمية ومن ثم الإبداع فيها، وليس التلقي فقط (أنظر القرشي ١٩٨٢م).

كما يشير القرشي أيضا الى أن تدريس الطالب بلغته الأم يتيح مجالا واسعا لحرية النقاش وطرح الأسئلة على الاستاذ، حيث إن المتعلم بغير لغته يحجم أحيانا عن طرح الأسئلة والمشاركة في النقاش بشكل مثمر، نظرا لوجود الحاجز اللغوي (القرشي ص ٢٤٠).

وتشير أيستمان ١٩٨٣م، الى أنه لابد من وضع السياسات اللغوية وفق الإطار النظري لبرامج التخطيط اللغوي، ثم مراجعتها قبل تطبيقها، كما تشير أيضا الى ضرورة التنسيق والتقييم في جميع المراحل التى تسلكها السياسة اللغوية، مما يتطلب جهوداً تنظيمية وتنسيقية ذات كفاءة عالية.

ويشير هوجن ١٩٨٣م الى أن مرحلة التطبيق بالذات تحتاج الى جهود غير عادية من قبل المنظمات والأفراد وذلك من أجل ضمان الإنتشار المطلوب للتغيير اللغوي المطروح، ولكي يتحقق التغيير على مستوى اللغة المكتوبة لابد من إنتاج العديد من الكتب، والنشرات، ومن خلال الصحافة والكتب المدرسية. وهذا ما لم يتم استثماره بعد في نشاطات التعريب القائمة في المملكة.

والملاحظ أن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة تتجاوز الى حد ما عن استخدام الكلمات المعربة في الوقت الذي تدعو فيه سياسة الإعلام الى وجوب المحافظة على سلامة اللغة العربية. وفي الصحف أيضا هناك تناقض بين سياسة التحرير والممارسة الصحفية. فسياسة التحرير تحتم «خدمة الثقافة الإسلامية واللغة العربية» بينما يتم نشر العديد من المواد بالعامية سواء في الصفحات الشعبية أم في الصفحات الأخرى، فضلا عن عدم إلزام الكتاب باستخدام الكلمات المعربة بدلا من الوافدة.

كما أن سياسة التعليم العالي تؤكد على أن

اللغة العربية هي لغة التدريس الجامعي، ويمكن استخدام لغة أخرى «عند الضرورة»، أي أن اللغة العربية هي الأصل في التعليم الجامعي. والملاحظ أن كل التخصصات العلمية الحيوية تدرس بالانجليزية، بل وبعض المواد في العلوم الإنسانية الأخرى. كما أنه لا يوجد آلية لاستخدام المصطلحات العربية بدلا من الوافدة في التعليم الجامعي.

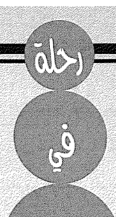
أما من حيث التنسيق والتكامل بين جهود التعريب في المملكة فلا يوجد تنسيق فعال بين هذه النشاطات. فمثلا مركز التعريب في جامعة الملك عبد العزيز ليس لديه أية آلية للتنسيق مع المراكز الأخرى مثل باسم أو الهيئة السعودية للمواصفات والمقاييس.

كما أنه لا يوجد تنسيق بين هذه المراكز ومجامع اللغة العربية المنتشرة في العالم العربي. وبالتالي فإن جهود التعريب مبعثرة ولا تصب في اتجاه واحد مما يفقدها قيمتها، ويجعل التعريب غير قادر على تحقيق الهدف المطلوب.

وكما هو معروف لا يوجد حتى الآن مجمع لغوي في المملكة العربية السعودية، وإن كانت هناك جهود حثيثة قائمة الآن لإنشاء مجمع لغوي في المملكة.

ويلاحظ أن هناك بعض التربويين ممن يعارض إنشاء هذا المجمع لما عرف عن قلة فاعلية المجامع اللغوية المماثلة في العالم العربي، ولعدم مواكبتها للمتغيرات الحديثة في مجال العلوم والتقنية. ولكنه من نافلة القول إن فكرة إنشاء مجمع لغوي في المملكة ستدفع التعريب الى دائرة الإهتمام على الأقل، وإذا ما تم استثمار القدرات العلمية السعودية في مجال علوم اللغة، والعلوم التخصصية الأخرى الى جانب الأدباء والمهتمين، ووضع آليات عمل جديدة تختلف عن الآليات التقليدية المتبعة في المجامع الأخرى فإن ذلك سيجعل المجمع قادرا على تحقيق نقلة نوعية في مسيرة التعريب. كما أنه لن يتحقق النجاح المطلوب للتعريب بدون القرار السياسي الذي يجعل استخدام الكلمات المعربة مطلبا أساسيا في وسائل الإعلام والتعليم.

وأخيرا لابد من الإشارة الى انه يمكن الإستفادة من تقنيات الحاسب الآلي في مجال التعريب كتغيير الكلمات الوافدة بالمصطلحات المعربة آليا في الصحف والمجلات قبل الطبع. وبناء برامج آلية من هذا النوع أمر يمكن تحقيقه إذا تضافرت الجهود وصدقت النيات. كما يمكن الاستفادة من بنوك المعلومات الآلية ومن شبكة الإنترنت في متابعة المتغيرات اليومية في مجال المصطلحات.



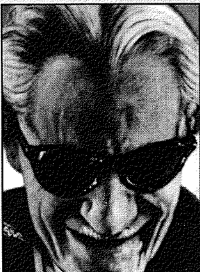
١٨

مرآة الاسلام

تأليف
الدكتور طه حسين



د. طه حسين



غلاف الكتاب

في حديثي عن كتاب (نقض مطاعن في القرآن الكريم) الذى ألفه الأستاذ الكبير محمد عرفه ردا على آراء طه حسين التى ألقاها حول الأسلوب القرآني، كشفت مدى الخطأ الأليم الذى تورط فيه الدكتور دون جودة نظر، وكان عليَّ بعد أن بددت شبهات الدكتور بما ذكره الأستاذ عرفه من نقد حاسم أن أنصف الدكتور أمام القراء فأذكر أنه كتب مؤلفا رائعا تحت عنوان (مرآة الإسلام) هدم به كل ما ذكره من قبل، وهو بهذا الكتاب قد رجع عن أخطاء تابع فيها المستشرقين، وكأنه فيما بعد عرف عن يقين فداحة هذه الأخطاء. فكتب كتابه الرائع (مرآة الإسلام) ليبرأ من خطأ وقع فيه في عهد شبابه الأول. وهذا ما يحمد له كل الحمد، وللدكتور طه حسين أسلوب مشرق مطواع. وتأثير نفاذ على القارىء فإذا تحدث عن القرآن في مرآة الإسلام حديث المؤمن الصادق، فقد سدَّ مسداً كبيرا لا يتاح لغيره، لأن ذيوع اسمه، وجودة أسلوبه قد كسب للفكرة الاسلامية أناساً لا يقرءون كتب العلماء، بل يعدونها نقولا وأقوالا متشابهة، فإذا حدثهم الدكتور عما يقوله هؤلاء العلماء بنفاذه ونفوذه فقد فتح المجال لعقول كثيرة كانت تصم أذانها عن قولة الحق، وآن لها أن تسمع!

بدأ الدكتور كتابه بحديث عن حياة العرب في الجاهلية، العرب في سائر ربوعها بالجزيرة واليمن والشام والعراق وعن علاقاتها بما جاورها من الأمم والممالیك، فنفى القول الزاعم بانقطاع العرب عما حولهم. وأثبت علاقاتهم بالحضارات المجاورة باستثناء قوم قلة في صحراء نجد، وقد صوَّر الحياة العربية قبل البعثة المحمدية تصويراً صادقا جعله تمهيدا لسيرة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ونشأته وجهاده البطولى في نشر دين الله سبحانه وتعالى، وموقفه من أهل الكتاب في الجزيرة العربية من يهود



بقلم : **أ.د. محمد رجب البيومي**
عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

ونصارى! وموضع الملاحظة في هذه الناحية، أن الدكتور في محاضراته السابقة كان قد زعم لليهود حضارة وثقافة ظهر تأثيرها في القرآن الكريم، أما في كتابه (مرآة الإسلام) فقد قال ما نصه[١]:

(وكانت كثرة اليهود في الحجاز أمية كالعرب، لا يقرأ ولا يكتب منهم إلا أحبارهم، وكان هؤلاء الأحبار أقرب الى الجهل منهم الى العلم، وقليل منهم من كان يحسن العلم بدينه، فكيف بسائر اليهود) وإذن فالقول بتأثير اليهود في الأسلوب المدني للقرآن الكريم قد أصبح باطلا منكراً لدى الدكتور إذ كيف يستطيع هؤلاء الجهلة أن يمدوا الرسول {صلى الله عليه وسلم} بثقافة رفيعة، وحالهم هي تلك!

وما ذكره الدكتور عن اليهود في النص الموجز السابق، قد وجد تفصيله البارع، حين تحدث الدكتور عن نزول القرآن الكريم، إذ ينفي كل أثر لاتصال ثقافي بين رسول الله {صلى الله عليه وسلم} واليهود، ويقول في بيان واضح[٢]:

«نزل القرآن الكريم على لسان رجل من قريش لم يتعلم قط كتابة ولا قرأ حسابا، ولم يجلس قط، الى أحبار اليهود ولا رهبان النصارى، ولا أصحاب الفلسفة، وإنما هو رجل «عربي أمي» كأكثر العرب لا يعلم من أمر الدنيا إلا مثل ما كان أوساط العرب يعلمون، وهو مع ذلك يجادل اليهود في التوراة، ويجادل النصارى في الإنجيل، ويصفهم بأنهم يكذبون على موسى، ويقولون على المسيح غير الحق، ويحرفون ما عندهم عن التوراة والإنجيل، كل ذلك وهو لا يقرأ التوراة والإنجيل، وإنما ينبئه الله جلت قدرته نبأ الحق بما في كليهما، وهو لم يأت لنسخ التوراة والإنجيل، وإنما جاء مصدقا لما بين يديه منهما، ومضيفا إليهما ما أمره الله أن يضيف من العلم والدين، وهو يحاج المشركين في آلهتهم، تلك التى كانوا يعبدونها، ويجعلونها لله أندادا، ويتخذونها عنده شفعاء، والتى لا تجيبهم إن دعوها، ولا تسمع لهم إن تحدثوا إليها، ولا تنفعهم، ولا تضرهم ولا تغنى عنهم من الله شيئا، إن أراد بهم سوءاً، ولا تمسك عنهم رحمة الله، إن أراد بهم رحمة، وإنما هي أشياء صنعوها بأيديهم، أو صنعت لهم من قبل بأيدى الرجال، ثم خلعوا عليها ما ليس لها من القوة والبأس والسلطان).

وبهذا الإيضاح المبين بطلت فرية تأثير اليهود في القسم المدنى من الكتاب العزيز إذ كيف يكون الأحبار جهلاء، والعامة أميين، ثم تكون لديهم ثقافة رفيعة كثقافة القرآن الكريم.

فإذا انتقل صاحب (مرآة الإسلام) الى القسم الثاني من كتابه فإننا نجده يتحدث عن القرآن الكريم وعن السنة المطهرة التى ثبتت عن النبي {صلى الله عليه وسلم} ثبوتا قاطعا أو راجحا حديث المؤمن الواثق، وحديثه عن الأسلوب القرآنى ينفى كل ما ذكره من قبل عن الاقتضاب وانقطاع الحجة والتهويل، وقد ألم الدكتور بحيرة العرب أمام هذا البيان المعجز، وتخبطهم في القول بأنه سحر أو سجع كسجع الكهنة، وعجزهم عن الإتيان بسورة من مثله، أو بآية واحدة من مثله، وإصرارهم على المقترحات العامية كأن ينشىء للعرب نهرا، أو تكون له جنة من نخيل وعنب، أو أن يأتى بالله والملائكة قبيلا، أو أن يسقط السماء عليهم كسفاً، أو أن يرقى في السماء ليأتيهم بكتاب يقرءونه! كل ذلك قالوه وادعوه فلم يجدوا ردا أحكم من قول الله على لسان نبيه «هل كنت إلا بشرا رسولا»!

وللقارىء أن يتذكر كل ما نقلناه عن الدكتور مما هو مذكور في كتاب (نقض مطاعن في القرآن الكريم) مما لا حاجة بنا الى تكراره الآن فهو مرذول بغيض، ثم نتلو بعد ذلك ما جاء في كتاب (مرآة الإسلام) عن الأسلوب القرآنى ليجد الرد الماحق، والدفع الصادع

لكل ما قيل من إرجاف، يجد ذلك جليا واضحا في قول الدكتور عن الأسلوب القرآني[٣].

ولكن للقرآن الكريم وجهاً آخر من وجوه الإعجاز لم يستطع العرب أن يحاكوه أيام النبي {صلي الله عليه وسلم} ولا بعده، ذلك هو نظم القرآن أي أسلوبه في أداء المعانى التى أراد الله أن تُؤدَّى للناس، لم يؤد إليهم هذه المعانى شعراً كما قدمنا، ولم يؤدها إليهم نثرا، وإنما أدّاها على مذهب مقصور عليه، وفي أسلوب خاص به لم يسبق إليه، ولم يُلْحق فيه، ليس شعراً لأنه لا يتقيد بأوزان الشعر وقوافيه، وليس نثرا لأنه لا يطلق إطلاق النثر، ولا يقيد بهذه القيود التى عرفها الكُتَّاب في الاسلام وإنما هو آيات مفصله لها مزاجها الخاص في الاتصال والانفصال، وفي الطول وفي القصر، وفيما يظهر من الائتلاف والاختلاف، تتلو بعض السور فإذا أنت مضطر عند قراءتها الى الأناة والتمهل، لأنها فُصّلت في ريث ومهل لأداء معان تحتاج الى البسط والريث، كالتشريع أيضا ووصف ما كان يُثار بين المسلمين والمشركين من الحروب والوقائع، وتتلو بعض سوره الأخرى فإذا أنت مضطر الى شيء من السرع لأنها تؤدى معانى يحتاج أداؤها الى القوة والعنف، قد فُصّلت آياتها قصاراً ملتئمة الفواصل، تقرؤها فكأنك تنحدر من عل، وذلك حين يخوّف الله عباده ويشتد في تخويفهم فيأخذهم من جميع أقطارهم، ويقطع عليهم طريق الحجاج.

هذا نمط الأسلوب القرآني كما قرره الدكتور أخيرا في مرآة الاسلام، فبطل إذن الخلاف الموهوم بين القسم المكى والمدنى الذى ادعاه من قبل، وأدرك خطأه فعدل عنه! وقد أراد التمثيل لما يقول هنا بسورتين مكيتين تختلفان أسلوبا، ومعنى ذلك أن الاختلاف ليس اختلاف بيئة مكية أو مدنية، ولكنه اختلاف سياق ومناسبة، وللقارىء أن يتأمل بصدد ذلك ما حكاه الدكتور حين قال[٤]:

«وربما يقص ـ القرآن ـ من أنباء الرسل، فيمضي القصص في هدوء ومهل لأنه يتجه الى إثارة التفكير والاعتبار والتروية فيما جرى على الأمم من قبل، والحذر من أن يجرى عليهم مثله، ثم يقص في سورة أخرى نفس الأنباء فتقصر الآيات وتسرع، وتتسق الفواصل وتتجسم، وتتكرر عبارات بعينها في آخر كل قصة لأنه يتجه الى الإرهاب والإثارة والإحاطة بالسامعين والقارئين، واعجالهم عن التفكير والتدبر، كأنما أخذتهم من كل مكان ريح عاصفة، لا يجدون منها مهربا، ولا يرون لأنفسهم عنها مصرفاً، فهى تصب عليهم العبر والمثلات صبا، أو كأنهم يمطرون من السماء صخورا متتابعة، فهم لا يملكون إلا أن يذعنوا لما يصب عليهم، لا يجدون من الوقت ولا من القوة ما يتيح لهم رجع الجواب أو الجدال في بعض ما يصب عليهم، وإنما هي الآيات تتتابع قصاراً أشد القصر، متسقة أروع الاتساق، والعبر القاصمة تستنبط منها في سرع سريع. وهم لا يكادون يفرغون من قصة حتى تتبعها قصة أخرى تأتى في إثرها في سرعة خاطفة. وقوة مذهلة، واقرأ إن شئت سورتين كسورة الشعراء وسورة القصص فستجد السرعة كل السرعة، والقوة كل القوة في السورة الأولى، وستجد الأناة والمهل في السورة الثانية، ولكنك ستجد الروعة في السورتين جميعا تروع أولاهما بما اختصت به من هذه السرعة، وتروع الأخرى بما امتازت به من الأناة، وذلك في القرآن كثيرة وسواء قرأت السور السريعة أو السور المتأنية فسترى من جمال اللفظ وروعة الأسلوب واتساق النظام ما يسحرك ويبهرك، ويملك عليك أمرك كله فإذا أنت خاشع لما تسمع أو تقرأ، معجب به، مستزيد منه، حتى حين يستأثر بك العناد، وتتكلف ما تتكلف من إظهار الإصرار والاستكبار والإعراض والإباء.

نقلت هذا النص على طوله لأنه يعصف بكل ما أملاه الدكتور طه حسين على الطلاب بشأن الأسلوب القرآنى من قبل، والرجل بهذا قد انتهى الى صخرة اليقين بعد التذبذب والاضطراب، وهو من ناحية أخرى يتحدث حديث الموقن المتثبت، وقد كان من قبل في شك

من أمره فأوصله الشك الملح الى اليقين الأكيد، فلا ملام.

وحديث المعانى المتقطعة والسور المكية، لم يعدله أثر لدى الدكتور طه حسين، حيث نظر من جديد الى الأسلوب القرآنى فوجد فيه من التماسك والالتئام بين معانيه ما يجعل منه وحدة موضوعية تملأ روحها الكتاب المبين، بحيث تنطق كل فقرة من فقراته بهذه الوحدة الموضوعية إذ هى حلقة في سلسلتها المتماسكة مهما اختلفت السور وتعددت الموضوعات، وهذا ما وضح بجلاء في قول الدكتور طه حسين بعد أن سرد المعانى المتصلة في سورة آل عمران وهى من السور الطوال بل هى أطول سورة بعد سورة البقرة التى خصها بتحليل يشير الى ارتباط معانيها، منتهيا الى أن القرآن «كله من عند الله وهو وحدة في روحه وفي اعجازه مهما يختلف تنزيل سوره، ومهما تختلف موضوعات السور ومذاهب القول فيها، يقول الدكتور طه حسين[٥]:

«واختلاف مذاهب القول في القرآن الكريم دليل قوى من دلائل الإعجاز، وللقرآن وحدته من حيث أنه يدعو دائما الى أصول معينه، الى توحيد الله سبحانه وتعالى، ونبذ الشرك على اختلاف صوره، والإيمان بالرسل الذين جاءوا قبل محمد {صلى الله عليه وسلم}، وما أنزل عليهم من الكتب، والإيمان بالبعث، وبالحياة الآخرة بعد هذه الحياة الأولى، وما يكون فيها من حياة ونعيم، لمن أجابوا دعوة الله سبحانه وتعالى. ومن عذاب وجحيم لمن أعرضوا عن هذه الدعوة، ونفروا منها، واستكبروا على الله ورسوله، ثم هو يأمر الناس بأن يقيموا حياتهم على هذه الأسس، حياتهم فيما بينهم حيث يبرءون من الرذائل كلها، كبارها وصغارها، وحياتهم الظاهرة فيما يكون بينهم وبين الناس فلا يظلمون ولا يستعلون.

ثم انتهى هذا ا لحديث الى قوله[٦]:

وهذا التنوع في مذاهب القول بتنوع الموضوعات والمقامات هو الذى يسميه أصحاب البيان في اللغة العربية وفي غيرها أيضا مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ولو ذهبت أصف فنون الإعجاز في القرآن، وملاءمة كل مذهب من مذاهب القول فيه لما فرغت من هذا الحديث.

هذا بعض ما أردت الإشارة إليه في كتاب (مرآة الإسلام) ليكون صبحا مشرقا أتى بعد ليل حالك، فبدد ظلماءه.

ثم توالت صحف الكتاب الجليل تتحدث عن تعاليم الإسلام وأثرها في رفعة شأن المسلمين حتى صاروا سادة العالم في أخلاقهم ومثلهم، كما ألمَّ الدكتور بأحداث مؤسفة أعقبت قتل الخليفتين عثمان وعلى آسفا على ما كان، وقد جره ذلك الى الكلام عن الأحزاب السياسية في الاسلام وأسباب وجودها، منتقلا الى الحديث عن الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية، وما كان من اشتغال المسلمين في عصور الانحطاط بالقشور دون اللباب مما أدى الى تسلط الاستعمار الغربي على أكثر بلاد الإسلام، آملا أن تتحقق النهضة الإسلامية على قدمين، هما إحياء التراث العربي القديم في أزهى عصوره، والانتفاع بما لدى الغرب من حضارة علمية تساعد على التقدم التام في فروع المعرفة الإنسانية.

إن كتاب (مرآة الإسلام) هو أصدق الكتب التاريخية التى ألفها الدكتور طه حسين، وهو حبيب الى القرّاء لسهولة أسلوبه، ووضوح مراميه، وما أنعم الله به على مؤلفه الكبير من حلاوة في الصياغة. وجمال في العرض، وتدفق في المعانى السهلة ذات المرمى السديد.

الهوامش:

(١) مرآة الإسلام ص ٨.
(٢) مرآة الإسلام ص ١٤٥.
(٣) مرآة الإسلام ص ١٤٩.
(٤) مرآة الإسلام ص ١٥٠.
(٥) مرآة الإسلام ص ١٨٩.
(٦) مرآة الاسلام ص ١٩٢.

عبرات من مقلة الجرح

برغم الأسى والحزن تندى حدائقه
تؤرقه الذكرى فتعلو حرائقه
به تعبث الأيام، لكن صبره
الى حضنه يدنو وحبا يعانقه
تفارقه الأحزان في نشوة المنى
وليست جذور البأس ترضى تفارقه
يراقصه الإصباح في ضحكة السنا
تعلله الأطياف، والليل خانقُه

* * *

ويصفو لقوم لا يصافونه الهوى
ويعطي.. لمن يعطي وحقد يلاحقه؟
أيبدون من حلو الحديث بشاشة
ويخفون بالأحشاء ما الجفن ناطقه؟
يريدون أن يشدو ويخشون صدقه
ويغشاهمُ صمت، أتُرضي حقائقه؟
ومن للفتى المظلوم إن ساء دهره
تحركه الأنثى ويرقى مراهقه
سيبقى مدى الأيام بدراً تحوطه
نجوم تراءت كالظلال تسابقه

* * *

ومن أشرس الأيام أن يُرغم الفتى
على صحبة الأذناب كيما توافقه
وربَّ أخي نبل أضرّ به النوى
فأصغى لمهزوز تداعت خلائقه
ولا خير في مرء إذا كان همه
صغير يواريه، كبير ينافقُه

حسن أحمد محمد الصلهبي - جازان - السعودية

ومن كان ذا صدق فليس بصاحب
ومن كان ذا كذب فتُشجي نواعقُه
وهل كل من أثنى عليه بصادق
وهل كل من قد مال للشعر حاذقه؟

* * *

له صاحب لما أتاه مبشراً
تسمَّر مذهولا وشُلّت نواطقُه
ومن كان محسوباً عدواً أتى له
يبادره بالحب، والصفو عابقُه
فليت الذي يأتي من الخير قد أتى
ليكشف مستوراً، وتعلو بوارقه
أفي وحشة الدنيا أشد على الفتى
قريب يعاديه، بعيد يصادقه؟
ستلقى كريم النفس يهمي محبة
على كل جرداء، وبالخير طارقُه
فلا يصطفي وجها يرويه بالندى
ووجها يماريه فجفت مهارفه
هو البؤس في أي الزمان لقيته
فما جدت الأحياء، جدت طرائقه

* * *

ألا أيها الشاكي وفي القلب عبرة
تريك الذي يهواك أو من تفارقه
يموت الذي يحيا على لقمة الأذى
وينساق في ذل وتبدو بوائقه
ولابد للأحرار من وخزة الأسى
تروضهم للمجد، صعب مشارقه

حوار مع الأستاذ الدكتور جابر عصفور

النقد لا يعرف المنطقة الآمنة

الدكتور جابر عصفور ناقد له حضوره البارز في الواقع الثقافي العربي.. وذلك عبر مؤلفات عديدة أشهرها مفهوم الشعر، ومحنة التنوير، آفاق العصر.

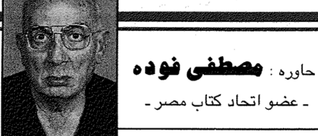
ناقشنا معه عبر حوارنا مستقبل الثقافة العربية وكيف يمكنها أن تصل للعالمية.

***** ما هي ملامح الثقافة في القرن الجديد؟.**

** لعل أهم ملمح في الثقافة في القرن الجديد أنها ستكون ثقافة السلام.. لسبب بسيط مؤداه أن البشرية خسرت في القرن العشرين أكثر من مائة مليون قتيل في الحروب الدامية، فضلا عن أن التقدم العلمي المذهل الذي انعكس على إنتاج السلاح سيجعل القادة والحكام يفكرون مئات المرات قبل أن يشعلوا نيران حرب جديدة.

أما الملمح الثاني لثقافة القرن الجديد فيرتبط بالتعددية والتنوع وأظن أن نهايات القرن الماضي شهدت انهيار المنظومة المغلقة، ومن ثم لم يعد للقرن الجديد سوى تأكيد التعددية.. والمضي بنزعة التنوع البشري الخلاق إلى مداه، وقد لاحظنا بدايات هذه النزعة في العقدين الأخيرين في القرن العشرين.

وأظن أن الملمح الثالث لثقافة القرن الحالي سيرتبط بالتقدم التكنولوجي المذهل وما أفضى إليه من تنوير جذري متصاعد في أدوات الاتصال.. وما سمعناه في نهاية القرن العشرين من أن كوكبنا قد تحول الى قرية كونية صغيرة، وأن ذلك ليس سوى بداية إرهاص لما ستكون عليه ثقافة القرن الذى سيحول استخدام الإنترنت وغيره من المخترعات الموازية الى استخدام شعبي ولن يمضى وقت طويل حتى يحدث للإنترنت ما حدث للترانزستور، الأمر الذى سيغير جذرياً من العلاقات بين المبدعين في مختلف أنحاء العالم.. خصوصاً عندما يتطور شكل الكتاب المسموع والكتاب المرئي، ويصبح الإنترنت وسيلة ميسورة للجميع، وإذا كنا قد عرفنا أن التمرد على العولمة في أحداث سياتل الأخيرة كان يتم بأدوات اتصال



حاوره : **مصطفى فوده**

- عضو اتحاد كتاب مصر -

متقدمة منها الإنترنت، فإن هذا الجهاز الجديد بمنظومته الاتصالية المختلفة سوف يسهم في تغيير هذه الصورة.. وأظن أن الملمح الأخير يرتبط بذلك.. وأعنى به تحطيم الحواجز التقليدية بين الثقافات.. خصوصاً بعد أن تصل الترجمة الإلكترونية الى الدرجة التي نتوقعها لها من التقدم.

**** سؤال يطرح نفسه مع د. جابر عصفور.. متى وكيف يصل أدبنا الى العالمية؟.***

** أدبنا العربي أصبح له مكانة عالية خصوصاً بعد حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل.. والمؤكد أن هذه الجائزة فتحت كثيراً من الأبواب المغلقة وشجعت على تزايد حركة الترجمة.. ويكفي أن أقول إنني منذ عشرين عاماً.. كنت أمر على المكتبات في العواصم الأوروبية ونادرا ما أجد إبداعات لنا مترجمة.. ولكن الصورة الآن قد تغيرت، فنجد عشرات من الترجمات لعدد من الكتاب العرب ولكن هذا لا يعنى أن أدبنا أصبح مقروءاً عالمياً، لأنه إلى الآن لا تزال المكانة العالمية للأدب العربي هامشية ومحدودة.. ولكي تتسع هذه المكانة فلابد من متغيرات كثيرة:

أولها: حركة ترجمة ضخمة على مستوى العالم كله.

ثانيها: حركة تعريف نقدي واسعة بالأدب العربي وإبداعاته في وسائل الإعلام العالمية.

ثالثا: تدفق تيارات من الدراسات النقدية التي تكشف عن القيم الأساسية في الأدب العربي، وتبرز الأبعاد المتميزة لهذه القيم.

**** لسنا في حاجة الى نظرية نقدية عربية.. وقريباً سيصل أدبنا للعالمية.**

**** وسائل الاتصال الحديثة تحطم الحواجز التقليدية بين الثقافات المختلفة.**

**** الشعر تنازل عن عرشه وحلت مكانه الرواية.**

**** يرى البعض أننا نعيش فترة انحطاط مثل عصر المماليك.. وتنحصر مهمة المثقف في كونه شاهدا على عصر هذه المرحلة.. ما تعليقكم على ذلك؟.***

** أنا مختلف مع هذا الرأى لأننا نعيش مرحلة تحول.. ومراحل التحول دائماً تختلط فيها الأضداد. ومرحلة التحول هذه.. إذا استعنا بالشعر يجتمع فيها الرمادي والوردي، الحلم والكابوس، الشعور بالانتصار، والشعور بالهزيمة.. هي المرحلة التى تجتمع فيها النقائض.

من أجل ذلك لا تستطيع أن تصف هذه المرحلة بأنها مرحلة هزيمة مطلقة، أو مرحلة نصر مطلق، لأنها تجمع بين الاثنين، وأما عصر الانحطاط فله صفة واحدة.

**** وكيف ذلك ؟***

** لو نظرت لعصرنا بسلبياته الى جانب ايجابياته نجده عصراً متقدماً جداً على زمن المماليك على كل المستويات.. صحيح أن به مجموعة من السلبيات.. لكن به

** الحروب سادت قرناً كاملاً، وينبغي ان يسود السلام في هذا القرن.

** التحول من المنظومة المغلقة الى منظومة التعددية ضرورة لضمان حياة أفضل.

** انفتاح الثقافات واندياحها في بعضها صيغة من صيغ التعايش الأمثل.

** لكي يكون أدبنا مقروءاً لدى الآخرين ينبغي الاهتمام بالترجمة ذات الابعاد الجادة.

** العمل النقدي يعمل على نقل المجتمع من القهر الى الحرية، ومن التخلف الى التقدم.

مجموعة أيضاً من الإنجازات الهائلة التى لا يمكن لأحد أن ينكرها.

ماذا عن العمل النقدى بالنسبة لجابر عصفور؟.

** العمل النقدي مثله مثل العمل الفكرى والإبداعي يحب أن يعمل على نقل المجتمع من القهر الى الحرية ومن التخلف الى التقدم ومن الظلم إلى العدل ومن الإظلام الى الاستنارة.

يقال إن هناك منطقة آمنه يتحرك خلالها الناقد.. ما المقصود بذلك؟.

** مع اعترافنا بأهمية حركة النقد المنطلقة في كل مجال، لكن لا يوجد في مجال الأعمال الأدبية منطقة آمنة.. لو أن النقد حقيقى والناقد حقيقى فليس هناك منطقة آمنة لأن كل ممارسة نقدية هي إعادة إنتاج جديدة وقراءة جديدة وإذا كانت قراءة جديدة لتأكيد هذه القيم التى أتكلم عنها في التحليل النهائى فهى غير آمنة، لابد أن نصطدم في مجتمعات مثل مجتمعاتنا بقوى تقف ضدك، إن النص الأدبى له أكثر من ألف وجه يتحدى الناقد ويكاد يقول له: كل قراءة ستكشف جانباً جديداً منى.. فعندما أكتب عن أمل دنقل مثلا حتى بعد استقراره في السياق الشعرى.. فهو لا يمثل منطقة آمنة فمن الممكن أن أدخل من خلاله في قضايا مثل الحرية، العقل أدخل في التمرد على السلطان.. ففي الأدب تحديداً لا توجد منطقة آمنة بحكم أن طبيعته تمرد على الضرورة وتأكيد لمعنى التقدم المتصل للإنسان، وإذا لم يكن هناك ما يسمى بالفعل بالمنطقة الآمنة فهناك هروب من المسئولية النقدية.

كيف يرى الدكتور جابر عصفور نقادنا الذين استخدموا المناهج الإحصائية بتطرف ومغالطة؟.

** الناقد الذى يحول النقد الى عملية إحصائية فقط لا يكون ناقداً، لأنه من الناحية الكلاسيكية ما يسمى بالنقد التطبيقى يتضمن ثلاث عمليات متداخلة تحليل، تفسير، تقييم، ولو دخلت الإحصائيات فقط يمكن أن تضيء جانباً من جوانب التحليل، لكن لا معنى مطلقاً لمقالة نقدية يقول صاحبها إن الشاعر استخدم الفعل المضارع عدداً محدداً من المرات، فما دلالة ذلك كله وما وظيفته؟ هذا هو الأهم.

الأمر الثاني أحياناً ما يلجأ الناقد على سبيل التظاهر بالموضة الى استخدام مصطلحات جديدة براقة.

هناك من ينادى بنظرية نقدية عربية بدلا من السير وراء النظريات النقدية الغربية.. كيف ترى ذلك؟.

** لا توجد نظرية نقدية غربية ولا توجد نظرية

** الرواية أقدر على التقاط تفاصيل حياتنا من الشعر.

نقدية عربية، لسبب بسيط هو أن نظريات العلم لا تنتسب إلى قوميات سياسية ولا تنتسب إلى ديانات. وكما لا توجد نظرية إنجليزية في النقد، ولا نظرية نقدية فرنسية، ولا نظرية هندية.. فلن تكون هناك نظرية عربية.

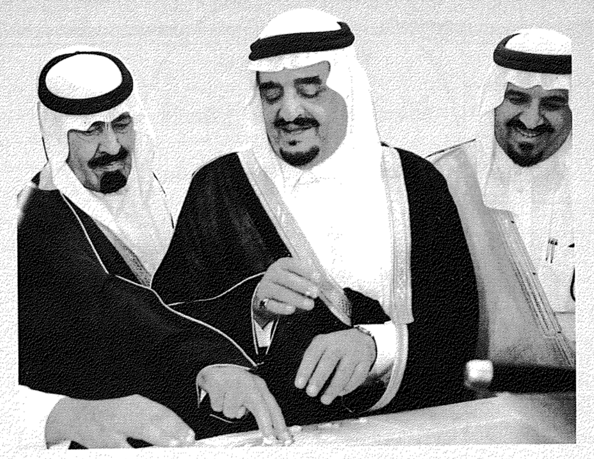
ولكن يمكن أن يكون هناك إنجاز عربي في مجال النظرية ويتضافر مع غيره من الإنجازات.. ولكن بما يعنى أن النظرية ذات صفة قومية.. فالنظرية تتجاوز الأديان والقوميات، والدليل على ذلك بسيط.. موجود في تاريخ النظريات النقدية والأدبية، إن كل نظرية هي من صنع مجموعات من النقاد ينسبون إلى أقطار متعددة وقوميات متعددة ومن النظريات الحديثة النظرية البنيوية، وإذا تأملنا أو راجعنا أسماء النقاد الذين أسسوا هذه النظرية فلن نستطيع أن ننسبهم الى بلد واحد أو قومية واحدة أو دين واحد.

النظرية تنتسب إلى مبادئها الفكرية الفاعلة وتتميز بدرجة كبيرة من العمومية والتجربة والتجريد تجعلها قابلة للتطبيق على عشرات الآداب المختلفة والقوميات أو اللغات، والا ما كانت نظرية.. وما يقال عن البنيوية يقال عن غيرها من النظريات النقدية على امتداد التاريخ الى اليوم.

***** يرى جابر عصفور أننا نعيش في زمن الرواية ولسنا في زمن الشعر.. ما المقصود من ذلك؟.**

** هذا ليس معناه التقليل من قيمة الشعر.. فعشقى للشعر يبدأ منذ الطفولة باعتباره الفن الأول الذى تفتحت عليه الأذن والعين والملكات الخاصة، واستمر هذا أقرب لقلبى من بقية الفنون الأخرى، ورغم هذا العشق فالناقد لابد أن يكون موضوعياً، والذى حدث ببساطة شديدة أن هناك تغييرات حدثت على مجتمعنا العربي بداية بإجهاض المشروع القومى، حيث لم يكن في تلك الفترة منافس للشعر في كونه فن العربية الأول، أما الآن فالشاعر هبط لمكانة متواضعة أصبح رجلا عادياً يعيش في حياة معقدة ويحاول أن يقدم مشاعره تجاه هذا العالم المملوء بالمشاكل.. ثم إن هناك أدواراً كان يقوم بها الشاعر أصبح لا يقوم بها، مثل الدعاية التى أخذتها منه وسائل الإعلام.

ولم يبق للشعراء إلا الدور الذاتى.. هذا بدوره أضاف حالة من حالات الغموض الذى حال بينه وبين الشعبية والجماهيرية.. فيصبح القراء أكثر ضيقاً مما كانوا عليه من قبل.. بمعنى آخر أن حياتنا التى أصبحت تحتاج الى ادراك أعمق.. والرواية من وجهة نظرى أقدر على التقاط تفاصيل حياتنا.. لأن المجتمعات العربية لم تدخل الزمن الديمقراطى بكل معنى الكلمة، فنحن نتكلم عن الديمقراطية أكثر مما نعيشها فنحن نعيش في مرحلة رمادية، وهذا مما يجعلنى أقول إننا نعيش في زمن الرواية، والشعر اضطر أن ينزل عن مكانته بوصفه الفن الأول الى فن مثل بقية الفنون وليس له تأثير الماضى.



بمناسبة اليوم الوطني

صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل ومنسوبوها يتشرفون
برفع أسمى آيات التهانى وأجمل عبارات الأمانى إلى مقام

خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكى
الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى

وصاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود

النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وبهذه المناسبة العزيزة نبتهل إلى المولى سبحانه أن يحفظ لبلادنا الغالية دينها وعزها وأمنها فى ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين ورعاية حكومته الرشيدة وأن تعود هذه الذكرى العاطرة عاماً بعد عام وبلادنا فى تقدم وازدهار.

في البلدان والعمران .. في التقاليد والأعراف في ثقافية وجوه الناس ، السائح يستقرئ الملامح ويرسم اللوحة

اليابان لؤلؤة الشرق وبلاد الشمس المشرقة



اليابان لؤلؤة الشرق وبلاد الشمس المشرقة

استأثر أدب الرحلات باهتمام كثير من طبقات مثقفي العالم قديماً وحديثاً وعُني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ ومازالت الرحلات الى يومنا هذا مصدراً للتعرف على أحوال الأمم وثقافات الشعوب. ولقد زرت الكثير من البلدان في الشرق والغرب، ونشرت بالمنهل هذه المجلة المرموقة والرائدة صفحات شتى من أدب الرحلات.

ويسعدني اليوم نشر هذه الرحلة الى اليابان فقد كانت تحدثني نفسي بزيارة هذه البلاد منذ أمد ولم تتحقق هذه الأمنية ولم يصدق العزم إلا في هذا الوقت ابتداءاً من يوم الخميس ١٤٢٢/٢/٩هـ حيث كان السفر من مطار الرياض في الساعة العاشرة مساء على متن إحدى طائرات الخطوط السعودية استجابة لدعوة وجهتها جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية للمشاركة في أعمال ندوة العلاقات الثقافية السعودية اليابانية (الواقع وآفاق المستقبل) في المعهد العربي الإسلامي في طوكيو وذلك بمناسبة افتتاح مبانيه الجديدة واستئناف نشاطه العلمي حيث يأتي هذا الحفل إيذاناً بمرحلة جديدة في نشاط المعهد وللقيام بالواجبات المنوطة به ليحقق الأهداف النبيلة التي أنشيء من أجلها .. وقد دُعي لهذه الندوة عدد من الباحثين والمثقفين السعوديين وبعد ترتيب ما نحتاج اليه من سمة دخول وتذاكر سفر الى تلك البلاد ـ ولقد كنت قد زرت عدداً من دول الشرق الأقصى مثل ماليزيا وسنغافورة وأندونيسيا وكوريا وغيرها أما اليابان فقد كانت الزيارة الأولى ـ وفي مطار الرياض كان اللقاء برفاق الرحلة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة الملك سعود ووزارة المالية ووزارة الشئون الإسلامية ووزارة الإعلام ولقد سعدت بصحبة هذه النخبة من الأصدقاء مع أنني سبق معرفة بعضهم والبعض كان التقائي بهم لأول مرة وكان الجميع على جانب من الخلق والود .. ولا شك أن الفائدة والمتعة في الترحال بمعية هؤلاء لا نظير لها مما أبقى لهذه الرحلة أثراً في النفس .. وبعد جلسة في قاعة المطار كان الأخوة في قسم العلاقات العامة بجامعة الإمام يغمروننا بلطفهم وحسن تعاملهم وإنجاز لوازم السفر حتى حان موعد الإقلاع من مطار الرياض وصعد الجميع الى الطائرة التي أقلعت بنا متجهة الى طوكيو عن طريق «مانيلا» على ارتفاع ٣٥٠٠٠ قدم وفي سماء بلادنا كان الطيران مريحاً لهدوء الرياح وسكون الجو، وبعد تعليمات الطيران قدم الطعام لجميع المسافرين وبعد الإنتهاء من تناوله أطفئت أنوار الطائرة فاسترخى كل واحد منا في كرسيه، بعضهم استغرق في النوم وبعضهم في

بقلم : **عبدالله بن حمد الحقيل**
الأمين العام الأسبق لدارة الملك عبدالعزيز - السعودية

القراءة .. وللأسف فأنا من النوع الذي لا ينام في الطائرة، فتناولت مجموعة من الصحف والمجلات مردداً قول الشاعر العربي امرء القيس في مناجاته لليل:

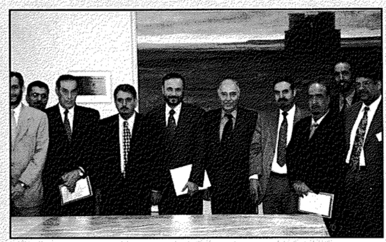
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
بصبح وما الإصباح منك بأمثل

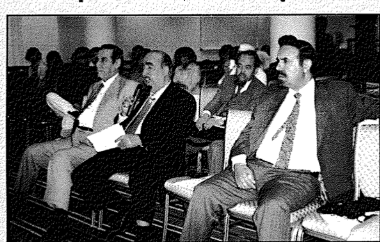
ثم طلب منا قائد الطائرة سرعة ربط الأحزمة لوجود مطبات هوائية وعواصف ورياح فنحن بين طيات الغيوم والسحب ولا غرو فنحن نتجه الى الشرق الأقصى وهناك عواصف تجتاح الكثير من البلدان وخاصة اليابان .. وهكذا بقينا معلقين في الجو طوال الليل ومضت الطائرة تشق أجواء الفضاء في هدوء مهيب تلهب في الذهن الخيالات الكثيرة ومرت شتى الخواطر في ذهني وعاد بي الخيال متذكراً عالم الطيران بمحاسنه ومساوئه.

الرحلات ممتعة ومثيرة ومفيدة والاستمتاع بقراءتها لا شك يضيف جديداً، ولقد قال أبو تمام:

وطول مقام المرء في الحي مخلق
لديباجته فاغترب تتجدد
فإني رأيت الشمس زيدت محبة
إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وبعد عبور المحيط الهادي بدأ انبثاق اشعاع الفجر ونهضنا لتأدية صلاة الفجر


- المشاركون في الندوة أثناء زيارتهم للسفارة السعودية في اليابان.


- في قاعة المعهد العربي في طوكيو.


- في أحد شوارع طوكيو.





ـ مجموعة الندوة في المركز الاسلامي في طوكيو.

ولكم يشعر المرء بالراحة والسكينة بعد ذلك مردداً قول الله تعالى {سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين}، وأخذت أشاهد هذا الكون العظيم من ثقب نافذة الطائرة والذي هو من آيات الله وأتذكر المغامرين من الرحالة كابن جبير وابن بطوطة وابن فضلان والسيرافي وماركو بولو وفاسكو داجاما ثم شاهدت الجزر الفلبينية وكما هو معروف فالفلبين يضم سبعة آلاف جزيرة وهذه الجزر أخذت اسمها من الملك فيليب الثاني أحد ملوك اسبانيا الذين دخلوها مع البرتغاليين الذين ارتادوا هذه المناطق وأقاموا فيها واستقر الاسبان فيها ولذلك لا تزال اللغة الاسبانية لغة الكثير من السكان وقد نقلوا الديانة المسيحية الى هذه الجزر ولقد سبق المسلمون الإسبان الى هذه البلاد ونقلوا الإسلام الى هذه الديار وخاصة المناطق الجنوبية وخصوصاً جزيرة «مندناو» وبينما كنت مستمتعاً بمشاهدة هذه الجزر أضيئت الإشارة الحمراء الخاصة بربط الأحزمة إشارة الى مرور عاصفة على المحيط الهندي والتفت الى صديقي الدكتور/ عبد الملك الشلهوب قائلا له ما هذه العواصف والمطبات الهوائية فوق «المحيط الهندي» المعروف بهدوئه، أم لكوننا نجتاز خط الاستواء ثم اندمجنا في أحاديث جغرافية وتاريخية وإعلامية خاصة وهو استاذ الإعلام بجامعة الإمام ثم ربطنا الحزام وعدلنا المقاعد استعداداً للهبوط في مطار مانيلا .. وأمام سلم الطائرة كان في انتظارنا مندوب الخطوط السعودية .. وناولناه تذاكر السفر وانطلق نحو الخطوط الجوية اليابانية لاستكمال اجراءات السفر نحو طوكيو وتجولنا في ربوع المطار مردداً قول الشاعر:

سح في البلاد إذا أردت تعلماً
إن السياحة في البلاد تفيد

وبعد قضاء برهة من الوقت حيث أمضينا فترة من الراحة غادرنا مانيلا على متن إحدى الطائرات العملاقة اليابانية وبها أكثر من أربعمائة راكب من مختلف الأجناس مواصلين الرحلة طوال ست ساعات وأخذ الزملاء في الحديث عن اليابان وتاريخها وعن كيفية صيد وصناعة وزراعة وتجارة اللؤلؤ في اليابان وحروبها وتقاليدها وفي الطائرة قدموا لنا الصحف اليابانية والطعام الياباني كما كنا نتلقى البث التلفزيوني من تلفاز طوكيو مباشرة وكانت السماء ضباباً وأمطاراً ورياحاً. وتحدث إليَّ أحد الزملاء عن العواصف التي تجتاح اليابان وخلال الحديث طلب منا قائد الطائرة سرعة ربط الأحزمة لوجود عاصفة.. ودار الحديث في الطائرة حول هذه البلاد وكل واحد منا يتحدث عن شيء من تاريخ وحضارة هذه البلاد وصناعاتها الحديثة وأديانها ولغاتها وعن السكك الحديدية فيها ومستوى المعيشة وكيف أنها مرتفعة التكاليف.. وتناولت مجموعة من النشرات باللغة اليابانية التي لا أحسنها وأقلب في النشرات دون معرفة المضمون واهتزت الطائرة بعنف استعداداً للهبوط ..كان في الاستقبال عدد من الأخوة السعوديين منهم الدكتور عبد الله السهلي مدير المعهد العربي الإسلامي في طوكيو والأستاذ/ سعد الزويهري

وعدد من الطلاب السعوديين ممن يتلقون العلم في الجامعات اليابانية ثم توجهنا نحو الفندق وكان اسمه «نيو تاني» الذي وصلناه بعد ساعة ونصف من السير من المطار حيث كان سير السيارات بطيئاً رغم أننا في الساعة العاشرة وكان مرافقنا الأخ وليد البهكلي أحد الطلاب السعوديين في طوكيو يشرح لنا معالم الطريق والجسور والجامعات والمكتبات والمتنزهات ومعالم الطبيعة البارزة من الجبال والأنهار والبحيرات وغير ذلك من المعلومات السياحية حتى لاح لنا الفندق ورأينا على مداخله مجموعة من الجالية العربية والإسلامية ومدير المركز الإسلامي الدكتور/ صالح السامرائي وغيره حيث حصل التعارف والحديث عن الرحلة وقلت إنها كات مريحة على طولها لشوقنا إليكم مردداً قول الإمام الشافعي:

تغـرب عن الأوطان في طلب العـلا
وسافـر ففي الأسـفـار خمس فـوائد
تَفَـرّج هَمّ واكـتـسـاب مـعـيـشـة
وعلم وآداب وصـحـبـة مـاجـد

وبينما كنا مستغرقين في الحديث وعن برنامج الحفل والندوة الثقافية وإذا بالأخوة يدعوننا لأخذ الأمتعة والصعود نحو الغرف في هذا الفندق الذي يحتوي على ألف وثمانمائة غرفة ويتكون من ثلاثة أبراج - وأربعين طابقاً وبه ثلاثون مطعماً وحديقة عالمية رائعة ذكرتنا بقول الشاعر:

نزلنا بهـا واسـتـوقـفـتنا محـاسن
يحن إليـهـا كل قلب يهـواهـا

وصعدنا الى الغرف وجرى توزيع برامج الزيارة والحفل والندوة الثقافية ثم استغرقت في النوم بعد عناء رحلة طويلة في استراحة من متاعب السفر مما ذكرني بقول الشاعر:

تخلف عن الأسـفـار إن كنت طالبـاً
نجـاة فـفي الأسـفـار سبع عـوائق
تنكـر إخـوان وفـقـد أحـبـة
وتشـتـيت أمـوال وخـيـفـة سـارق
وكـثـرة إيحـاش وقلة مـؤنس
وأعظمـهـا يا صـاح سكنى الفنادق
فإن قيل في الاسفار كسب معيشة
وعلم وآداب وصـحـبـة فـائق
فـقـد كـان ذا دهراً تقـادم عـهـده
وأعـقـبـه دهر كـثـيـر العـوائق
وهذا مـقـالي والسـلام مـؤيد
وجرب فـفي التـجـريب علم الحقـائق

وقيل إن السفر قطعة من العذاب .. ويروى عن الحجاج قوله: لو لا فرحة الإياب لما عذبت أعدائي إلا بالسفر.. وقيل السفر والسقم والقتال ثلاثة متقاربة فالسفر سفينة الأذى والسقم حريق الجسد والقتال منبت المنايا .. وقيل السفر اغتنام لولا أنه اغتمام والغربة دربة لولا أنها كربة ويروى عن بعض الشعراء قوله:

لا تـغـتـرب عـن وطـن
واذكـر تـصـاريـف النـوى
أمـا تـرى الـغـصـن إذا
مـا فـارق الأصـل ذوى

إن المسافر مهما وجد من وسائل المواصلات والسكن وغيره فهو يعد غريباً ولقد زخرت كتب الرحلات وآدابها بالكثير من ذلك مما قلته للزملاء، ونحن في قاعات الفندق والمطار وغيرها ومع هذا كله فهو أي السفر يجد البعض فيه متعة وفائدة ونشاطاً وحيوية، خاصة من كان ذا هدف نبيل وغاية كريمة وفوائد علمية وتاريخية، لقد شط بي الحديث ولنعد إلى



موضوع رحلتنا والحديث عن الفندق الذي أقمنا به إذ يقع هذا الفندق في وسط المدينة وهو حسن التنسيق وموظفوه في غاية الرقة وحسن الأدب والبشاشة وكل شيء نظيف ومرتب فلا تقع العين إلا على ما يستهوي النظر كما أن الغرف على جانب من التنسيق والنظافة والسعة وقد أعد فيها ما يحتاج إليه من لباس النوم وأدوات تنظيف الأسنان وآلات الحلاقة وكلها تغير كل يوم وبه عشرات المطاعم اليابانية والصينية والأوروبية ولقد كان الجو أميل الى البرودة وكان ممطراً. ونزلت في غرفة في الطابق الثامن تطل على حديقة منسقة أبدع تنسيق وغاية في الجمال كما أن المنطقة التي يقع فيها الفندق منطقة فاخرة في حي تجاري حديث .. وفي الصباح خرجت مسرعاً أتجول في هذه المنطقة وبين أشجار الحديقة الخضراء.

جولة في قلب العاصمة:

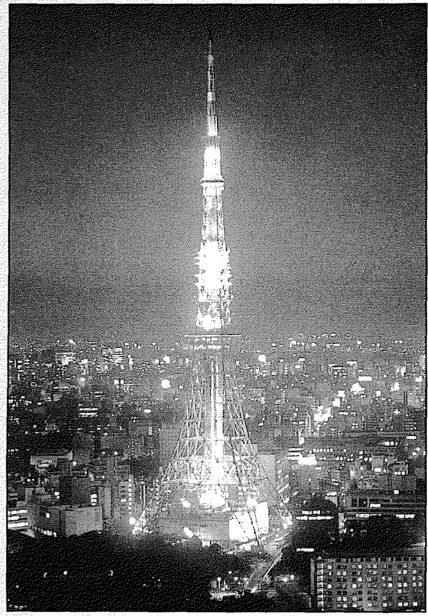
وفي صباح هذا اليوم الأحد الموافق ١٤٢٢/٢/١٢هـ توجهنا لزيارة بعض المعالم السياحية والأسواق والتجوال بالقطار لمشاهدة معالم المدينة التي يسكنها ستة عشر مليوناً أحس بينهم بما قاله المتنبي:

ولكن الفتى العربي فيها
غريب الوجه واليد واللسان

وصادف هذا اليوم الاحد يوم عطلة ومررنا بعشرات الأماكن والمنتزهات وشاهدنا أجناساً متعددة من العالم فنجد الصينيين والهنود والباكستانيين واليابانيين وشتى الألوان والأجناس ثم ذهبنا إلى سوق «الإلكترونيات» بأدواره المتعددة حيث توجد به التحف والمصنوعات والتلفزيونات والراديوهات والآلات الكهربائية المتنوعة والمخترعات الحديثة وكل ما يخطر على البال.. ثم أخذنا سفينة تجولنا فيها وسط نهر طوكيو استغرقت أكثر من ساعتين شاهدنا المدينة ومعالمها ومبانيها الشاهقة ومصانع السيارات وغيرها - لقد كان يوماً حافلا بالفائدة والمتعة والتنقل في تلك الربوع ورغم أنها كانت متعبة حيث كنا مواصلين السير إلا أنها ممتعة في تجدد المناظر والمرور على مناطق مختلفة ومشاهدة كل جديد مع المطارحات الشعرية والمفاكهات الأدبية وايراد القصص الطريفة والذكريات الجميلة وإنشاد الأشعار وأقوال الحكماء.. ونزلنا من السفينة ومشينا على الأقدام لمدة نصف ساعة حتى وصلنا الى محطات القطار وامتطينا القطار الى منطقة الفندق وكنا نشاهد ناطحات السحاب وبها الأحياء المختلفة وشاهدنا برج طوكيو الشاهق ومررنا ببعض الجامعات وكان الأخ ابراهيم الجردان وعبد الله القحطاني من الطلبة السعوديين يرافقاننا ويشرحان لنا تلك المعالم والمناظر ثم سرنا في جو غائم ظليل الى منطقة «أساكوسا» ثم منطقة «أكواستي» وميدان سباق الخيل الكبير. وبعد جولة طويلة في أنحاء أحياء ومعالم طوكيو، انصرفنا نحو إحدى المقاهي المطلة على النهر لتناول الشاي والمرطبات وكان الشاي بارداً جداً ثم غادرنا المكان قاصدين الفندق عبر عدة محطات للقطار السريع الذي يتسع للآلاف من البشر ولبثنا فترة ليست طويلة نسير في طرق مدينة طوكيو ذات الملايين الستة عشر وكان بجواري مندوب جريدة الشرق الأوسط الأخ إمام محمد إمام وقد قدم من لندن لتغطية أخبار الحفل وكانت الرحلة: لعمل مقارنة بين لندن وطوكيو من حيث المواصلات ومظهر الناس الحسن وكذا مظهر القطارات من حيث النظافة والطلاء والترتيب .. وقال إن لندن أفضل بمراحل من طوكيو فقلتُ له هذه الأفضلية لا

يستطيع الانسان أن يؤكد صحتها وعمقها إلا بعد دراسات وإحصاءات ورغم أن طوكيو مكتظة بالسكان إلا أن المرء يلاحظ قلة بل ندرة ظاهرة الغبار والتلوث ولعل جوها الندي وخاصة في هذا الشهر مايو الذي يغسل مطره الأشياء ويلبد نداه ليبعد عنها الغبار والاتربه.. وخرجنا من محطات القطار نتبادل الأحاديث والانطباعات مع الأخوة الدكاترة - عدنان الوزان - خالد الحمودي - ابراهيم الزكري - عبد الملك الشلهوب - محمد المقيطيب - سمير عبد الحميد - عبد الله اليحيى ، ووصلنا الفندق والتقينا ببعض الزملاء ممن ذهبوا لمناطق أخرى وقد حدثنا الدكتور/ أنور عشقي والأستاذ/ صالح السالم بانطباعاتهما للمناطق التى قاموا بزيارتها.

وذهبنا في رحلة سياحية لزيارة «هاكوني» وهي تبعد عن طوكيو ساعة ونصف الساعة وهي من أشهر الأماكن السياحية في اليابان وبها ينابيع المياه المعدنية الساخنة حيث يستحم بها السياح ومحاطة بنخيل «فوجي» وتحتوي على مجموعة من المطاعم والفنادق والملاهي - وجبل فوجي هو أعلى جبل في البلاد وارتفاعه ٣٧٧٦ متراً وفي اليابان يوجد عشر مجموع البراكين في العالم بأسره ومعظم اليابان عبارة عن جبال شاهقة بينها وديان ضيقة والواقع أن ٦٨٪ من اليابان هي مناطق جبلية وأغلب السكان يختارون



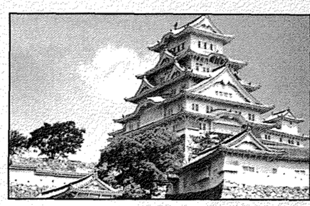
- من المعالم السياحية في طوكيو

السكن في المناطق المستوية أو المرتفعة ارتفاعاً بسيطاً حيث تكون الزراعة ونقل البضائع أسهل بكثير ولقد لاحظت أن البيئة الطبيعية في اليابان جميلة ولكن البراكين والزلازل كثيراً ما تسبب لهم المشاق التي تعلم اليابانيون أن يتعايشوا معها. لقد لاحظت أن البحار تحيط بهذه البلاد من كل جانب المحيط الهادي في الشرق وبحر اليابان في الغرب وبحر شرق الصين في الجنوب وبحر أوكوتسك في الشمال وما أعظم قدرة الله





- مهرجان هاكاتا دونتاكو



- قلعة هميجي.

فقد جعل في المحيط من السمك ما يشكل مصدراً هاماً للغذاء والاقتصاد في اليابان وخلال التجول في بعض الجبال رأيتها تحتوي على عدة عيون طبيعية ساخنة كما تزخر هذه البلاد بأنهار وبحيرات بديعة وتسبب لهم العواصف والأعاصير في الصيف .. وفي الخريف فيضانات وسيول جارفة وغيرها من الأضرار كما أن الزلازل القوية التى تحدث تحت الماء تسبب أمواجاً عارمة ذات تأثير مدمر. لقد صادف وجودنا عدة اجازات حيث يطلقون على هذا الأسبوع - الأسبوع الذهبي وهو عبارة عن عدة مناسبات - هي عيد الطفل وعيد الأم وعيد الامبراطور وكعادتي عندما أزور بلاداً أحرص على الخروج باكراً في الصباح للتعرف على المدينة وحركة الناس في الصباح وما تحويه المدينة من دكاكين ومطاعم ومقاه ومواصلات

ولقد لاحظت الاهتمام بالنظافة والحرص على التنسيق والجمال بأبدع صوره وكثرة الورود والزهور - ولقد استهواني جمال الحديقة المجاورة للفندق وهي تحتوي على شلالات متعددة وبحيرة يعوم فيها البط وصنابير المياه العذبة منتشرة في كل أنحاء الحديقة وباعة المشروبات ومجموعة من المطاعم وأسراب الطيور والحمام تحوم في جوانب الحديقة وشاهدت أطفالا ينثرون لها الحب مما ذكرني بقول الشاعر العربي:

تسقط الطير حيث يلتقط الحـ
ـب وتغشى منازل الكرماء

إنها حديقة تستحق الزيارة فإضافة إلى ما فيها من أنواع النباتات والأشجار فإنها منسقة تنسيقاً يسر الناظرين الى جانب أشجار مختلفة الألوان كثيرة الأنواع ذات رائحة عطرية كما تحتوي على غابة من الأشجار والزهور الجميلة.

وفي الحديقة التقيت بأحد أبناء الجالية الإسلامية من أبناء الباكستان فحكى لي عما تتميز به هذه البلاد من وجود حيوانات فريدة حيث يوجد بها طيور وحيوانات لا توجد في أي مكان في العالم وصار يعدد أنواعها كما أنها موطن ما يتراوح بين ٦٠٠٠ نوع من النباتات المحلية كما أن لبعض النباتات معاني رمزية فمثلا تعبر زهور الكرز عن الجمال قصير العمر وأشجار الصنوبر ترمز لصناعة الأدوية والملابس والورق والأدوات المختلفة. ومن الحديقة خرجت لمحطة القطار وهي أشبه بخلية النحل وأعداد البشر بالملايين ولكنهم في غاية الترتيب والتنظيم - ورغم أن الأشكال متشابهة والأجسام متماثلة إلا أنهم في حركة دائبة ونشاط متواصل وإدمان على العمل.

لقد أمضينا يومين كاملين في جولات استطلاعية منذ بلغنا هذه المدينة متنقلين بين ضواحيها ومبانيها

الحديثة وأسواقها وشوارعها وحدائقها التى تنتشر فيها وسفوح جبالها الخضراء.

جامعتنا السعودية ودورها الثقافي الرائد:

لجامعاتنا السعودية أنشطة متنوعة تحاول من خلالها تحقيق الكثير من الغايات والأهداف في الإطار الثقافي وذلك لتحقيق أهداف رسالتها العلمية بحيث تصل الى مختلف أرجاء العالم ولجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية برامج علمية تتميز بها في الداخل والخارج فقد أوجدت معاهد للجامعة في بعض الدول خارج المملكة في واشنطن واندونيسيا واليابان وموريتانيا والامارات العربية المتحدة بهدف نشر رسالة الاسلام وتعميق الحوار والتفاهم والتعاون والتبادل الثقافي - وفي إطار توثيق أواصر التعاون الثقافي بين المملكة واليابان ولإتاحة الفرصة للراغبين من الشعب الياباني في تعلم اللغة العربية والتعرف على الحضارة الاسلامية قامت المملكة ممثلة في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بإنشاء المعهد العربي الاسلامي في طوكيو عام ١٤٠٢هـ، ومنذ ذلك التاريخ ساهم المعهد في تحقيق هذا الهدف من خلال البرامج التعليمية والثقافية المتنوعة التى قام بها وتحقيقا لرسالة المعهد صدرت موافقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز على تنظيم ندوة العلاقات الثقافية السعودية في طوكيو خلال الفترة ١٣ - ١٥ صفر ١٤٢٢هـ وقام بافتتاحها معالى الأستاذ الدكتور محمد بن سعد السالم مدير الجامعة نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز وزير الدولة عضو مجلس الوزراء ورئيس ديوان مجلس الوزراء.

ولقد كانت ندوة رحبة خصبة موفقة حضرها عدد من الشخصيات السعودية واليابانية ونخبة من المثقفين والمؤرخين السعوديين واليابانين الذين تناولوا العلاقات الثقافية بين البلدين من خلال ١٩ بحثا علميا تم عرضها في خمس جلسات خلال أيام الندوة - لقد كانت بحق ندوة لتفعيل الحوار الثقافي بين السعودية واليابان وتعميق الحوار والتفاهم والتبادل الثقافي وشارك في الندوة منظمات يابانية اسلامية وحضر افتتاحها عدد كبير من الضيوف واعضاء السلك الدبلوماسي العربي والاسلامي وفي مقدمة الجميع ابن عم الامبراطور «اكيهتيو» الذي وصف الندوة والمعهد بأنهما نافذة لانفتاح اليابان على الثقافة الاسلامية وتعزيز الحوار مع المسلمين وفي الكلمة الافتتاحية أكد سفير المملكة لدى اليابان السيد محمد كردي اهتمام حكومة خادم الحرمين الشريفين بدعم هذا الصرح.. والمعهد كمنارة للمعرفة والثقافة والعلم جعل كل ذلك متاحاً للمسلمين في اليابان لترويج التبادل العلمي والتعريف بالحضارة الاسلامية وقال ان الندوة تمثل تظاهرة سعودية اسلامية ابرزت دور المملكة المركزي في بناء جسر بين طرفي آسيا يدعمه التفهم للدين والقيم والحضارة الاسلامية ومدى الأهمية التى تعلقها المملكة على اليابان في تعزيز الحوار بين الحضارات كما أن مدير الجامعة الدكتور محمد السالم أكد على أهتمام الجامعات السعودية بدعم العلاقات الوطيدة والتعاون بين العالم الاسلامي والشعب الياباني وان هذه الندوة تعتبر محوراً للعلاقات بين السعودية واليابان والاسلام في ميادين البحث ومجالات الترجمة وتأمين تطلعات الباحثين. لقد حظيت جلسات هذه الندوة بحضور متميز وتقديم بحوث بناءة وحوارات مفيدة تحقق بفضل الله من خلالها الهدف المنشود من تنظيم هذه الندوة وهو انجاز مرحلة أخرى في مسيرة المعهد لتقوية أواصر التعاون الثقافي بين المملكة واليابان واستشراف ما يمكن إنجازه من مراحل في



المستقبل وهذا ما أكد عليه الباحثون بأهمية تطوير العلاقات بين الدولتين في المجال الثقافي إضافة للمجال الاقتصادي.

زيارة السفارة السعودية:

وفي صباح يوم الاثنين ١٤٢٢/٢/١٣هـ كان أول ما فكرنا فيه زيارة السفارة السعودية حيث كنا على موعد مع سعادة السفير الأستاذ الأديب/ محمد بشير كردي، فبعد أن قاربت الساعة العاشرة خرجنا من الفندق ومضينا نحو السفارة حتى وقفنا على بابها وإذا بأحد الحراس يستقبلنا بكل بشاشة ولطف يفسح الطريق لنزول سيارتنا الى «المرآب» وصعدنا الى الدور الرابع حيث مكتب سعادة السفير الذي وجدناه في الانتظار ومرحباً بهذه الزيارة ولقد كان استقبالا حسناً وترحيباً كريماً وأخذ في الحديث عن هذه البلاد وثقافتها وعاداتها وتقاليدها وأحضر لنا القهوة العربية والتمور السعودية والشاهي الساخن وأكواباً من الشاهي الياباني وألح بالدعوة للضيافة كما أطلعنا على مجموعة من الكتب وصور السفراء الذين كانوا قبله في هذه السفارة وطوال بقائنا في طوكيو كنا نلتقي به في كل ليلة لمسامرة سعادته في الأدب والشعر والدبلوماسية والتاريخ وكان حريصاً على حضور جلسات الندوة الثقافية ودعانا في أكثر من أمسية لتناول العشاء والشاي بمنزله فقلت له إنك تذكرني بقول الشاعر:

حبيب الى الزوار غشيان داره
كريم المحيّا شبّ وهو أديب

وألقيت عدة قصائد حين كنا في مسامرة سعادته بمنزله وما قيل في مكارم الأخلاق والنخوة والشهامة والمروءة.

ولقد كانت فرصة طيبة للاجتماع بالأخوة السعوديين الذين منهم العاملون في السفارة ومنهم الدارسون في الجامعات والمعاهد اليابانية وكانت جلسات جيدة اكتمل الأنس فيها لأن الكلفة فيها بين الجالسين قد رفعت ولأن المودة والأخوة كانت سمة الجميع. وكانت جلسات مفعمة بالأحاديث الأدبية والثقافية وحافلة بالنقاش العلمي والتاريخي.

المعهد العربي الإسلامي يستأنف نشاطه العلمي:

في مساء يوم الاثنين الموافق ١٤٢٢/٢/١٣هـ، توجهنا صوب المعهد العربي الاسلامي الذي يقع بالقرب من مقر السفارة السعودية وقد وجهت الدعوات الى الجامعات والسفراء العرب والمسلمين والمراكز والهيئات والجمعيات الاسلامية لحضور هذا الحفل الإسلامي وبحضور الأمير «تاكامادو فوهيا» وكان الحفل بمناسبة افتتاح مباني المعهد الجديدة واستئناف نشاطه العلمي.

وبعد تلاوة آيات من الذكر الحكيم، ألقى معالي مدير جامعة الإمام الأستاذ الدكتور/ محمد السالم كلمة استعرض فيها دور المعهد في دعم العلاقات السعودية ـ اليابانية وتنميتها في جميع المجالات، وكذلك دعم التعاون بين الشعوب العربية والإسلامية والشعب الياباني، مشيراً الى أن افتتاح المعهد يمثل استجابة كريمة من الحكومة السعودية لطلب المسلمين في اليابان لسد حاجاتهم من العلوم الشرعية والعربية، ورعاية شئونهم في مختلف النواحي، وقال: إن المعهد روعي عند تصميمه أن يكون شكله دالا على وظيفته، وأن يكون رسالة تراثية تهدف الى تعريف المجتمع حوله بالتراث المعماري والحضاري والثقافي لبلادنا العربية والاسلامية وقيمنا الاجتماعية، كما تمت الاستفادة القصوى من أرض الموقع في حدود ما تسمح به الأنظمة. وأن المبنى أنجز واستأنف نشاطه

بحمد الله وتوفيقه شاهداً من شواهد العصر، وعلامة مضيئة يسير على هداها الساري، وحسنة من حسنات خادم الحرمين الشريفين، وعملا من أعماله لا ينقطع.

وأوضح الدكتور/ السالم أن ندوة «العلاقات الثقافية السعودية ـ اليابانية: الواقع وآفاق المستقبل» تأتي من منطلق الرغبة المتبادلة بين الحكومة السعودية واليابان في دعم التعاون في ما بينهما لمصلحة الطرفين، واستجابة لحرص خادم الحرمين الشريفين وولي العهد والنائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء لتلبية احتياجات المسلمين والأصدقاء في اليابان، كما أنها تأتي استشعاراً من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمسئولياتها تجاه تحقيق هذه الرغبة السامية. وقد حرصت الجامعة على أن تشمل محاور الندوة كل الجوانب المتعلقة بالعلاقات الثقافية السعودية ـ اليابانية، والإسلام في اليابان. وقد استكتب لهذه الندوة عدد من الأكاديميين والمتخصصين من الجامعة ومن خارجها لتأتي بالشكل المطلوب ووفق التطلعات إن شاء الله.

وألقى الأستاذ محمد بشير كردي، سفير المملكة العربية السعودية في اليابان، كلمة أعرب فيها عن سعادته لاستئناف المعهد العربي الإسلامي نشاطه العلمي والثقافي في اليابان، مشيراً الى أهمية العلاقات اليابانية ـ السعودية وضرورة تمتينها وتطويرها لما تلعبه اليابان من دور مهم في العالم الصناعي اليوم. وقال: إن المعهد يخدم قضايا الجاليات المسلمة في اليابان، لا سيما في مجال الدعوة والتعليم، كما أنه يساهم في التعريف بالعقيدة الإسلامية الصافية والمحافظة على الهوية الدينية الإسلامية، ودعا الى ضرورة تضافر جهود المؤسسات والمنظمات والمراكز الإسلامية في سبيل الدعوة الى الله

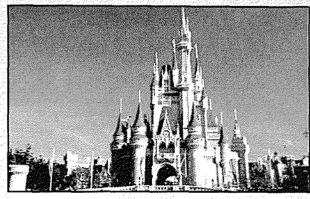


ـ ساعة الذروة في قطار طوكيو.

بالحكمة والموعظة الحسنة. كما رحب بالمشاركين من الأكاديميين والمختصين في أعمال ندوة «العلاقات الثقافية السعودية ـ اليابانية» ، متمنياً للمؤتمرين نجاح هذا الملتقى العلمي الطيب الذي يؤصل لمستقبل العلاقات السعودية ـ اليابانية، ومن ثم العلاقات اليابانية ـ العربية الإسلامية.

وقال الدكتور عبد الله السهلي، مدير المعهد العربي الإسلامي في طوكيو إن المعهد أدرك أهمية تهيئة بيئة إسلامية صالحة لأبناء الجالية الإسلامية وربطهم بمجتمعهم وثقافتهم الإسلامية، لذلك تم استحداث برنامج أسبوعي لتعليم أبناء الجالية الإسلامية اللغة العربية والدين الإسلامي، على أمل تعميم هذا البرنامج، بحيث يشمل أيام الأسبوع كلها، كما نظم المعهد برنامجاً خاصاً لأسر الجالية المسلمة، يشمل ذلك تدريس القرآن الكريم وتجويده. وأضاف الدكتور السهلي: إن ندوة العلاقات الثقافية السعودية ـ اليابانية التي تنظمها الجامعة ممثلة في المعهد حالياً تمثل أحد المناشط التي اضطلعت بها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، من خلال المعهد العربي الإسلامي في طوكيو، وتعتبر خطوة مهمة نحو تحقيق اهدافه التي رسمتها حكومة خادم الحرمين الشريفين،




- ديزني لاند/ طوكيو.

ومن المؤمل أن تخرج هذه الندوة بتوصيات ونتائج علمية تعزز من نشاط المعهد والجامعة وعلاقتها بالمؤسسات العلمية في أنحاء اليابان.

وألقى البروفيسور كاتاكورا كونيو، الأستاذ في جامعة دايتو اليابانية، كلمة عبر خلالها عن سروره لهذا اللقاء الطيب في رحاب بلاده، مشيداً بدور المعهد الثقافي والإسلامي وأثره الطيب في تحسين العلاقات اليابانية - السعودية وتطويرها في مختلف المجالات.

وتحدث في الحفل هيقوشي ميماساكا، المسئول في جمعية مسلمي اليابان، معرباً عن فرحته لاستئناف المعهد لنشاطه العلمي والثقافي والديني، داعياً الى تضامن الجاليات المسلمة في اليابان لخدمة الإسلام والمسلمين والعمل للحفاظ على الهوية الدينية الإسلامية للمجتمع المسلم في اليابان.

يذكر أن المعهد العربي الإسلامي قد أنشيء في عام ١٣٩٨م في طوكيو، وقام بنشاط واسع في مجال تعليم اللغة العربية والدعوة الإسلامية، وخدمة الجالية العربية والإسلامية في اليابان، وتطوير العلاقات الثقافية والعلمية بين السعودية واليابان.

ندوة المعهد العربي الاسلامي في طوكيو

بعنوان: «العلاقات الثقافية السعودية اليابانية رسالة ثقافية»

في صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٤/٢/١٤٢٢هـ افتتح الدكتور محمد بن سعد بن عبد العزيز السالم، مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية في الرياض، أعمال الندوة.. وتتضمن الندوة ستة محاور تناقش قضايا العلاقات الثقافية السعودية - اليابانية: التاريخ والتطور، والإسلام في اليابان: التاريخ والانتشار، والمؤسسات القائمة هناك.. ودراسة اللغة العربية والثقافة والحضارة الإسلامية في اليابان: الماضي والحاضر، والتأليف والترجمة من اللغة اليابانية وإليها في مواضيع اللغة العربية والدين الإسلامي، والمعهد العربي الإسلامي في طوكيو: النشأة والمنجزات، وجمعية الصداقة السعودية - اليابانية: النشأة والمنجزات. وتشتمل الندوة على فعاليات مصاحبة نظمتها اللجنة التحضيرية للندوة، منها: معرض لمطبوعات الجامعة، ومعرض لصور ولوحات ورسوم بيانية عن الجامعة بصفة خاصة، وعن السعودية بصفة عامة، وعرض أفلام تعريفية عن الجامعات السعودية.

الأمير الامبراطوري يؤكد على أهمية العلاقات السعودية اليابانية:

ولقد أكد سمو الأمير الامبراطوري (تاكامادو نوميا نوريهيتو) أن العلاقات السعودية اليابانية تتمتع بقوة ومتانة كبيرة حرصت كلتا الدولتين على دعمها وإرساء قواعدها، وقال سموه إن البعد الجغرافي بين الدولتين حال دون تبادل ثقافي غني بينهما. لذلك نجد عدداً كبيراً من اليابانيين لا يعرفون الكثير عن المملكة وعن الحضارتين العربية والإسلامية.

وأوضح الأمير تاكامادو نوميا نوريهيتو أننا عندما نتحدث عن العلاقات السعودية اليابانية فإن تفكيرنا يجب ألا ينحصر على العلاقات السياسية والاقتصادية

فحسب، بل يتعدى ذلك ليشمل النواحي الثقافية، وقال أن الندوة تطرقت لواقع العلاقات الثقافية السعودية اليابانية، وكيف يمكن أن نرتقي بهذه العلاقة ونستثمرها في المستقبل، ومن وجهة نظري أعتقد أن إيصال الصورة الحقيقية والمعلومة الصحيحة عن الإسلام والعالم العربي إلى أفراد الشعب الياباني هي الخطوة الأهم في الوقت الحاضر. وفي نفس الوقت العمل على زيادة معرفة أفراد الشعب السعودي باليابان وآسيا وسوف يسهم هذا في تعميق التفاهم والحوار بين الشعبين، هذا بدوره سيكون خطوة مهمة في دعم العلاقات وتعزيز التعاون في مجالات جديدة.

المعهد العربي الإسلامي في طوكيو صرح حضاري ومفخرة سعودية:

إن هذا المعهد الإسلامي في هذه البلاد هو منارة عربية إسلامية وامتداد لجسر التواصل والعلاقات الحضارية الثقافية بين المملكة واليابان التي بدأها الملك عبد العزيز يرحمه الله قبل ما يزيد على ستين عاماً منذ زيارة القنصل الياباني في مصر للملك عبد العزيز في جدة بهدف إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين.

ولقد قام صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني ـ حفظه الله ـ بزيارة للمعهد والتقائه بأبنائه الطلبة السعوديين الدارسين في اليابان خلال زيارته لليابان عام ١٤١٩هـ بداية انطلاقة المعهد بعد تسلم الجامعة لمبناه الجديد، وأعطته دفعة قوية لممارسة نشاطه، والقيام بالدور المناط به حيث تم افتتاح المصلى للمصلين، واستأنف نشاطه في الدعوة والإرشاد والدروس العلمية.

كما سبق للمعهد أن شرف باستقبال عدد من أصحاب السمو الملكي الأمراء في سنوات مضت .. منهم صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية، وسمو نائبه صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبد العزيز وصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب ـ رحمه الله ـ .

أهداف المعهد: نشر الإسلام وتعليم العربية.

أنشيء المعهد لتحقيق غايات وأهداف نبيلة من أهمها:

١ ـ التعريف بالإسلام ومساعدة الراغبين في الإطلاع على الثقافة العربية والإسلامية.

٢ ـ توثيق روابط الصداقة بين الشعب الياباني والشعوب العربية وتوطيد العلاقة بين اليابان والمملكة العربية السعودية خاصة والعالم العربي والإسلامي بعامة.

٣ ـ نشر اللغة العربية وتعليمها لغير الناطقين بها.

٤ ـ مساعدة المسلمين اليابانيين وغيرهم للتعرف على أمور دينهم على مقربة من إقامتهم.

٥ ـ ترجمة الأبحاث الإسلامية والعربية المناسبة من اللغة اليابانية وإليها.

٦ ـ العناية بأبناء العاملين في السلك الدبلوماسي العربي والإسلامي والجاليات الإسلامية وذلك بتعليمهم اللغة العربية والدين الإسلامي وربطهم بهويتهم الثقافية.

الأقسام العلمية، نظام الدراسة في المعهد:

أولا: قسم الإعداد اللغوي:

أ) البرنامج الصباحي (المكثف):

وهو برنامج مفتوح للدارسين المتفرغين للدراسة من المسلمين وغيرهم، ويهدف الى إعداد الدارسين إعداداً لغوياً يمكنهم من اكتساب قدر من المهارات



الأساسية في فهم اللغة العربية المنطوقة والمقروءة، وتحقيق قدر من الاتصال اللغوي في مجال الحياة اليومية، والقدرة على التعبير الشفوي والتحريري والقراءة الصحيحة والتعرف على الثقافة العربية والحضارة الإسلامية.

ومدة الدراسة فيه: سنتان دراسيتان، وعدد مستوياته الدراسية: أربعة مستويات مدة كل مستوى خمسة عشر أسبوعاً، وعدد الساعات المقررة: عشرون ساعة في الأسبوع، موزعة على المقررات الدراسية فيه.

الشهادة الدراسية التي تمنح للدارس في البرنامج المكثف:

١) يمنح الدارس بعد إكماله الدراسة في المستوى الثاني بنجاح: دبلوم الإعداد اللغوي (نظام سنة واحدة).

٢) يمنح الدارس بعد إكماله الدراسة في المستوى الرابع بنجاح: دبلوم الإعداد اللغوي (نظام سنتين).

٣) التوصية بإتاحة الفرصة للدارس الحاصل على دبلوم الإعداد اللغوي ·نظام سنتين) بتقدير جيد جداً على الأقل لمواصلة دراسته في الجامعة.

ب) برنامج الدورات اللغوية المسائية (غير المكثف):

وهو برنامج مفتوح للدارسين غير المتفرغين للدراسة من المسلمين وغيرهم، ويهدف إلى ما يهدف إليه البرنامج المكثف، مع مراعاة ظروف الدارسين وما يناسبهم من أوقات، ومدة الدراسة فيه: سنتان دراسيتان، وعدد مستوياته الدراسية: أربعة مستويات هي:

(الدورة المبتدئة - الدورة المتوسطة - الدورة المتقدمة - مرحلة الدبلوم «نظام سنة واحدة»).

مدة كل مستوى خمسة عشر أسبوعاً، وعدد الساعات المقررة: ست ساعات أسبوعياً بمعدل ساعتين في اليوم، لمدة ثلاثة أيام موزعة على المقررات الدراسية فيه.

الشهادة الدراسية التي تمنح للدارس في البرنامج غير المكثف:

١) يمنح الدارس بعد إكماله الدورة بنجاح: دبلوم الإعداد اللغوي (إفادة حضور).

٢) يمنح الدارس بعد إكماله مرحلة الدبلوم بنجاح: دبلوم الإعداد اللغوي (نظام سنة واحدة).

ثانيا: مركز البحوث والترجمة والعلاقات الثقافية:

ويضم هذا القسم مكتبة متخصصة في العلوم العربية والاسلامية، وذلك لخدمة الباحثين وطلاب العلم وتزويدهم بالمصادر الموثوقة، وتسهيل الطريق أمامهم للاطلاع على الثقافة العربية والإسلامية، ويهدف هذا القسم الى:

١ - اجراء البحوث والدراسات اللغوية والتربوية الخاصة بتعليم اللغة العربية لغير العرب والإشراف على التخطيط لها.

٢ - بحث المشكلات اللغوية والتربوية والتعليمية التي تعاني منها المدارس العربية والإسلامية في اليابان.

٣ - المشاركة في وضع أسس علمية لتأليف الكتب الدراسية وإعداد الوسائل المعينة المناسبة.

٤ - إصدار النشرات ونشر البحوث الخاصة في هذا الميدان.

٥ - تنظيم الدورات والحلقات الخاصة في المجالات السابقة.

٦ - إجراء البحوث التي تساعد على التعريف بالإسلام ومساعدة الراغبين في الإطلاع على الثقافة الإسلامية.

٧ - ترجمة الأبحاث العربية والإسلامية المناسبة من اللغة اليابانية وإليها.

٨ - تقوية العلاقات الثقافية بين المعهد والمؤسسات التربوية المماثلة داخل اليابان، وكذلك تبادل الخبرات في مجال تعليم اللغة العربية لغير العرب، وفي مجال الدراسات الإسلامية.

٩ - تنظيم المحاضرات والندوات والأمسيات الثقافية.

١٠ - إصدار مجلة دورية خاصة بالمعهد تعمل على تحقيق أهدافه.

١١ - تقديم الثقافة العربية والإسلامية بمختلف صورها بالطرق المسموعة والمرئية والمكتوبة لأبناء اليابان بكل الوسائل الممكنة.

إسهامات المعهد:

بالإضافة الى الخدمات التعليمية، للمعهد إسهامات عديدة من أهمها:

١) مصلى المعهد: وتعتبر هذه الخدمة من أجل الخدمات التي تقدم للمجتمع وخاصة القطاع الإسلامي - في اليابان فقد انتقلت صلاة الجمعة الى مصلى المعهد منذ مدة طويلة وصارت إمامة هذا المصلى وإعداد الخطب وترجمتها الى اليابانية والإنجليزية والأردية من صميم أعمال المعهد، ومثل هذا الأمر في إقامة صلاة العيدين والمصلى مفتوح لإستقبال المسلمين في أي وقت.

٢) مكتبة المعهد: وتقدم خدماتها للباحثين في شتى المجالات، كما تزود المسلمين اليابانيين بنسخ من ترجمة معاني القرآن الكريم الى اللغة اليابانية.

٣) أصدر المعهد بالاشتراك مع المركز الإسلامي (دليل المسلم في اليابان).

٤) شكل المعهد بالاشتراك مع المركز الإسلامي لجنتين: إحداهما لجمع الزكاة وتوزيعها على مستحقيها والثانية لرؤية الهلال.

٥) ينظم المعهد نشاطات للطلاب السعوديين في اليابان ويقدم لهم التسهيلات ويرسل إليهم الصحف والمطبوعات والكتب لربطهم بوطنهم وهويتهم الدينية والثقافية.

الشعر السعودي يصدح في سماء طوكيو:

خلال حفل العشاء الذي أقامه سعادة سفير خادم الحرمين الشريفين لدى اليابان في نادي طوكيو السيد/ محمد بشير كردي تكريماً للمشاركين في الندوة الثقافية وكان حفلا شائقاً تبودلت فيه الأحاديث والحوادث والمناقشات العامة ثم أقيمت أمسية شعرية سعودية شاركت فيها بإلقاء مختارات من قصائد ديواني «شعاع في الأفق» كما شارك الدكتور/ أنور عشقي بإلقاء مجموعة من القصائد وقد أدار هذه الأمسية الشعرية الأستاذ/ عبد الملك الشلهوب استاذ الإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وقد وجدت صدى طيباً من الحاضرين حيث صدح الشعر السعودي في هذا النادي العريق وهذه البلاد المتلئة بالورود والزهور والخضرة والنضرة والأشجار فهي بلاد الشعر لمن أراد أن يتغنى بالشعر وينشده.. واليابان كما يبدو لي تملك تراثاً شعرياً مزدهراً .. فالفنون بمختلف أنواعها تتمتع بشعبية كبيرة وتجذب أعداداً غفيرة من الجمهور في المهرجانات الشعبية كما يتمتع المسرح الحديث بشعبية كبيرة ويعرض في مسارح طوكيو مسرحيات أدبية كثيرة من بينها أعمال لشكسبير وغيره من مشاهير الكتاب والأدباء وقد حدثنا بعض الأخوة أن هناك ثلاثة أشكال تقليدية للمسرح الياباني ويرتدي الممثلون أقنعة وملابس على الطراز القديم وينشدون أشعارهم وهم يتحركون ببطء شديد.

أيام عربية في شبه القارة الهندية

ندوة الأدب العربي في المغرب

احتضنت مدينة حيدر آباد في دولة الهند فعاليات ثقافية وأدبية حول الأدب العربي المغاربي في القرن العشرين خلال الأيام ٢٠ - ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٠م. وقد أعد لهذه الندوة ونظمها مركز الدراسات العربية التابع للمعهد المركزي للغة الانجليزية واللغات الاجنبية في الهند وقد شارك في هذه الندوة وفود عربية من دول الأردن والجزائر والمغرب وتونس، إضافة الى مشاركة العديد من اساتذة الادب العربي في الجامعات الهندية.

الافتتاح :

في تمام الساعة العاشرة صباحاً من يوم ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٠م تم افتتاح الندوة الدولية عن (الأدب العربي المغاربي في القرن العشرين) في مدينة حيدر آباد الهندية. وفي بداية الاحتفال القى الدكتور/ محمد إقبال حسين رئيس قسم الدراسات العربية في معهد اللغات الأجنبية في الهند كلمة رحب فيها بالوفود المشاركة التي تحملت مشاق السفر وعناء الترحال للمشاركة. وقد تطرق في كلمته الى أهمية هذه الندوة كونها تنعقد في شبه القارة الهندية التي تبعد آلاف الأميال عن الموطن الذي ترعرع ونشأ فيه الأدب المغربي. وتأتي هذه الندوة بدافع من الفراغ المخيف الذي تعانيه المكتبة العربية بخصوص الحركة الفكرية والادبية والثقافية في بلاد المغرب العربي.

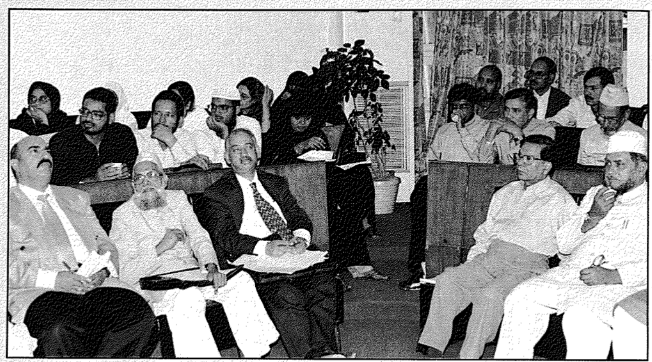
وأضاف بأن هذه الندوة ستعيد من جديد فتح باب «المثاقفه» بين المنطقتين العربية والهندية. وكان الدكتور/ محمد إقبال حسين قد سلط الضوء على البرامج التعليمية التي يدرسها مركز الدراسات العربية وهي برامج الماجستير والدكتوراه في الآداب العربية.

بعد ذلك ألقى البرفسور الدكتور/ برامود تلغيري رئيس المعهد المركزي للغة الانجليزية واللغات الاجنبية في الهند كلمة رحب فيها بالحاضرين الذين اكتظت بهم قاعة المؤتمرات بالمركز. وقال إن هذه الندوة تدشن لفتح باب جديد للعلاقات الثقافية بين العرب والهند.

وقد أشاد بالثقافة العربية التي أثرت في ثقافة الأمم الأخرى في الهند وكذلك أوروبا، وقال إن حضارة أوروبا الحديثة مدينة للثقافة العربية التي استوطنت الاندلس وحركة الترجمة التي انتقلت من بغداد الى اسبانيا في القرن الثالث عشر.

ثم ألقى الدكتور/ محمد شميم الجيراجيوري

إعداد : **عبدالقادر سيف الاسلام** - حيدر آباد - الهند



- جانب من جلسات الندوة.

رئيس جامعة مولانا أبو الكلام آزاد الوطنية كلمة ألقى فيها الضوء على بعض محطات تطور الأدب العربي بصفة عامة. وقد استشهد بالعديد من المواقف التي تعكس اهتمام العرب بالعلم والعلماء في الماضي والحاضر.

ثم كانت كلمة الوفود المشاركة فقد القى الدكتور/ ماجد الجعافرة - الأردن - كلمة أشاد فيها بأهمية هذه الندوة الدولية. وكلمة أخرى القاها المفكر العربي الكبير الدكتور/ عبد الله حمادي الاستاذ في جامعة قسنطينة في الجزائر. وقال لقد جئنا الى هنا مجددين الحوار الحضاري الذي بدأ بين العرب والهند منذ الماضي السحيق في عهد ابن بطوطة وابن خلدون وابن رشد.

بعد ذلك ألقى الدكتور/ عبد الله العلوي استاذ التعليم العالي في جامعة سيدي محمد بن عبد الله في المغرب كلمة شكر فيها منظمي هذه الندوة التي انصفت الأدب (المغاربي) من ظلم (المشرقية) على حد قوله.

فعاليات وجلسات الندوة:

وبعد استراحة قصيرة تناول فيها جميع المشاركين المشروبات والأطعمة الخفيفة.. اتجه الجميع الى قاعة المؤتمرات وبدأوا الجلسات العلمية لاستقراء المشهد الأدبي في بلاد المغرب العربي. وقد كانت المداولات على امتداد ثلاثة أيام متتالية ناجحة

ومثمرة. فقد شهدت جلسات الندوة السبع نقاشات جـادة تناولت تطورات الأدب المغـاربي في القـرن العشرين بفنونه المختلفة (شعراً، نقداً، نثراً) وكذلك القصة والرواية. وفيما يلي نقدم المحاور الرئيسية التى تناولتها الندوة ومواضيعها:

ونذكر هنا بعض الفعاليات الثقافية لهذه الندوة:

١ ـ الاستـاذ الدكتور عبد الله بنصر العلوي ـ استاذ كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة فاس، المغرب.

ـ التواصل الابداعي بين شعراء المغرب العربي الموقف والأداء.

٢ ـ الأستاذ الدكتور/ سيد اجتباء الندوي ـ دلهي الجديدة (الهند).

ـ الحـركـات الاسـلامـيـة وتأثيـرهـا في الأدب التونسي.

٣ ـ الأستاذ الدكتـور/ ماجد الجعـافرة، نائب عميد كلية الآداب، بجامعة اليرموك، الأردن.

ـ تلقى المغـــاربة لديوان أبي الطيب المتنبي وشعره.

٤ ـ الأستاذ الدكتور/ زبير أحمد الفاروقي، قسم اللغة العربية، الجامعة الملية الاسلامية، دلهي الجديدة (الهند).

ـ الشعر الجزائرى من عهد الاستعمار الى بداية النهضة.

٥ ـ الأستاذ الدكتور/ شفيق أحمد خان، قسم اللغة العربية، الجامعة الملية الاسلامية، دلهي الجديدة ،الهند).

ـ قضايا سياسية اجتماعية في روايات مغربية.

٦ ـ الأستاذ الدكتور يوسف ابو العدوي، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

ـ جهود حمادى صمود النقدية والبلاغية.

٧ ـ الأستاذ الدكتور اي كي أحمد كتي، جامعة كاليكوت، كاليكوت (الهند).

ـ مفدى، زكريا: شاعر الثورة الجزائرية.

٨ ـ الأستاذ الدكتور محسن العثماني، جامعة دهلي، دلهي ،الهند).

ـ تطور الأدب العربي في المغرب.

٩ ـ الأستاذ الدكتور منظور أحمد خان، جامعة كشمير، كشمير).

ـ استـعـراض ونقد الرواية: المعلم على لعبد الكريم الغلاب.

١٠ ـ الأستاذ الدكتور عبد الله حمادى، جامعة منتورى، قسنطينة، الجزائر.

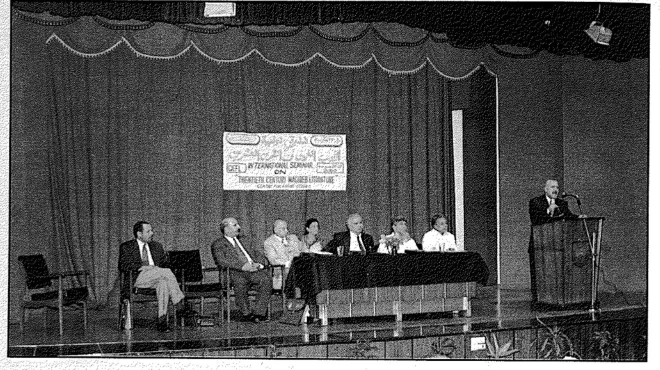
ـ الأدب الجزائري الحديث منطلقاته وأبعاده.

١١ ـ الأستاذ الدكتور محمد اسلم اصلاحى: جامعة جواهر لال نهرو ، دهلى الجديدة (الهند).

ـ عناصر الوطنية في الشعر العربي الحديث في المغرب.

١٢ ـ الأستاذ الدكتور حبيب الله خان، الجامعة الملية الاسلامية، دلهي الجديدة (الهند).

ـ تاريخ الأدب التونسي.



في الصورة من اليمين: د٠ الحمادي ـ د٠ محمد اقبال ـ د٠ تلغيري ـ د٠ شميم ـ د٠ عصمت ـ د٠ العلوي ـ د٠ الجعافرة ـ د٠ العدوس٠

١٣ ـ الأستاذ الدكتور ولي اختر، جامعة دلهي، دلهي ٠الهند)٠

ـ القصة في المغرب٠

١٤ ـ الأستاذ الدكتور عبد الباري ، جامعة عليكره الاسلامية، عليكره (الهند)٠

ـ الحركة السنوسية٠

١٥ ـ الأستاذ الدكتور ابو سفيان اصلاحى، جامعة عليكره الاسلامية، عليكره (الهند)٠

ـ الاستعمار الفرنسي وجماعة العلماء في الجزائر٠

١٦ ـ الأستاذة الدكتورة قمر النساء: الجامعة العثمانية حيدر آباد (الهند)٠

ـ تطور الشعر العربي الحديث في المغرب٠

١٧ ـ الأستاذ عبد المجيد، كلية الآداب والعلوم متل، كيرالا، (الهند)٠

ـ تأملات في حيات أبي القاسم الشابي٠

١٨ ـ الأستاذ الدكتور سيد جهانكير، الجامعة النظامية حيدر آباد (الهند)٠

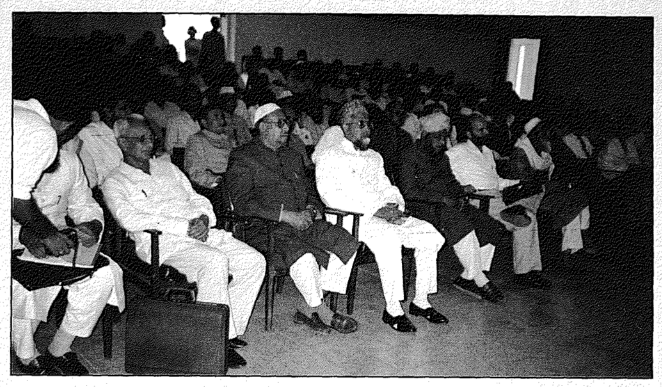
ـ تأثير شوقى وحافظ على الأدب التونسى في القرن العشرين٠

١٩ ـ الأستاذ الدكتور عبد المجيد، الجامعة العثمانية، حيدر آباد (الهند)٠

ـ تطور الشعر العربي الحديث في الجزائر٠

٢٠ ـ الأستاذ الدكتور أحمد ابراهيم رحمة الله، جامعة كاليكوت، كاليكوت (الهند)٠

ـ أبو القاسم الشابي، سعي بين سطوره النثرية٠٠



ـ جانب من الندوة والحضور.

٢١ ـ الأستاذ كرامة الله بهمني، الكلية الجديدة، مدراس ،الهند).

ـ القصة القصيرة في الأدب العربي في المغرب.

٢٢ ـ الأستاذ الدكتور محمد مصطفى شريف: الجامعة العثمانية، حيدر اباد (الهند).

ـ وقفة مع محمود المسعدى التونسي.

٢٣ـ الأستاذ الدكتور جمال الدين: كلية الآداب، متَّل، كيرالا، .(الهند).

ـ ملامح الرومانسية في شعر أبى القاسم الشابي.

٢٤ ـ الأستاذ الدكتور أحمد سعيد: كلية فاروق، كيرالا (الهند).

ـ عناصر الوطنية في شعر أبي القاسم الشابي.

٢٥ ـ الأستاذ الدكتور الحافظ سيد: بديع الدين الصابري، الجامعة العثمانية، حيدر آباد (الهند).

ـ الشعراء البارزون من بلاد المغرب في القرن العشرين.

٢٦ ـ الأستاذ الدكتور محمد افتخار مسعود: الكلية الحميدية، بوفال ،الهند).

ـ الشعر المغربي ضد الاستعمار الفرنسي.

وقد بذل المشاركون جهوداً كبيرة في سبيل تشريح المشهد الأدبي المغاربي في القرن العشرين بمختلف بلدانه وفنونه حيث كانت أيام الندوة عرساً عربياً ليس للأدب المغربي وحده ولكن للأدب العربي بصفة خاصة واللغة العربية بصفة عامة.

وفي ختام الندوة صاغ المشاركون توصيات

هامة تتعلق بموضوع الندوة في سبيل تعزيز التواصل بين مركز الدراسات العربية والجامعات العربية الأخرى خدمة للثقافة بشكل عام.

وفيما يلي التوصيات التي انبثقت عن الندوة:

١ ـ رفع آيات الشكر والثناء الى وزارة تنمية الموارد البشرية (قسم التربية والتعليم)، والمجلس الأعلى للجامعات الهندية (U.G.C) ورئيس المعهد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية البروفسور برمود تلغيري، ورئيس مركز الدراسات العربية بالمعهد الدكتور محمد إقبال حسين.

٢ ـ تأسيس جماعة الباحثين في الأدب المغاربي تابعة لمركز الدراسات العربية في حيدر آباد (تتبادل فيما بينها المنشورات والمطبوعات) وتكون المتابعة للدكتور محمد إقبال حسين مدير المركز.

٣ ـ عقد هذه الندوة بشكل دوري.

٤ ـ إنشاء مكتبة عربية عامة في المعهد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدر آباد بمساعدة السفارات العربية، وجامعة الدول العربية، بهدف تزويد قراء العربية بالصحف والمجلات والمؤلفات الجديدة، ومخاطبة الجهات المختصة لتنفيذ هذه الفكرة.

٥ ـ تكليف المركز بوضع دليل ببليوغرافي للكتب العربية الموجودة بالمؤسسات الهندية وتعميمها على المؤسسات المختصة، على أن يوفر نسخاً منها لدى الباحثين المهتمين.

٦ ـ جمع أعمال هذه الندوة ونشرها وتوزيعها على المراكز المهتمة بالثقافة العربية في الهند.

٧ ـ ضرورة ربط مركز الدراسات العربية في المعهد المركزي بعلاقات مع كليات الآداب بالجامعات العربية، ومراكز البحوث قصد توفير التواصل، وتبادل المطبوعات.

٨ ـ ضرورة عقد المعهد المركزي لاتفاقيات مع الجامعات العربية لتبادل الأساتذة الزائرين، واستقبال طلبة الدراسات العليا.

٩ ـ إنشاء كرسي للأدب المغاربي خاص بالدراسات العليا في هذا المركز.

١٠ ـ ضرورة الاتصال بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة لتزويد المركز بالمطبوعات والمساعدات المادية لتمكينه من أداء رسالته، والتكفل بتقديم بعض المنح لطلبة الدراسات العليا بقسم اللغة العربية بالمركز، وعموم الباحثين في الجامعات الهندية.

١١ ـ ربط المعهد بعلاقات مع المؤسسات الأدبية الرائدة في العالم العربي مثل (مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين بالكويت، ومؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية بدبي، والمجمع الثقافي بأبو ظبي، وأكاديمية الملكة المغربية بالرباط، ومؤسسة عبد الحميد شومان بالأردن، والمجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، والاتحاد العام للكتاب العرب، والمجامع اللغوية العربية بدمشق والقاهرة وعمّان وبغداد، وبيت الحكمة بتونس ، وبيت الشعر بتونس، والجاحظية بالجزائر، وبيت الشعر بالمغرب.

قراءة في سيرة
عبد الله بن حمد الحقيل

ـ اعتاد الشيخ الوجيه الأديب عبد المقصود محمد سعيد خوجه أن يقيم (اثنينية) تكريمية احتفالية يكرم فيها أعلام الفكر والادب، واعلام العلماء والمثقفين والشعراء.

وكان من المكرمين المحتفى بهم في (اثنينيته) المؤرخ الاديب الشاعر الاستاذ عبد الله بن حمد الحقيل وذلك في ٦ / ١١ / ١٤١٦هـ.. وقد كتب هذه الكلمة والقاها في ذلك الحفل الاستاذ الدكتور عبد الله البراهيم العسكر.. تكريما وتقديرا للشيخ الحقيل.

المنهل

إن سرد السيرة الذاتية أمرٌ أصبح الناس معه في شغل شاغل. كنا في الماضي نطلب سير الرجال والعظماء والرواد، نستلهم التجارب، ونحلق معهم في الأماني والأحلام. كانت السيرة الذاتية لاولئك النفر صادقة معبرة تجمع بين العلم، والأخلاق والأدب. واليوم أظلنا زمن أصبحت السيرة الذاتية تكتب للشهرة والانتشار والكسب المادي، وأضحت ممزوجة بشيء غير يسير من التزويق والتزييف. لعل هذه الخواطر كانت تراودني، عندما وددت التحدث عن الأخ عبد الله الحقيل، وعن انتاجه الأدبي في ليلة تكريمه، من قبل رائد من رواد هذا التقليد العريق، وفي ليلة ثقافية اسبوعية كريمة وهو تقليد كاد أن يَدْرسَ، وقد كان ملء العين والبصر في ثقافتنا العربية والإسلامية، وقد

بقلم: **د. عبد الله البراهيم العسكر**

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود - ونائب رئيس الجمعية التاريخية السعودية

كان معلماً من تقاليد أرض الحجاز الطيبة، وإن شئت فانظر في كتب الرحلات التي قصدت الحجاز، لترى صدق ما عنيت، وبرهان ما أديت. لذا فإني أحمد للأديب الوجيه الشيخ عبد المقصود محمد سعيد خوجه، عنايته بهذا التقليد، فهو والله ابن بجدتها، وسليل أرومتها.

ولعل مثل هذه الخواطر كانت تراود صاحبنا أيضا، الذي سبق أن كتب مقالة عنوانها (السيرة الذاتية) وفيها يرد على الأديب أسامة الألفي عندما شنع على السير الذاتية المعاصرة. وكان مما قاله صاحبنا ما نصه «إن السيرة الذاتية فن من أجمل فنون الأدب، وأكثرها قبولا ورواجاً» هكذا ينظر صاحبنا إلى السيرة الذاتية. وأنا الليلة أتحدث عن سيرته الذاتية، فليت شعرى أنى لي أن أجعل حديثي فناً من أجمل الفنون. وأنا لا أملك أدوات الصنعة، ولكن ما سأقوله لن يتعدى ما خبرته عن صاحبنا، وعن ما أذاعه هو في كتبه ومقالاته.

ونحن لن نورد ما اعتاد الناس على سماعه من السير من مثل بطاقة صاحبنا الشخصية، ولن نستعرض أعماله الكثيرة، وإن مر معنا شيء من هذا وذاك، فهو مرور السانحة للمناسبة، ولكننا سنقف عند محطات ثلاث أحسبها من أبرز ما يميز صاحبنا. وقد عرفت هذه المحطات من خلال ما قرأت له، ثم تأكدت عندي عندما لقيته وخبرته. لقد عرفت صاحبنا قبل أن ألقاه بزمن طويل، وهذا أمر مستغرب، لكن الأغرب انني أعرف أباه وأعرف بعضاً من إخوته، ومع هذا لم يحصل لي شرف لقياه والقرب منه، إلا منذ سنوات قليلة.

عبدالله الحقيل


محمد حسين زيدان

وقبل أن ألقاه كنت مأخوذاً بأسلوبه البسيط في الكتابة، وكنت مشدوداً لبعض قصائده المعبرة، قرأت له أول ما قرأت كتاباً عن رمضان؛ وهو من الكتب الطريفة في موضوعها، والظريفة في تناولها، أظن عنوانه (رمضان عبر التاريخ) وقد رسخ هذا الكتاب في ذهني، لأنه أنقذني من موقف صعب، ذلك أني احتجت لمعرفة الاسم الذي يطلقه الدمشقيون على النزهة الخلوية التي اعتادوا أن يقوموا بها قبيل دخول شهر رمضان المبارك كتوديع لأيام اللهو والمرح، واستقبال أيام العبادة والفرح، وقد أعياني البحث والتنقيب، وكنت أعرف أن للكاتبة السورية سهام ترجمان كتاباً اسمه (يا مال الشام) ففزعت له لعلني أجد ضالتي، وخاصة أن صاحبته من المحبين



عبدالله بن خميس



عبدالمقصود خوجة

للشام، المتيمين بتراث الدمشقيين. وخاب ظني، وأرشدني أحدهم الى كتاب الحقيل، واستبعدت أن أجد فيه ما قصر عنه كتاب (ياما الشام) وكانت المفاجأة إذ وجدت ما نصه: (تكريزة رمضان) يقول الحقيل عنها (هي نزهة تقوم بها العائلات أو جماعات الشباب الى مناطق الغوطة وبقين والربوة والمقسم وغيرها من الأماكن الجميلة، ويقولون عنها أنها وداع فسحة).

نعود إلى ما ذكرناه بخصوص المحطات، فأقول إنها ثلاث: الأولى: أسلوبه. والثانية: ثقافته الموسوعية. والثالثة: تميزه بأدب الرحلات.

أما الأولى: فقد كفانا صاحبنا مؤونة البحث والاستقصاء. فقد كنت أعرف له كتيباً في مادة الانشاء أسمه (المفيد في الانشاء)، وهو كتيب صغير في مبناه، كبير في معناه، وكان الشيخ حسن آل الشيخ، وزير التعليم العالي الراحل من المعجبين بهذا الصنف من التآليف، وقد قدم له وأثنى عليه. والمتصفح لهذا الكتاب يجد دون مشقة ركائز أسلوب صاحبنا، وهي ركائز ثلاثة: (الوضوح - القوة - الجمال) هذه الثلاثة تجدها واضحة في كل كتاباته وأحاديثه.

كما أننا لا نبالغ إذ قلنا إن تلك الركائز تدل على ثلاث نزعات تأصلت وتجذرت في قلب صاحبنا وعقله. فالوضوح يدل على نزعة العقل والعقلية، والقوة تدل على نزعة الشعور المتدفق، والجمال يدل على نزعة الذوق السليم، ولعمري لكاتب يملك هذه الركائز وما يقابلها من نزعات، لقمين بتملك ناصية البيان والاتقان. ولقد أطلعت على نماذج متعددة من كتاباته، فما وجدتها تخرج عن القاعدة الذهبية التي سنها لنفسه. فأسلوبه واضح، وهو دلالة على أنه يتناول ما يكتب بعقلية متسقة، وأسلوبه قوي، ولكنه قوة الإبانة، لا قوة الجزالة اللفظية، التي قد تأخذ صاحبها الى أن يتقعر أو يتكلف. وهذه القوة التي لدى صاحبنا وليدة الشعور المتدفق، تجاه ما يتناوله من قضايا تخص الانسان وفكره، واسلوبه أيضاً جميل، وفي جماله لا يستورد الألفاظ قسراً، أو يزين الجمل بكلمات مزوقة، بل جمال يدل على ذوق وملكة متأصلة. وفي هذا الصدد يقول عنه الأديب الشيخ عبد الله بن خميس ما نصه: (أديب بارع ذواقة، لا نشاز في تعبيره، ولا تكلف في لفظه، ولا مبالغة. تغلب عليه النزعة الأدبية، فيُطعِّم عَرْضَهُ بشارد من الشعر أو سائر من الأمثال أو مأثور من الحكم).

أما المحطة الثانية فهي ثقافته الموسوعية، وانك لواجد تلك الصفة واضحة وجلية في المواضيع التي طرقها، وفي المقالات التي كتبها، وفي المحاضرات التي ألقاها. وإن كانت كتابات صاحبنا لا تخرج عن دائرة الاجتماعيات والانسانيات، إلا أنه يلمس أحياناً مواضيع علمية ذات صلة بهذه الأرض وانسانها. وقد يطول بنا استعراض أمثلة عن ثقافته الموسوعية، ولكن هذه بعض عناوين المقالات والمحاضرات التي شغلت باله وكتب عنها: (التربية ودورها في المجتمع،

مجامع اللغة العربية ورسالتها، التربية والحضارة، دور المصادر في تطوير المعرفة، نحو تعليم إسلامي، دور المكتبات، التربية والاخلاق، تأثير سلوك الآباء على الأبناء، الامتحانات المدرسية، التعليم المبرمج، الكتاب المدرسي، التخطيط التربوي، الخط العربي من أبرز فنوننا الجميلة، نحو مستقبل أدبي، رعاية الشباب، مجالس العلم، دور الملك عبد العزيز في إحياء ونشر التراث العربي الإسلامي، الصلات التاريخية بين الدولة العثمانية ودول الخليج العربي، ظاهرة توطين البادية، تراثنا المخطوط في مكتبات ومتاحف العالم، أحمد بن ماجد رائد علم البحار، الاعلام والأدب، أهمية تعريب المصطلحات العلمية) هذا فيض من غيض. وقد جمع صاحبنا مقالاته ومحاضراته ونشرها في عدد من اصداراته من مثل (في التربية والثقافة) المنشور سنة ١٣٩٢هـ، وكتاب (على مائدة الأدب) المعاد نشره في سنة ١٤١٢هـ، وكتاب (الشذرات) المنشور سنة ١٤١٠هـ.

إن المتمعن في عناوين تلك المقالات والمحاضرات، ناهيك عن المتمعن في مضامين وحجج صاحبنا ومعالجاته لتلك المواضيع، لواجد أن صاحبنا يأخذ من كل علم وفن بطرف، والأهم أنه سخر قلمه وفكره لمعالجة ما يهم هذه الأرض وانسانها، وهذا لعمري مربط الفرس، لاننا ولله الحمد نملك الأدوات لمناقشة ما نريد، ولكن قليلا منا من يصرف همته ونشاطه لإذاعة ما نعانية والتصدي لها بالحلول والمحافظة على الأصول.

أما المرحلة الثالثة: فهي شغف صاحبنا بالرحلة والترحال، ولعلني لا أبالغ إذا قلت إن الرحلة شكلت رافداً من روافد ثقافته، بل وأكسبته ليونة في التعبير، وانتخاب الكلمة التي يقولها أو يكتبها، ذلك أن الانفتاح على ثقافات الآخرين والسياحة في الأرض، هي بأبسط عبارة وأسهل إشارة، كالنحلة تأخذ من كل زهرة رحيقاً.

وشغف صاحبنا بالترحال، وقد تهيأت له فرصه، لا يقاربه شغف، وقد طالعت كتابه (رحلات وذكريات) وكتابه (صور من الغرب) وكتابه (رحلات الى الشرق والغرب) وخلال مطالعاتي لكتب الرحلات هذه، تذكرت قول أبي تمام عن السفر والترحال:

كأن به شوقاً إلى كل جانب
من الأرض أو ضغناً على كل جانب

ليت شعري كيف استطاع صاحبنا أن يجمع شتات الأرض في ثلاث كتب، وليس في مقدوري أن أعرض لكل سفراته ورحلاته، ولكنني أعرض لكم صورة وجدتها سائدة وغالبة على كل كتب رحلاته، وأسمي هذه الصورة (بأدب الرحلات). نعم لم يكتف صاحبنا بوصف الرحلة والوسيلة، أو التحدث عن البلد وأهله، لكنه يضيف أدباً، فلا تمر سانحة إلا سجلها، ولا تعبر خاطرة إلا قيدها، ولا يرى منظراً إلا ذكّره بآخر، ثم هو ينقلك من الوصف إلى دوحة الشعر، الذي اختير بعناية ليعبر عن مكنون نفسه، أو ليعينه على استدعاء ذكرى، أو ليقرب له وصف البلد الذي يزوره. ثم هو يمزج رحلاته بالشعر مزجاً، يجعلك تظن أن هذا البيت أو تلك القصيدة، إنما قيلت في هذه المناسبة، أو تلك التجربة، أو هذه الرحلة، وهذا الاستشهاد وهذا الانتخاب يدل على ذوق وعلم كثيرين.

وفي وصفه للبلاد التي زارها، أو للعباد الذين قابلهم يستلهم التاريخ الإسلامي، ويعود القهقرى لا يلوي على شيء. وأكاد أجزم أن صاحبنا شغوف

بالتاريخ قدر شغفه بالادب، وإن شئت قلت إنه شغوف بأدب التاريخ، لا تاريخ الأدب. وهو شغوف بدينه. فعندما يحط رحله في بلد من البلدان، يتذكر ماضي المسلمين فيه، وإن لم يكن له من ماض في الإسلام، ينقل لك صورة إسلام اليوم فيه، وإن لم يكن له من حاضر في الإسلام، يحدثك عن إمكانية نشر الإسلام فيه مستقبلا.

ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن صاحبنا من خلال أعماله، لننتقل لحديث آخر عنه من خلال معايشته وأسلوب معاشه، ولصاحبنا بيتان من قصيدة طويلة يقول فيهما:

دار بها قلبي يجيش ويخفق

وبذكرها يشدو اللسان وينطق

أيامها الغر الحسان شواهد

أرواحنا لك بالمحبة تورق

والقارىء لهذين البيتين لا يخطر بباله إلا أن الشاعر يخاطب دار حبيبته أو بلدته ومسقط رأسه، أو في أحوال أوسع وطنه، ولكن ما عناه صاحبنا شيء يختلف تماماً، وهو ما يتميز به، فإننا لم نسمع أن موظفاً يقول أن عمله الوظيفي قد شغل قلبه وروحه ولسانه ووجدانه. هذا ما تميز به صاحبنا، وهو بالتالي ما يجعلنا نعيد النظر في سيرته الذاتية، حيث نجد أن عمله في ستة مناصب منذ تخرجه في كلية اللغة العربية في سنة ١٣٧٨هـ وحتى الآن كمدير لتحرير مجلة الدارة. أقول أن تلك المناصب المتعددة، وتلك الأمكنة المختلفة، كأنها منصب واحد، وكأنها مكان واحد. ما تغير: هو المكان، أما طبيعة الوظيفة، وطبيعة الموظف فواحدة. فهل يمكننا والأمر على هذا الحال أن نقول: إن صاحبنا ما عرف إلا وظيفة واحدة هي: العمل في حقل التربية والتعليم والأدب وما يصاحبهم من فنون ونشر؟.

تستطيع أن تقول هذا، ونستطيع أن نقول إن وظيفة صاحبنا هي هوايته، وإن هوايته هي وظيفته. فهذا هو سبب السعادة التي تراها في صاحبنا، سعادة كادت تورق، وتكاد تتكلم، وتكاد تنطق في كل ما كتبه أو تحدث به، وأقول أيضا إن كل من عرفت، وكان ذو صلة بصاحبنا، إلا ويقول عنه ما قلنا. فهل يا ترى أن سعادته نابعة من الرضا الوظيفي؟ ونابعة من كون وظيفته هي هوايته؟ أم أن هناك عوامل أخرى تتداخل في خلق هذه السعادة التي تصبغ حياة صاحبنا؟ أقول مرة أخرى وأمري لله: أن المتمعن في سيرة صاحبنا يجد الإيمان القويم، والتدين في الصميم، ويجد توافقاً واتساقاً بين أقوال الرجل وافعاله، لدرجة أنك إذا قرأت له ثم قابلته، لا تجد فرقاً كبيراً، وهذا الأمر هو الذي جعل الأستاذ محمد حسين زيدان يقول عن صاحبنا ما نصه: (أعرف أن الرجل الأسلوب، والأسلوب الرجل، فقليل من الكاتبين يتمتعون بالتزاوج، فأسلوب أخي عبد الله على القرطاس هو أسلوبه مع الناس) يا سبحان الله لقد سبقني الأستاذ زيدان لتقرير هذه الصفة الواضحة الجلية في صاحبنا.

وما تذكرت صاحبنا أو رأيته إلا وتذكرت قول الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى:

أحب الصالحين ولستُ منهم

وأرجو أن أنال بهم شفاعة

فهو رجل خير ولا أزكي على الله أحداً، وهو

يحب مجالسة الصالحين، ويدعوني لمثل هذه المجالس، وصفات الصلاح والاخلاص، والرزانة في القول والعمل أشياء معروفة عنه، ولعل شيخنا الجليل الأستاذ عثمان الصالح لم يجانف الصواب أو يبعد النُجْعة عندما قال مخاطباً صاحبنا:

أبا حمد عميد المخلصينا

وياشيخاً بسرته رزينا

ويرسل له أصدقاؤه منظومات شعرية في المناسبات، ذلك لأنه شاعر، وله ديوان شعر، ويحضرني بيت منه، يصح أن يكون عنواناً عليه وهو:

هو الأدب الذي يحيي الفؤادا

ويفتح لانطلاق الفكر بابا

زاول صاحبنا الكتابة زمناً طويلا، وعانى حلاوتها ومرارتها، ذلك أنه تصدى للكتابة في الشؤون التربوية والاجتماعية، وله دعوات مخلصات، وله مسميات وألقاب أطلقها على بعض التخصصات. ولعله من أوائل من أرسل تلك الدعوات والألقاب. فمن الدعوات: أن تنشر مجامع اللغة العربية ما يقره اللغويون في مجلات ودوريات الوطن العربي، ليتسنى الانتشار لما عرب، ولأن مجلات المجامع محدودة الانتشار. كما أنه طالب بوضع معجم تاريخي للغة العربية.

ومن دعواته الاهتمام بآداب الجزيرة العربية المعاصرة، ولعله أول من توقع بعثاً أدبياً وفكرياً في المملكة العربية السعودية، يصل حاضرها بماضيها المجيد. كما أنه أول من طالب بافتتاح قسم أكاديمي للدراسات الوثائقية، وهو أمر لم يتحقق بعد. أما الألقاب فهو أول من - أعرف - أطلق لقب (عميد الدار) على المؤرخ، وذلك في قصيدته التى ألقاها في اجتماع اتحاد المؤرخين العرب في (أبو ظبي) سنة ١٤١١هـ وهو لقب نعتز به معشر المؤرخين، مع بُعدنا عنه، وبُعده عنا. كما أنه أول من ألف كتاباً كاملا جامعاً مانعاً عن اليوم الوطني. والمعتاد أن يشارك الكُتَّاب والأدباء بمقالات أو قصائد أو نحو ذلك. وقد اطلعت على الكتاب، وعنوانه (يوم في ذاكرة التاريخ) نشرته دار أضواء المعرفة سنة ١٤١٦هـ. وقد تُرجم لصاحبنا عدد من الأدباء من أمثال (الدكتور عبد الله الزيد، والأستاذ الصفصافي أحمد المرسي، والأستاذ محمد حسين زيدان، كما ترجم له في معجم البابطين)، وفي الموسوعة الأدبية للساسى وشعراء العصر الحديث. وفي معجم مؤرخى الجزيرة وفي دليل الأدباء والكتاب ومعجم المطبوعات العربية في المملكة وفي معجم الطائف وفي موسوعة تاريخ التعليم ورجاله وغيرها.

هذا ما لدي.. أما ما اعتاده الناس من سرد للذكريات، ومن استعراض لتاريخ طويل من الصحبة والصداقة، ومن إيراد مقالب ومواقف مضحكة أو محزنة ، ومن سبر لأغوار الماضي من أيام الطفولة والشباب. فهذا كله على أهميته ومناسبته لهذه الأمسية، فليس عندي منه شيء. فصاحبنا لا تجمعني به زمالة، أو صداقة قديمة، ولم نتجاور في منزل، أو نترافق في رحلة. فعندما تعين مدرساً في سنة ١٣٧٨هـ، كنت تلميذاً صغيراً في الصف الثاني الابتدائي، ولو تعين في مسقط رأسه مدينة المجمعة، لكنت أحد طلابه، وليته فعل، إذن لتحدثت عنه حديثاً غير هذا. والله المستعان.

حسين بن قاسم العتيقي - حياته وشعره -

نشأته ونسبه :

ينسب حسام الدين حسين بن قاسم بن أحمد بن محمد العتيقي إلى العتيق أبي بكر الصديق، صاحب رسول الله {صلى الله عليه وسلم}[١].

وافتتح المحبي ترجمته بقوله: حسين بن قاسم بن أحمد بن محمد الملقب حسام الدين المغربي الجوزي المالكي العتيقي الدرعي. والجَوْزي نسبة الى جعفر الجوزي وهو الأب التاسع للإمام أبي الفرج بن الجوزي البغدادي الحنبلي صاحب التصانيف المتوفي ٥٩٧هـ [٢]. ووادي درعة أو درا مسقط رأس المترجم له من الأودية المعروفة بالمغرب، ويدل نسبه أن أسرته نزحت من العراق في زمن متقدم. ولد حسين بن قاسم الجوزي العتيقي في وادي درعة في أوائل صفر سنة ثمان وسبعين وتسعمائة[٣].

شيوخه :

تتلمذ المترجم له على عدد من شيوخ المغرب الذين عاصرهم ومنهم الشيخ الامام أحمد بن على المنجور الفاسي المتوفي ٩٩٥هـ والإمام الحميدي المتوفي ١٠٠٣هـ والزموري المتوفي ١٠٠١هـ والقدومي وأكثر عن الإمام الشيخ أبي العباس ابن أبي العافية النجار المعروف بابن القاضي المتوفي ١٠٢٥هـ فدرس عليه علوم اللغة والعروض والفرائض والحساب والفقه[٤]، وأجازه شيخه إجازة عامة سنة ١٠٠٠هـ [٥].

صفاته وشعره :

ساهمت العوامل السياسية والفكرية السائدة ذلك الوقت في صقل شخصية حسام الدين في جو علمي وأدبي رصين، وجو سياسي مفعم بالتحديات والجهاد. ولذلك وصف في طبقات المالكية بأنه «الإمام الأديب الألمعي الشاعر المفلق العلامة الرحال[٦].

ووصفه الشهاب الخفاجي[٧] بأنه «أديب حسام طبعه مرهف، ومشرفيه بحلي الآداب والعلم مشرف. قدره أعلى من النجوم الزاهية، ومسك مزاده يرخص شذاه الغالية. فاخرت الأرض السماء بمطالع شمسه، وعلم قطره به أن يومه خير من أمسه. فهو روض تقبل الأرض فيه ثغور الزهور، وتطرز برود الآداب بماله من المنظوم والمنثور.. وتدل العبارات السابقة على ما كان يتحلى به المترجم من تقدير واحترام لدى معاصريه وتلاميذهم ممن ترجموا له،

بقلم : **أ. د. عماد محمد العتيقي**
كلية الهندسة والبترول – قسم الهندسة الكيميائية – جامعة الكويت

وعلى إمامته ونبوغه في ميدان الأدب والشعر.

وقد سجل شعره خُلُقَ الوفاء لإخوانه وأصدقائه والتواصل معهم رغم تباعد الديار. ومن ذلك أنه بعد أن ارتحل من المغرب الى بلاد الروم (أي القسطنطينية) ثم إلى دمشق سنة خمسة وألف، كان له مراسلات مع صديقه محمد بن علي الفشتالي[٨]، (سفير وكاتب الملك المنصور أحمد سلطان المغرب). فلما استبطأ الود كتب إليه قائلا ومعاتبا:

عليك أخاف يا مولى الكتابه
وداداً بالصدود سددت بابه
وما ذنب المغَرَّب مَعْكَ حتى
تضاع ذمامه بجفا أرابه

فكتب اليه الفشتالي جوابا وهو قوله :

أعيذك من ظنون واسترابه
بنيت قبابها فوق الضبابه
بروق تحت راعدة بصيف
تثير سحابها ريح الكتابه
تهدد من أخيك برىء عيب
يفر من السرور الى الكآبه
وعند الله مجمع كل حق
وما كل الدعاء بذى استجابه

وروى أيضاً الشهاب الخفاجي[٩] عن صاحبه محمد بن ابراهيم الفاسي أن المترْجَم له أنشده لنفسه مضمنا، يخاطب محمد بن يعقوب الأندلسي:

ولي صاحب قد هذبت لي يد الصفا
مودته في غيبة وعيان
ولكن هوائي مع هواه تخالفا
تخالف رؤيا السجن للفتيان
فيهوى بنى نجد ولين خصورهم
وأهوى بنات الغور طول زماني
ينكرني حالى وإياه قوله
رفيقك قسي وأنت يماني

رحلاته :

ارتحل المترجم له من المغرب الى عاصمة الأتراك العثمانيين وهى القسطنطينية وأقام بها مقدار نصف سنة. وبعد ذلك ارتحل الى الشام بصحبة سلا محمد أمين السابقي الجعفري الطياري دفتري دمشق[١٠]، والتقى بشيوخها وعلمائها مثل النجم الغزي والحسن البوريني. ثم خرج من دمشق حاجاً، وعند مروره بمدينة العلا وهي بوادي القرى شمال المدينة المنورة، التقى بأهلها الذين كانوا على المذهب المالكي فحصل بينه وبينهم مودة ومحبه، وأقبلوا عليه وطلبوا منه أن يتولى الإمامة والخطابة، فقام بذلك. وكان بالإضافة يتولى الإفتاء لهم على مذهب الإمام مالك ويعلم اطفالهم مبادىء الدين

والعربية وما اليها. فاستقام بمدينة العلا بقية حياته[١١].

أعماله ومآثره :

أول ما عرف من أعماله تولى القضاء في مدينة سلا من نواحي مراكش عاصمة المغرب ذلك الوقت[١٢]، لصالح الشريف أحمد المنصور السعدي سلطان المغرب.

وأثناء إقامته بالعلا خرجت عندهم عين ماء قرب البلدة فخرج اليها حسين المترجم له فوجدها ممكنة الوصول إلى المدينة وأشار على أهلها أن يشقوا لها مجرى الى بعض السهول المحيطة بالمدينة، فقاموا بذلك وأشرف حسين على شق القناة وأحيا بها أراضي كثيرة كانت مجدبة فأصبحت مزارع غناء وحدائق خضراء، وفرح أهل العلا بذلك فرحاً شديداً ورأوا أن ذلك من بركته وأسهموا له في الأرض، فحصل له بذلك نعمة سابغة ومال وفير. وتعرف العين المذكورة أعلاه في الوقت الحالي بعين جاسم أو عين السبسبي، ومجرى هذه العين معروف لدى أهل العلا وكانت تسقى مزارع كثيرة[١٣]. ويبدو أن تسميتها بعين جاسم هي نسبة الى جاسم بن حسين المترجم له.. وأهل العلا مثل أهل الخليج يقلبون القاف جيما.

وفـــاته :

كان مستقر المترجم له بالعلا في طريق الحاج الشامي الى المدينة كما أسلفنا. وكان النجم الغزي يأنس إليه في رحلاته الى الحج. وفي إحدى حججه سنة سبع بعد الألف تجاذب معه أطراف الحديث وأنشده الشيخ حسين قائلا لنفسه:

أرى غارة الأقدار للمرء لاحقه
ولو فر منها راكبا متن شاهقه
وما خط في أم الكتاب تسوقه
إليه المقادير التى هي سابقه
فلا ذاق من صاب التغرب من بكى
على مغربي ضاع بين مشارقه

قال الغزي: فعاتبته على ذلك وقلت له ما صنعت بين المشارقة، بل شاع ذكرك وذاع نشرك وسما قدرك فما أنصفت فيما قلت، فاعترف بذلك حيث حصل له المال الوفير والقبول التام من قبل أهل العلا حتى إنهم كانوا لا يصدرون إلا عن رأيه. ولكن ذلك كله لم ينسه مجالس العلم في فاس ودمشق المليئة بالعلماء المتبحرين في كل فن ولون، وها هو يقطن في بلدة صغيرة تخلو من العلماء.

ثم زاره النجم الغزي مرة أخرى في سنة ثمان بعد الألف فتسامرا وتآنسا. فلما عاد الغزي الى الحج في سنة عشره وجده قد سافر الى الروم أي القسطنطينية، وفي السنة التي تليها وهي إحدى عشرة في أواسط ذي الحجة، جاء الخبر الى الحجيج في مكة أن حسين قد غرق في بحر جده في المركب المعروف بالخاصكية في الشهر الذي قبله أي ذي القعدة من سنة ١٠١١هـ. والخاصكية أو الخاسكية

هي المركب المخصصة لسفر الحرس الخاص للسلطان العثماني. وهكذا تحقق ما صاغه شعرا وأشار إلى ذلك الغزي بقوله: «فلحقته غارة الأقدار وساقت إليه المقادير ما خط في أم الكتاب»[١٤]، رحمه الله.

خلاصة :

خصص هذا البحث لترجمة الأديب الشيخ حسين بن قاسم العتيقي الدرعي. وتعطي العينات الشعرية التى عرضناها فكرة عن شعر المترجم له الذي يحفل بمواضيع الإخوانيات وفنون التضمين، وهي مما تميز به الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر[١٥]. وأما أثره في الحياة الاقتصادية فيتضح ليس في الأراضي التى أصلحها فحسب بل بعدد العيون التي استحدثت من بعده في العلا وامتداد الزراعة بها إلي مساحات جديدة باستمرار حتى نهاية القرن الرابع عشر.

الهوامش :

(١) محمد أمين بن فضل الله المحبي «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر» مخطوطة لدى مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة ضمن مكتبة عارف حكمت. رقم ٩١/٩٠٠.

(٢) عبد العزيز سيد هاشم الغزولي «ابن الجوزي» دار القلم ـ دمشق ٢٠٠٠.

(٣) محمد أمين المحبي ، المصدر السابق.

(٤) محمد أمين المحبي، المصدر السابق.

(٥) أبو العباس أحمد بن أبي العافية المكناسي الفاسي «درة الحجال في أسماء الرجال، مخطوط لدى دار الكتب المصرية. القاهرة.

(٦) محمد بن محمد بن مخلوف «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية».

(٧) شهاب الدين أحمد الخفاجي «ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا»، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو. مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٦٧.

(٨) شهاب الدين أحمد الخفاجى. المصدر السابق.

(٩) شهاب الدين أحمد الخفاجي. المصدر السابق.

(١٠) محمد أمين المحبي . المصدر السابق.

(١١) محمد أمين المحبي. المصدر السابق.

(١٢) أبو العباس أحمد بن أبى العافية. المصدر السابق.

(١٣) عبد الله بن آدم صالح نصيف «العلا» دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي، الرياض ١٩٩٥.

(١٤) نجم الدين الغزي «لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، مخطوطة لدى مكتبة الملك عبد العزيز ، المدينة المنورة (رقم ١٨٨/٩٠٠).

(١٥) د. عائض بن بنيه الردادى، الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري «الرياض، ١٩٩٢.

الفرق بين الرجاء والطمع

كثير من الناس يدعو، وهو لا يدري هل دعاؤه هذا من قبيل الرجاء أو من قبيل الطمع؟! ذلك لأن كثيراً من اللغويين ذكروا: أن معنى الرجاء ومعنى الطمع: الأمل[١] فلقرب معنى الكلمتين يقع الناس في اللبس، ولكن من المعلوم أن الكلمتين وإن كانتا تدلان على معنى مشترك بينهما، لكن لابد من وجود فرق؛ لأننا نعلم أنه ليس هناك كلمة بمعنى كلمة أخرى في اللغة، وإلا كانت هذه الكلمة الأخرى زائدة، وهذا عيب في اللغة كما يقول اللغويون، قال أبو هلال العسكري[٢]: الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني: أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير الى الشيء مرة واحدة، فعرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع اللغة حكيم: لا يأتي فيها بما لا يفيد، فإن أشير منه في الثاني والثالث الى خلاف ما أشير إليه في الأول، كان ذلك صواباً، فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني، وعين من الأعيان في لغة واحدة، فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضي الآخر، وإلا لكان الثاني فضلا لا يحتاج إليه، وإلى هذا ذهب المحققون من العلماء ١هـ [٣] من هنا عرفنا أن لكل كلمة معنى يخصها، فلذلك لابد من معرفة هذه الفروق، وإلا لوقع الإنسان في الخطأ، فهنا معلوم أن الرجاء ممدوح، والطمع في غير محله مذموم، وعلى الداعي أن يعرف الفرق بينهما، حتى لا يقع في الاعتداء في الدعاء، فما هو الفرق بينهما؟.

الفرق بينهما: أن الرجاء هو الظن بوقوع الخير الذي يعتري صاحبه الشك فيه، إلا أن ظنه فيه - أي في حصوله - أغلب، وليس هو من قبيل العلم، والشاهد على ذلك، أنه لا يقال للشيء المحقق: أرجو أن يكون كذا، فلا تقول أرجو أن يُدْخُلَ النبيُّ {صلى الله عليه وسلم} الجنة؛ لكون ذلك متيقناً، ويقال أرجو أن يُدْخِلَ اللهُ جل جلاله فلاناً الجنة؛ لأنه غير متيقن، والرجاء: الأمل في الخير، وفي الخشية والخوف من الشر، لأنهما يكونان مع الشك في المرجو والمخوف، ولا يكون الرجاء إلا عن سبب يدعو إليه من كرم المرجو أو ما شاكل ذلك.

والطمع: ما يكون من غير سبب يدعو إليه، فإذا طمعت في الشيء، فكأنك حدثت نفسك به، من غير أن يكون هناك سبب يدعو إليه؛ ولهذا ذُم الطمع ولم يُذم الرجاء ١هـ [٤]، ولذلك جاءت الآيات القرآنية مبينة المعاني العميقة للرجاء والطمع، ومبينة الفرق بمجرد تلاوتها، يقول الله جل جلاله **{فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً}**[٥].

فالإنسان يرجو دخول الجنة، لكنه رجاء مصحوب بشك غالب، أي أن الغالب حصوله، وهذا الغالب جاء من رحمة الله بعباده، حيث رغبهم بالعمل، ووعدهم الجنة، فقال الله جل جلاله **{لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر}**[٦] وانظر الى قوله جل جلاله **{يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه}**[٧] فانظر كيف عبر عن الرجاء بعد الخوف، بما لا يمكن أن يعبر عنه إنسان! ومثل قوله تعالى **{إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم}**[٨] وانظر الى المقابلة بين فريقين: فريق يرجو وفريق لا يرجو، يقول الله جل جلاله في بيان حال المؤمنين وحال الكافرين بعد غزوة أحد، وقد أصابهم ما أصابهم، فهم يجتمعون معهم في الألم، ولكن المؤمنون يخالفونهم في الرجاء، ولذلك يطلب الله منهم أن يلاحقوهم؛ بسبب الرجاء الذي هو الفارق



بقلم : **د. ياسين بن ناصر الخطيب**

- جامعة أم القرى - مكة المكرمة -

الأعظم بين الكافر الذي لا يرجو شيئاً، وبين المؤمن الذي يرجو من الله الجنة ونعيمها، فيقول جل جلاله **{ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً}**[٩] ولما كان المؤمن يرجو لقاء الله، فإنه لا يتكلم إلا بما يرضي الله، بينما الكافر يتكلم كما يشاء، فالمؤمن منضبط، والكافر متفلت يتكلم الصواب والخطأ، لأنه لا يرجو شيئاً، يقول الله جل وعلا **{وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله}**[١٠] وقال الله عز وجل **{وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة}**[١١] بعد أن تكلمنا عن الآيات التي تتحدث عن الرجاء، نأخذ بعض الآيات التي تتحدث عن الطمع فنقول:

أما الطمع: فيكون من غير سبب يدعو إليه: فالكافر ليس بينه وبين الله علاقة؛ لأنه هو الذي قطع هذه العلاقة بكفره، ولكن مع ذلك يريد أن يدخل الجنة، فهذا منتهى الطمع، والمؤمن مع السبب القوي بينه وبين الله، فهو يرجو، يقول الله تعالى عن طمع الكافرين **{فمال الذين كفروا قبلَكَ مُهطعين[١٢] عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرىء منهم أن يُدْخَل جَنَّة نعيم !كلا}**[١٣] فهذا هو الطمع الذي لا أساس له؛ ولذلك أتاهم اليأس من هذا الطمع فقال عز وجل **{كلا}** ليس منهم أحد يدخل جنة نعيم، وانظر الى المؤمن المتقي، فهو مع عمله الصالح، يخاف من ذنوبه ويطمع أن يغفرها الله عز وجل له يقول سيدنا ابراهيم عليه السلام **{والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين}**[١٤] ويقول السحرة الذين آمنوا بالله، وهددهم فرعون بأن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ماذا قالوا جوابا للطاغية؟ استمع الى هذا المقطع من الحوار بين السحرة المؤمنين والطاغوت المتجبر **{قال آمنتم له قبل أن آذن لكم؟! إنه لكبيركم الذي علَّمكم السِّحر، فلسوف تعلمون: لأقَطعن أيديَكم وأرجلكم من خلاف ولأصَلبنكم أجمعين * قالوا لا ضير إنا الى ربنا مُنْقلبون * إنا نطمع أن يغفر لنا ربُّنا خطايانا أن كُنَّا أول المؤمنين}**[١٥] ففرعون يريد أن يسن للطغاة قانوناً لا يحيدون عنه، وهو أن الإيمان بالله جل جلاله يحتاج الى موافقة ولابد.. **{أليس لي مُلْك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون}**[١٦] وهكذا تجلى الفرق بين الرجاء والطمع.

الهوامش:

(١) انظر المقاييس في اللغة لابن فارس ٤٤٥ و ٦٢٥ والمصباح المنير للفيومي ٢٣٧/١ و ٢٥/٢ والوسيط ٣٣٣/١ و ٥٦٦/٢.

(٢) هو أبو هلال : الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كان حياً سنة ٣٩٥هـ.

(٣) الفروق لأبي هلال ص ١٠ - ١١.

(٤) نفسه ص ٢٠٣ بتصرف.

(٥) سورة الكهف/ ١١٠.

(٦) سورة الأحزاب/ ٢٠.

(٧) سورة الزمر/ ٩.

(٨) سورة البقرة/ ٢١٨.

(٩) سورة النساء/ ١٠٤.

(١٠) سورة يونس/ ١٥.

(١١) سورة الفرقان/ ٢١.

(١٢) مهطعين: مسرعين، وعزين: أي فرقاً شتى. تفسير النسفي ٢٩٣/٤.

(١٣) سورة المعارج/ ٣٨.

(١٤) سورة الشعراء/ ٨٣.

(١٥) سورة الشعراء/ ٤٩ - ٥١.

(١٦) سورة الزخرف/ ٥١.

لغة النبات بين الرمز والحقيقة عند العربي

لقد قمنا في رسالتنا لنيل شهادة الماجستير بدراسة احصائية للنباتات الواردة في دواوين أصحاب المعلقات، فوقفنا على استنتاج يتمثل في أن الرمز كان أقواها ورودا في باب الكناية بالنبات. وقد وقفنا على اقتناع بما أقره لفيف من الدارسين بخصوص مظاهر الطبيعة في شعر الجاهليين[١].

وبالنظر الى الطقوس والديانات المشبوهة التى اعتنقها العرب، فقد كانوا، في غالب تعبيرهم عنها، يلوون عليها بالأساطير، ويرمزون لما هو من اعتقادهم، بشيء من النبات.

فلعل العالم لم يكن من حولهم «جمادا أو فراغا، بل زاخرا بالحياة، فاستوعبوا ما في السماء وما في الأرض، فإذا الكون حي في نفوسهم، ولكل مظهر من مظاهره شخصية مستقلة متفردة»[٢].

ولقد ساق أحد الدارسين عن الجاهلية الأولى فيما يقول النويري: إذا تتابعت عليهم الأزمات واشتد الجدب، واحتاجوا الى الامطار، يجمعون لها بقرا معلقة في أذنابها وعراقيبها السَّلْعُ والعُشَرُ، ويصعدون بها الى جبل وعر، ويشعلون فيها النار، ويضجون بالدعاء والتضرع، وفي ذلك يقول الوديك الطائي:

لا درَّ درُّ رجال خاب سعيُهم
يستمطرون لدى الأزمات بالعُشَر
أجاعلٌ أنْتَ بيقورا مُسلعة
ذريعة لك بين الله والمطر[٣]

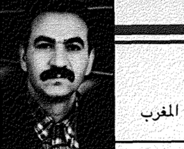
فاستسقاء هؤلاء الجاهليين لم يكن خالصا لوجه الله بل كانوا يتزلفون بواسطة نباتين هما العُشر والسَّلع. كانوا يشدونهما الى أذيال البقر، فيحرقونها بإشعاله، وإن كان من هؤلاء في ذلك العصر من: يتوجه الى معبوداتهم من الآلهة إذا تعرضت محاصيلهم الزراعية «لآفات خطيرة تقضي على المزروعات في بعض الأحيان»[٤].

ومن النباتات التي قدَّسها الجاهليون في طقوسهم الدينية «القيصوم». فقد أكد ابن البيطار أنه يعرف باستعماله «في الأكاليل التي توضع على رؤوس الأصنام»[٥]، وذلك لإرضائها وتعظيم قدرها.

لم يتوقف الجاهليون عند تتويج الآلهة بالنبات وإحراق القربان بالنبات للسقيا، بل تجاوزوا ذلك الى عبادة ضروب منه. إن العُزَّي التي قال الله سبحانه في حقها: {أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى}[٦]. يرد الدكتور عبد الله الطيب تعبُّدها الى ارتباط بعض معنى الخصوبة بها، حتى بعد أن صاروا الى عبادة الإله الرجل. يدلك على أنهم ظلوا يؤلهون مناة واللات والعزى ويقدمونهن كل التقديم [٧].

والعزى شجرة بنخلة عندها وثن تعبدها غطفان، سدنتُها من بني صرمة بن مرة، وكانت قريش تعظمها، وكانت غَنَيٌّ وباهلة تعبدها معهم. فبعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خالد بن الوليد فقطع الشجرة وهدم البيت وكسر الوثن[٨]. وقد كانوا ينحرون لها[٩] وقد أورد قصة العُزى صاحب شرح التصريح حيث أضاف، بعد قطع خالد لها، قائلا: «فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها، وجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول:

يا عزُّ كُفْرانك لا سُبحانك
إني رأيتُ الله قدْ أهانك



بقلم : **د . حاتم بلخير**
دكتوراة الدولة فى علم البيان العربي - المغرب

ورجع فأخبر رسول الله [صلى الله عليه وسلم] بذلك، فقال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: «تلك العزى ولن تُعبد أبدا»[١٠]، ولذلك قال أحد الدارسين: «فاعتقدوا أن روح العزى شيطانة»[١١].

وربما ذهب الرواة الى الإعتقاد بأنها سَمُرات ثلاث، وقد يقولون انه كان في الكعبة (وثنُ العزى) ومن حوله شجرات يقدسونها[١٢]، ويروى أن أهل نجران كانوا يتعبدون نخلة[١٣]، تقديرا لأهمية الأشجار وفائدتها الجلي بالنسبة الى الإنسان والحيوان معا. فتصوروا وجود قوى روحية كامنة فيها، فأقاموا لها في كل سنة عيدا، فإذا كان ذلك العيد، علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه، وحلي النساء فخرجوا إليها يوما وعكفوا عليها يوما.

وتعتبر نخلة نجران من أشهر معبودات العرب. فقد كانوا يعتبرونها شجرة الحياة[١٤]. وكانت قريش ومن سواهم من المشركين يتعبدون «ذات أنواط» وهي شجرة عظيمة خضراء قريبة من مكة يحجون إليها كل سنة، ويذبحون عندها[١٥]، ويقومون يوما.

وقد اتصلت كرامة السدرة بالإسلام في سدرة المنتهى. وقد ظل بعض العامة عندنا الى عهد قريب يعتقدون أن إيقاد السدر يتبعه الشُّؤم. وربما جرَّ الثكل واليُتم»[١٦]. وقد قيل: هي سمرات من الطلح الشائك لا يظل ولا يثمر، ولا ترعاه الابل. ولا شك أن عمقها وصلابتها وتأبيها على مريديها، أعطى انطباعا مهولا لهذه الشجرة التي ما لبثت أن تحتوي الارواح لا الثمار[١٧] في اعتقاد الجاهليين، ومن معتقداتهم في الشجر، ما ذكره (د. جواد علي) ان منطقة «حسي» واعالي الحجاز كانت ذات غابات، وقد تعبَّد أهلها لإلاه اسمه: ذو غابة ـ اله الغابات[١٨].

وقد ذكر محمد بن عبد الوهاب بعض الأشجار التي كانت مقدسة في أيامه مثل «نخلة منفوحة باليمامة، شجرة الحنفي بمصر» ويذكر «سعد الخادم أن المصريين ظلوا يقدسون الأشجار حتى أواخر القرن التاسع عشر. وأهم الاشجار التي قدسوها، الضخمة الغليظة الجذور كالجميز وسموها: الشيخة خضرة»[١٩].

من هذا المنطلق ظهر أن الاعتقاد في الشجرة الضخمة كان أكثر. ومرده الى رمز (ميثولوجي) حيث إن الارواح إنما كانت تنتقي الملاذ في الجذوع الضخمة لتتوارى فيها.

والراجح أن منشأ هذا الاعتقاد، فكر أسطوري بدائي، كما ترجم الدراسات (الانطولوجية) و«الانتروبولوجية». وقد يكون مبعثه من حادث ديني حقيقي. بهذا يمكن استحضار قصة سيدنا آدم في الجنة مع حواء عليهما السلام، حيث غرر بهما إبليس، بعد إذ نهاهما الله سبحانه عنها. فكان مآل الجميع ان امر الله تعالى: {اهبطوا منها جميعا}[٢٠]، {بعضكم لبعض عدو، ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين}[٢١].

وذكر صاحب نزهة الانام: «عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أهبط آدم من الجنة بثلاثة اشياء. الآسة، وهي سيدة الرياحين الجنية»[٢٢]، واذا صح هذا الادعاء فان نبات الآس يمكن اعتباره في المجال الرمزي العقدي.

وذكر الجاحظ «نقلا عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان الشجرة التي نودي منها موسى، على نبينا وعليه السلام، هي عوسج. وأنه نودي من جوف العوسج، وأن عصاه كانت من آس الجنة[٢٣]، وأنها كانت من العود الذي في وسط الورقة، فكان طولها طول موسى عليه السلام»[٢٤].

و(الأسباط) جمع سبط، ضرب من الشجر أيضا[٢٥]، لم يفصح عن تجليته أحد ممن تصفحت كتبهم. وتأكيدا لهذا الاعتقاد الذي كان سائدا في ضروب الشجر، يحسن ذكر ما أورده ابن الجوزي:

«عن جابر بن عبد الله قال: كان جذع يقوم عليه النبي {صلى الله عليه وسلم} فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل النبي {صلى الله عليه وسلم} فوضع يده عليه» [٢٦]. وفي رواية البخاري: «فلما كان الجمعة دفع الى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي»[٢٧].

وإذا عدنا الى مكامن الرموز في النخل وجدنا في الأثر: «أن ليس من الشجر أكرم على الله من شجر ولدت تحتها مريم ابنة عمران»[٢٨] وذلك حين قال الله تعالى لها: {فهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا}[٢٩]، فنعم الملاذ النخلة، ثمرها كريم يكفر سيئات من تصدقه. روي عن الرسول {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: «من أفطر بشق من التمرة كفاه الله شر ذلك اليوم[٣٠]. فلعله يرمز إلى شيء من قدسيته.

وساق صاحب كتاب «المحبر» خبرا طريفا بخصوص النبات الرمزي العقدي، فقال: «وأما أهل المدر والحرث فكانوا إذا حرثوا حرثا أو غرسوا غرسا خطوا في وسطه خطا فقسموه اثنين، فقالوا: ما دون هذا الخط لالهتهم وما ذرأه لله، فإن سقط فيما جعلوا لآلهتهم شيء مما جعلوه لله عز وجل أقروه وتركوه. وإن سقط مما جعلوه بآلهتهم شيء فيما جعلوه لله تبارك اسمه ردوه... ثم يرسلون الماء في الذي سموه لآلهتهم. فإن انفتح في الذي سموه لله عز وجل سدوه. وإن أرسلوا في الذي سموا لله فانفتح في الذي سموا لآلهتهم قالوا اتركوه فإنه فقير إليه، فأنزل الله جل وعز: «وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا، فقالوا: هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا، فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله، وما كان لله فهو يصل الى شركائهم[٣١].

وفي هذا السياق المتصل بالنبات، طبعا، أثبت أنه وجد ما يسمى بالرتائم عند الجاهليين، بشأن علاقة الزوج بزوجته: «وهي أن يعقد الرجل إذا أراد السفر شجرتين أو غصنين، فإن رجع وهما على حالهما كانت زوجته محتفظة بوفائها له، فإن لم يجدهما على ما تركهما فقد خانته». وهل الميثاق الغليظ بمستوى شد الأغصان الى بعضها؟ وهل العلاقة المبنية على الوفاء أو الخيانة يحكمها ما فعل هذا الأعرابي؟ أليس ذلك ضربا من الأسطورة؟ أما تراه يرمز الى فكرة دينية كان يتشبث بها؟ بل ربما طار الاعتقاد الفاسد بمثل هذا الجاهلي الى الظن في أنوثة الشجرة وخصوبتها.

ومن ذلك أن الرجل كان إذا هم بالإشادة بضروب الآشر والبطر، أو بالمطالبة بالثأر وتنازع الترات، لقوة اكتسبها من الخصب، عمد الى الحديث عن أنواع من النبات، في مقدمتها البقول، إذ تجسدت تلك القوة وحسن الحال في الكناية بنباتات تبزغ كلما عم الخصب. وهي بالترتيب: الاء، والأبيد، والأثل، والأراك، والأيهقان، والبارض، والبرير، والخضدُ، والخشبُ، والخضارُ، والخلى، والخمخم، والدَّباء، والربَّة، والرَّبْلُ، والرجلة، والرعي، والسمر والشعير، والتعليق، والغابُ والغمير، والفصافص والأفنان، والقت، والقصائص ، والقضب، والقفعاء، والكباثُ واللعاع، والمرد، والنخل، واليعضيد، والينبوتُ.

يؤكد هذا المعنى ما اورده ابن رشيق قائلا: «واختار الحاتمي في باب الاستعارة في وصف سحائب - وأظنه لابن ميادة، واسمه الرماح بن أبرد من بني مرة، وميادة أمه:

إذا ما هبطن القاع قد مات بقله
بكين به حتى يعيش هشيمُ[٣٢]

فالملاحظ أن البقل يمثل قمة الخصب أو يعطي الإشارة الى وجود الجدب. فمتى نما وأينع، فالخصب المقدم. ومتى تذاوى وتهشم، فالقحط المقصود. وفي الحالتين يفهم اكتساب القوة والنزوا والضعف والمسكنة. والأمثلة في هذا المجال كثيرة. فجل النباتات المذكورة في الكناية عما أسلفنا، هي من صنوف البقل. ومن طريف ما ذكره المعري قوله: «ولم ينج من سطوات الاقدار ظبي لا يستتر بجدار، ولا يبيت بين شيح وآلاء. وانما يدمنُ بلادا ذات سمر

وآراك. فهو يتفكه في كباث وبرير»[٣٣].

وقبل سوق بقية الملاحظ في مضمار الكناية انطلاقا من الإحصاءات، أود أن ألفت النظر الى الرمز وما ألف العرب استعماله بهذا الخصوص. فقد تعودوا الإقدام عليه في ظروف الخصب والامتلاء بعيداً عن الفاقة والإسنات.

ومن ذلك ما أورده أبو عبيد رداً على أبي علي القالي بخصوص الرمز الى الحرب والمطالبة بالدماء. فربط ذلك بإدباء العرفج. قال موضحا هذه العادة العربية: «يريد بقوله إن العرفج قد أدبى: أن الرجال قد استلأموا ، أي لبسوا الدروع، ليس في قوله: «إن العرفج قد أدبى دليل على ما ذكره أبو علي ـ رحمه الله ـ ولا من عادة العرب أن تلبس الدروع إلا في حال الحرب. وأما في بيوتها قبل الغزو فذلك غير معروف. وإنما أراد بذلك أن يؤذنهم بوقت الغزو وينبههم على التيقظ والحذر»[٣٤].

قال أبو نصر ـ رحمه الله ـ إدباء العرفج، أن يتسق نبته ويتأزر. وإذا اتسق النبتُ وتأزر أمكن الغزو. وقال أبو زياد ـ رحمه الله: العرفج نبت طيب الريح[٣٥] اغبر الى الخضرة، له زهرة صفراء، ولا شوك له. ويقال له إذا اسود عوده حتى يستبين فيه النبات: قد أقمل، فإذا زاد قليلا، قيل: قد أرقاط فإذا زاد قليلا، قيل: قد أدبى. وهو حينئذ قد صلح أن يؤكل، فاذا أعتم وطفحت خوصته، وأكلأ قيل: قد أخوص. فإذا ظهرت عليها خضرة الري قيل: عرفجة خاضبة[٣٦] وأنشد أبو علي ـ رحمه الله ـ في آخر هذا الخبر شعرا أوله:

إن الذئاب قد اخضرت براثنها
والناس كلهم بكر إذا شبعوا

قال: يزيد ان الناس كلهم عدو لكم اذا شبعوا كبكر بن وائل.

(ع) لم يرد الشاعر هذا المعنى، لأن الناس كلهم لم يكونوا عدوا لبني تميم ولا أقلهم، وإنما يريد أن الناس إذا شبعوا هاجت أضغانهم، وطلبوا الطوائل والترات في أعدائهم، فكانوا لهم كبكر بن وائل لبني تميم، كما قال الشاعر، أنشده تغلب عن ابن الأعرابي:

لو وصل الغيث لابنين امرأ
كانت له قبة سحق بجاد

يقول: لو اتصل الغيث وأخصبنا لأغرنا على الملك وأخذنا متاعه وقبته حتى نُحوجه أن يتخذ قبة من قطعة كساء. قال أبو عمرو ـ رحمه الله ـ وإنما يغيرون في الخصب لا في الجدب. وقال آخر:

يا ابن هشام أهلك الناس اللبن
فكلهم يسعى بقوس وقرن[٣٧]

يقول: لما كثر الخصب سعى بعضهم الى بعض بالسلاح. وقال آخر:

قوم إذا نبت الربيع لهم
نبتتْ عداوتُهم مع البقْل

وقال :

وفي البقل إن لم يدفع الله شره
شياطين ينزو بعضهن الى بعض

وقال :

قومٌ إذا اخضرتْ نعالهم
يتناهقُونَ تناهُقَ الحُمُر

يعني يتناهقون من الأشر والبغي. وإنما النعال: الأرضون الصلابُ. واذا أخصبت النعال، فما ظنك بالدماث. ومنه الحديث: «إذا ابتلت النعالُ فصلُّوا في الرحال، معناه: إذا انزلقت الأرض فصلوا في البيوت»[٣٨]، ولعل الحادرة يشير الى مصدر قوة قومه «من المرعي» ـ يوم كفالة ـ حين يقول:

ونحنُ منعنا من تميم وقد طغتْ
مراعي الملا حتى تضمها نجدُ[٣٩]

فالعرب، بهذا ، كانت ترمز الى طلب الطوائل

والقيام بالغارات حين إخصاب الأرض واخضرار النعال ونجوم البقل، إذ بوفرة المادة يفعمون البطون أكلا، ويشحنون الرؤوس شنآنا وحقدا. فإذا هم يلتمسون حيث يفرغون الحنق ويريقون الدماء. وجاء في البيان والتبيين بخصوص هذا الضرب من الرمز «الخصب يدعو الى طلب الطوائل وغزو الجيران، وإلى أن يأكل القوي من هو أضعف منه»[٤٠].

وقديما أكدت العرب هذا الأمر حين قالت: «إذا شبعت الدقيقة لحست الجليلة، هذا في قلة العشب، وإنما تلحسه الناقة لقلته وقصره»[٤١]، وفي هذا قيل لأعرابي: «ما وراءك؟ قال: «خلفت أرضا تظالم معزاها» يقول: سمنت وأشرت فتظالمت»[٤٢] ومن هنا نقول: إذا كان ذو الحجي يتطاول على بعضه البعض فما بالك بالأنعام. وقد شبع الاثنان؟.

وأضاف الجاحظ بهذا الشأن رواية أخرى:

«حدثنا أبو زياد الكلابي قال: بعث قوم رائدا لهم بعد سنين تتابعت عليهم فلما رجع إليهم قالوا له: ما وراءك؟ قال: «رأيتُ بقلا يشبع منه الجمل البروك ، وتشكت منه النساء، وهَمَّ الرجل بأخيه»». قال: أما قوله: الجمل البروك. فيقول: لو قام قائما لم يتمكن منه لقصره. وأما قوله: وتشكت منه النساء فإنه مأخوذ من الشكوة، والشكاء أصغر الوطاب. يقول: لم يكثر اللبن بعد فيمخض في الوطاب. وقوله: همَّ الرجل بأخيه: أي همَّ أن يدعوه الى منزله كما يصنعون في أيام الخصب[٤٣].

وفي نفس الرمز جاء عن الجاحظ أيضا (في البيان والتبيين):

إذا اخضرتْ نعالُ بني غُراب
بغَوْا ووجدتهُم أسرى لئاما

لم يرد صفة النعل، وإنما أراد: إذا اخضرت الارض، وأخصبوا، طغوا وبغوا، كا قال الآخر:

وأطولُ في دار الحفاظ إقامة
وأوزنُ أحلاما إذا النعلُ أخضلا[٤٤]

يقول غنيمي هلال: «والألوان والعطور، تنبعث من مجال وجداني»[٤٥]. هذا القول يقودنا نحو الاعتقاد أن مصدر بعض العواطف العطور والنباتات. ويحق لنا عندئذ ذكر المثل الذي ضربته العرب بعطر منشم. وما صاحبته سوى امرأة جاهلية عاشت على بيع العطور وألوان الطيوب، ويقال هي من همدان. وذكر المؤرخون أن كل من تطيب من مواردها من العرب، اشتدت الحربُ بينه وبين غيره. فكان ذلك بمثابة استجلاب للصراع. فصارت مثلا في الشر[٤٦]. ثم أفلا ترى أن هذا من قبيل الرمز بمشتقات النبات الى وقوع المصائب والحروب؟. وفي ذلك قال زهير بن ابي سُلمي:

تداركتم عبسا وذُبيان بعدما
تفانوا ودقوا بينهم عطْر مَنْشم[٤٧]

ومما وقع به نحو من ذلك الرمز حال حسان بن ثابت. هذا الذي يُحكى عنه أنه تفرد «بناصية يسدلها بين عينيه، وكان يخضب شاربه وعنفقته بالحناء، لا يخضبُ سائر لحيته ليكون كأسد والغ في دم»[٤٨]. ترى ما هي الغاية النفسية التي أحب هذا الشاعر أن يختص بها؟ أما كان يريد الرمز بالخضاب الى مكمن من مكامن نفسه ورغبة داخلية لا يعلمها إلا هو؟ فقد خرج بهذا السلوك عن المألوف، إذ رمز إليه بشيء من لوازم النبات وهو الخضاب.

ومن الإحصاءات الخاصة بموضوع الكناية، أمكنني استنتاج آخر هو أقرب الى الحقيقة. ذلك أن الكناية عن الضعة والدناءة كانت تتم بواسطة طائفة من النباتات تجسدت في الأيصر، والبرم، والثُمام[٤٩]، والدُعاع، والسَّحم، والنشَم[٥٠].

وفي حالة تقديم صورة العراقة والقدم بخصوص النسب، فقد كادوا يجمعون على استعمال الأثل رمزاً الى ذلك[٥١] في شعرهم الجاهلي، كما كنوا عن الترف ومظاهر الرفاهية ورقي الحياة بالبنفسج والجلسان والخيري والريحان، والزنبق، والسوسن والسيسنبر، والمَرْزَجوش، والمرو والنَّصي والنرجس والياسمين.

فحين يقول الأعشى:

نازعتهم قُضُبَ الريحان مُتَّكِئاً
وقهوة مُزَّة راووقُها خضلُ[٥٢]

فالكناية عن الترف بينه ما دامت مرتبطة، في نظر الشاعر، بمجالس الشراب وبعادات النصارى. لأن من عادة هؤلاء التيمن بذكر الريحان، أورشه على القبور اعتقادا في أن المغفرة تصيب صاحبه والرحمة تغشاه. وفي هذا السياق جاء قول النابغة:

سقى الغيثُ قبرا بين بصرى وجاسم
بغيث من الوسْميّ قطر ووابلُ
ولازال ريحان ومسك وعنبر
على منتهاه ديمة ثم هاطلُ
وينبتُ حوذاناً وعوفاً مُنَوَّرا
سأتبعه من خير ما قال قائل[٥٣]

وقال أيضا:

رقاقُ النعال طيب حجزاتهم
يُحَيَّون بالرَّيحان يوم السباسب[٥٤]

ففضلا عن الكناية الرمزية الواردة في البيت الثاني بخصوص التيمن وشبه الدعاء لصاحب القبر بالسقيا، ورد في البيت الاخير كناية أخرى دالة على الترف (انظر عجز البيت). وأما صدر البيت، فتمثلت فيه كناية أخرى عن الترف برقة النعال وطيب الحجزات[٥٥]، وهذا الفصل الأخير يفيد: طهارة المدوحين، ويبدو أن العرب تمدح برقة النعال لأنها تعتبرها خاصة بالملوك[٥٦].

قال الجاحظ في هذا البيت: «وإنما ذهب الى سباطة أرجلهم وأقدامهم ونفي الجعودة والقصر عنهم»[٥٧] قال الأشناندانى: «والعرب تمدح برقة النعل»[٥٨] ثم ذكر بيت النابغة، والأعشى يجاري النابغة في هذا المعنى فيقول:

الواطئين على صدور نعالهم
يمشون في الدَّفْني والأبراد[٥٩]

والملاحظ أن «يوم السباسب» المذكور هو يوم من أيام الشعانين من أعياد النصارى. وكان الممدوح وهو عمرو بن الحارث الأعرج نصرانيا. وقد هرب النابغة الى دمشق لما بلغه أن مرة بن قريع وشى به الى النعمان في أمر المتجردة. والذي يثير الانتباه في هذه الأبيات الرمزية الدينية بالريحان والحوذان والعوف (والمسك والعنبر).

هذه النباتات أفرزها، في الكناية عن الرمز الديني، ما استنتجناه بعد الدراسة الإحصائية، نضيف إليها السمر. أما إذا همَّ الشاعر بتقديم صورة مؤثرة عن الجدب والقحط، فإنه لا يجد أحسن من الكناية عنه بذكر سفا البهمي[٦٠] والسفير والعبهر، والعود[٦١].

وأما ظاهرة الكرم وبذل العطاء، فآثروا لها كناية بالزرع والشيزي[٦٢]. ففي الزرع جاء تشبيه تمثيل بشأن المؤمن «عن ابن كعب بن مالك عن أبيه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: «مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع يميلها الريح مرة هكذا ومرة هكذا. ومثل المنافق مثل الأرزة المجذية على الارض حتى يكون انجعافُها مرة» [٦٣] فكان الحديث عن المؤمن حديثاً عن قوة كامنة يمثلها هذا الزرع، مصدر العطاء، ومنبع البذل.

وحين نصادف ذكر الشيزى في شعر الجاهليين فإنما ترادف الجفان المفعمة طعاما، إذ هي مصدر الإحسان ووسيلة الكرم وعنوان السخاء والجود. وأما العذرة المكانية والزمانية، فقد عبروا عنها بالعازب والعزب، وبالعوف والقمحان[٦٤] حتى إذا أراد الشاعر تقديم صورة عن الشهرة كنى عن ذلك بذكر دخان العلندي. وإذا صادفه موقف يقتضي التحدي أو الغلو، لجأ الى ترجمته ممتطيا سبيل الكناية بالطرفاء. وأحسن ما يمثل الحديث عن الشيء القليل «الفتيل» الذي في التمر ولكن الاضطراب النفسي وتأجج العاطفة يعتبر خير ما يعبر به الجاهلي «الهراس

والعود» ذلك بأن العود في مجال الكناية قدّم وظائف متباينة. من ذلك ما ورد في قول الإمام الشافعي:

والتبرُ كالترب مُلقى في أماكنه
والعودُ في أرضه نوعٌ من الحطب[٦٥]

وقال فيه أيضا:

والعود لو لمْ تطبْ منهُ روائحه
لم يفرق الناسُ بين العود والحطب[٦٦]

ومما كنى به الجاهليون عن الغدر والمكر والنكال، نبات الغضى، إذ أمسى يمثل منبته وكر تربص الذئاب الضارية القوية التي تكتسب صنوف التمثيل بالأعداء وضروب الشراسة والافتراس. وبمكرها ونكايتها بالمارة شُبهت الرجال في أشعار العرب. روى القالي ما يلي: «قال، وأنشدنا أيضا، قال أنشدني أحمد بن يحيى لبعض الأعراب:

تمرُّ الصبا صفحاً بساكن ذي الغضا
ويصدعُ قلبي ان تهبَّ هبوبُها
قريبة عهد بالحبيب وإنَّما
هوى كُلّ نفس حيثُ كان حبيبها[٦٧]

قال: وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله عن عبد الرحمن عن عمه لأم خالد الخثعمية في حَجْوش العقيلي:

فليت سماكياً يطير ربابه
يُقادُ الى أهل الغضى بزمام
ليشرب منهُ حَجْوشٌ ويشيمهُ
بعيني قطامي أغرَّ شآم
رأيت لهم سيماء قوم كرهتهم
وأهلُ الغضى قومٌ عليَّ كرامُ[٦٨]

والملاحظ بخصوص الكنايات الواردة بالنباتات، أن منها ما كانت جهوية، بمعنى أن من الشعراء من لم يكن الاتفاق وارداً بينهم في شأن بعض ضروب الكنايات، بل إن منها ما اختص به شاعر دون الآخرين. ومن وجه آخر، فالظاهر أن الكنايات منها ما كان يتصرف في صوغه الشعراء تبعا للظروف السياسية أو الاجتماعية، ولذلك كانت لغاتهم، في أحيان كثيرة، متباينة، مما دفع بالسيوطي الى تعليل الظاهرة بقوله: «فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام، لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام. وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر، لمجاورتهم للنبط والفرس، ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضر الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم» [٦٩]، حتى إذا جاوزنا هذه الملاحظة في موضوع اختلاف الألسنة، جاز لنا التذكير مرة أخرى، بالاعتقاد في خصوبة المرأة. فحين يقول امرؤ القيس مثلا:

كأن على لبَّاتها جمر مصطل
أصاب غضى جزلا وكفٌّ بأجذال[٧٠]

فإن د. عبد الله الطيب يطرح بشأن النار إشكال الرمز الى الشوق الغزلي والهوى، وأكد المعنى بقول الشاعر:

تنورتها من أذرعات وأهلها
بيثرب أدنى دارها نظر عالي[٧١]

ويستدل على هذا الرمز بالنار للمرأة بقول النابغة ايضا:

أقول والنجم قد مالت أوائلهُ
الى المغيب تأمل نظرة حار

أي : ياحارثُ:

ألمحـة من سنا برق رأى بصري
أم وجـهُ نُعم بدا لي أم سنا نار[٧٢]

ومما هو مشهور من وصل التشبيب بذكر النار قول عدي بن زيد العبادي:

يالبينى أو قدي النارا
إن من تهوين قد حارا
رُبَّ نار بتّ أرمقها
تقضُم الهنديَّ والغارا [٧٣]

وانظر قول جميل في هذا الاتجاه حيث صارت النار التي تمثل عشق المرأة كأنها تراد لذاتها. وهو يربطها كذلك، بنبات الغضى:

أكذَّبت طرفي أم رأيتُ بذي الغضا
لبثنة نارا فاحبسوا أيها الركبُ[٧٤]

وهذه كلها من نيران القلب لا من نيران القرى التي تبدو للركب، وحين يصف امرؤ القيس إضرام النخل مشبها به، فهو كما يبدو، يريد كناية عن قيام حرب. يقول:

وسالفة كسحوق الليا
ن أضرم فيها الغوي السُّعُر[٧٥]

يؤازر هذه الكناية ما أورده ابن رشيق في باب التتبيع عقب الكناية: «ومن عجيب ما وقع في هذا الباب من التجاوز قول أوس بن حجر:

حتى يلف نخيلهم وبيوتهم
لهبٌ كناصية الحصان الأشقر

أراد الحرب التي هي المقصودة بالصفة. هكذا الرواية الصحيحة. وبهذا التفسير فسَّره جلة العلماء وهم الأكثر. وقال آخرون: بل إنما أغراه بإحراق النخل والبيوت ففعل، ولا يكون على هذا الرأي الآخر من هذا الباب»[٧٦] ذلك أن ابن رشيق يؤمن بوجود الكناية من طريق التورية. يؤكد ذلك قوله في التورية: «وأما التورية في أشعار العرب فإنما هي كناية بشجرة أو شاة أو ناقة أو مهرة أو ما شاكل ذلك كقول المسيب بن علس:

دعا شجر الأرض داعيهم
لينصره السدر والأثابُ

فكنى بالشجر عن الناس. وهم يقولون في الكلام المنثور: جاء فلان بالشوك والشجر إذا جاء بجيش عظيم»[٧٧].

لتعزيز هذه المزاعم في أمر الرمز بالشجر الى المرأة نثبت هنا، ما جاء في أدب الكاتب: «قال حميد بن ثور:

أبي الله إلا أنَّ سرحة مالك
على كُلّ أفنان العضاه تروق

أراد: تروق كل أفنان[٧٨] كنَّى بالسرحة ههنا عن المرأة ويقع كثيرا أن يكنوا بها عن المرأة مثل قول الشاعر:

فيا سرحة الركبان ظلك بارد
وماؤك عذب لا يحل لوارد

ومنه قول حميد بن ثور (ايضا):

فهل أنا إن عللتُ نفسي بسَرْحة
من السَّرح مأخوذ عليَّ طريقُ؟[٧٩]

وساق عبد الله الطيب قول الحماسي للاستدلال على ما نحن بصدد إثباته وإيضاحه:

ومالي من ذنب إليهم جنيته
سوى أنني قد قلتُ يا سرحة اسلمي
نعم فاسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي
ثلاث تحيات وإن لم تكلمي[٨٠]

قال التبريزي: جعل السرحة وهي شجرة كناية عن امرأة فيهم.

وقال امرؤ القيس :

فيا طيب رياها ويا برد ظلها
اذا حان من حامي النهار ودوق
وهل أنا إن عللتُ نفسي بسرحة
من السرح مسدود عليَّ طريقُ[٨١]

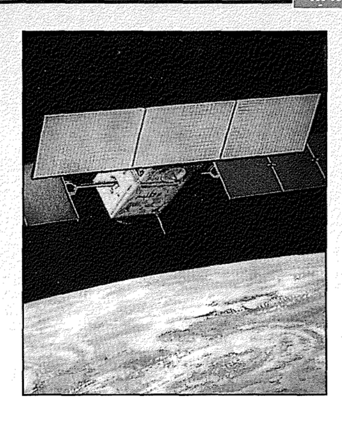
تجمع هذه الأبيات، كما هو مذكور، معنى المرأة والسرحة. «ويعطيك ذلك الروح المثالي المفعم بالصبابة، ومعاني الخصوبة الذي منه نبع وجدان الشاعر وبيانه» [٨٢].

والأمثلة في مجال الكناية بالشجر موجودة بشكل مقبول، كالطلح والسيال والعساليج ..بهذه الصور الكنائية أكتفي لإثبات أن الشاعر ظل يحلق بالمعاني نحو أشرفها وأسمى مراقيها. فقد كانت لها في هذه المجالات خدمة قصوى وإسعافات عظمى والمزاوجة بينها وبين باقي عناصر البيان العربي يمثل دفعاً إيجابيا نحو رقة الأسلوب وجمال التعبير وشفافية الأفكار.

الهوامش :

(١) هو موضوع فسيح أفردنا له فصلا، معتمدين فيه إحصاءات نباتية في دواوين أصحاب المعلقات، وذلك في رسالتنا الأكاديمية لنيل شهادة الماجستير (في جزءين) والتي ربما رأت نور النشر قريبا.
(٢) مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ص : ٣٤٨.
(٣) مصادر تاريخ ج.ع، ص: ٣٤٨.
(٤) المفصل، ص: ٠٧/٩٣.
(٥) ابن البيطار، ص: ٣٧.
(٦) سورة النجم، الآية: ١٩.
(٧) المرشد، ص: ٨٧٤، ٠٢/٨٧٥.
(٨) المحبر، ص : ٣١٥.
(٩) تاريخ العرب، ص ٠١/١٣٥.
(١٠) شرح التصريح على التوضيح، ص: ١٥٠، ١٥١، ج:١٠باب: المعرف بالاداة، كتاب الاصنام، ص: ٢٥، ٢٦، سنة ١٩٢٤. اللسان، ص: ٠٧/٢٤٦.
(١١) دراسات في الشعر الجاهلي، ص: ٩٩.
(١٢) اللسان: ص ٠٧/٢٢٦ معجم البلدان، ص: ٠٤/١١٦.
(١٣) اللسان، ص ٠٧/٢٤٦.
(١٤) دراسات في الشعر الجاهلي، ص: ٩٩.
(١٥) معجم البلدان، ص ٠١/٢٧٢. اللسان، ص: ٠٩/٢٩٨.
(١٦) المرشد، ص ٠٢/٣٨٣.
(١٧) دراسات في الشعر الجاهلي ، ص ٩٩، ١٠٠.
(١٨) جواد علي، ص ٠١/٢٠٩.
(١٩) دراسات في الشعر الجاهلي، ص ٩٩ ـ ١٠٠.
(٢٠) سورة البقرة، الآية: ٣٨.
(٢١) سورة الاعراف، الآية: ٢٤.
(٢٢) نزهة الانام في محاسن الشام، ص ٩٢.
(٢٣) جاء في قاموس الغذاء لاحمد قدامة، ص ٢٢ ـ ٢٣، عن الاس: عرف الرومان والاغريق الاس وخصوه بالالاة «فينوس» وجعلوه ارهونة الحب والجمال، وكان الاغريق يرمزون به الى الامجاد والانتصارات. وحظي بالتعظيم لدى الفراعنة، وكان يستعمل في الحفلات والمجامع الدينية، ولا يزال بعض المسلمين يستعملون اغصان الاس في بعض البلدان لتزيين قبور الموتى في الاعياد والمواسم. (وهي عادات لا يقرها الاسلام.. لان زيارة القبور إنما شرعت للعظة والاعتبار، والدعاء للموتى).
(٢٤) البيان والتبيين ص: ٠٣/٦٤.
(٢٥) أمالي القالي، ص : ٠٢/٣٢.
(٢٦) صفة الصفوة، للامام جمال الدين ابي الفرج بن الجوزي، ص: ٩٨، ط:١ مطبعة الاصيل، حلب.
(٢٧) صحيح البخاري، في باب: علامات النبوة في الاسلام.

(٢٨) الرطب والنخلة، ص ٢٨.
(٢٩) سورة مريم، الآية: ٢٥.
(٣٠) الرطب والنخلة، ص ٢٩.
(٣١) كتاب المحبر ص: ١٣٢.
(٣٢) ابن رشيق، ص: ١/٢٧٥.
(٣٣) رسائل ابي العلاء، ص: ١٩٦.
(٣٤، ٣٥) كتاب التنبيه على اوهام ابي غلي، ت: ص: ١٧.
(٣٦) كتاب التنبيه لابن عبيد، ص: ١٧/ت.
(٣٧) البيت في البيان والتبيين، ص ٣/٥٥. والقرن الجعبة هنا وقد تفيد «الحبل» اللسان: ص: ١٣/٣٣٩.
(٣٨) التنبيه لابي عبيد البكري، ص: ١٨ ـ ١٩/ت.
(٣٩) ديوان الحادرة، ص: ٩٤ تح: وتعليق د. ناصر الدين الاسد، دار صادر بيروت ط:٢، ١٩٨٠ (املاء ابي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي عن الاصمعي).
(٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣) الجاحظ، ص: ٢/٨١ ـ ٢/٨٠ ـ ٢/٨١.
(٤٤) الجاحظ، ص: ٣/٥٥.
(٤٥) النقد الادبي الحديث، ص: ٤١٨.
(٤٦) اللسان، ص: ١٢/٥٧٧.
(٤٧) الديوان، ص: ١٥.
(٤٨) انظر الجدول الخاص بهذه التصنيفات في دراستنا المذكورة.
(٤٩) جاء عن الثمام، في تاج العروس تاكيدا لما ذكرنا اعلاه: هو نبت ضعيف. وفي حديث عمر: اغزوا والغزو حلو خضر، قبل ان يصير ثماما ثم رماما ثم حطاما. اي: اغزوا وانتم تنصرون وتوفرون غنائمكم قبل ان يهن ويضعف ويصير كالثمام، ص ٨/٢١٩. (تاج العروس).
(٥٠، ٥١) انظر الجدول الخاص بهذه التصنيفات.
(٥٢) الديوان، ص ٢٦٦.
(٥٣، ٥٤) ديوان النابغة، ص ١٩٠ ، ٤٩.
(٥٥) الحجزات: معاقد الازر. كأنه قال: طيب الذيل او الثوب أو الأردان.
(٥٦) وقد عرفت حضرموت بنعلها المخصرة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين.
(٥٧) البيان والتبيين، ص ٣/٥٦.
(٥٨) معاني الشعر، الاشنانداني، ص: ١٧ واضاف: «والعرب تذم بصغر النعال يريدون بذلك كزازة الخلق، لالطافة الاقدام وأراد انهم جاؤوا مشاة على اقدامهم».
(٥٩) الديوان ، ص ١٨٠.
(٦٠) وفي مثل هذا المعنى شبه اوس بن حجر براية عودها بسفا البهمي. قال:
على فخذيه من براية عودها ... شبيه سفا البهي إذا ما تفتلا
(شعراء النصرانية)، ص ٤٩٦.
(٦١، ٦٢) انظر الجدول في دراستنا المذكورة.
(٦٣) صحيح البخاري: ١٤٩/٧ رقم: ٥٦٤٣، ١٦٨/٩، ١٦٩ وصحيح مسلم: ٢١٦٣/٤ ـ ٢١٦٤ رقم: ٢٨١٠؛ الكبير للطبراني: ١٨٣/١٩ ـ ١٨٥، والمسند لأحمد: ٤٥٤/٣.
(٦٤) انظر الجدول.
(٦٥، ٦٦) ديوان الامام الشافعي، ص ٣٥، ٢٥.
(٦٧، ٦٨) امالي القالي، ص: ٩٢/ذ. ١/١٠.
(٦٩) المزهر، ص ١/٢١١. دراسات في فقه اللغة، د: صبحي الصالح، ص ١١٣.
(٧٠) الديوان، ص ٢٩.
(٧١) المرشد، ص ٢/٨٩٢. ٢/٨٩٣.
(٧٢) الديوان : ١٤٨.
(٧٣) المرشد، ص : ٨٩٢ ـ ٢/٨٩٣.
(٧٤) امالي القالي، ص: ٢٠٨ ـ ٢/٢٠٩، وانظر الديوان: ١٢.
(٧٥) الديوان ، ص : ١٦٥.
(٧٦، ٧٧) العمدة، ص: ١/٣١٦ ـ ١/٣١١.
(٧٨) ابن قتيبة، ص: ٤١٨. المرشد، ص: ٣/٨٩٠ بصيغة: تفوق بدل تروق.
(٧٩) ابن قتيبة، ص : ٤١٨.
(٨٠، ٨١، ٨٢) المرشد، ص: ٢/٨٨، ٢/٨٨٩، ٣/٨٩٠.



التجربة التكنولوجية في القرن العشرين

لا يوجد مجال يبين أهمية المواضيع مثل الارتفاعات في أسواق الطاقة العالمية وفي ردود فعل الحكومات لمواجهة أزمات الطاقة التي ظهرت في عقد السبعينيات، فقد بينت هذه الارتفاعات شيئين هامين: أن البلاد الصناعية الغربية وبلداناً نامية كثيرة أصبحت تعتمد بطريقة خطيرة على منطقة واحدة من العالم - وهي متفجرة سياسياً - لامدادها بجزء كبير من احتياجاتها النفطية، وأن فترة الامدادات والأسعار المستقرة لمصادر الطاقة، التي استمرت ما يقارب من ثلاثين سنة قد انتهت فجأة. وقد كان لردود الفعل الناشئة لمواجهة هذه الارتفاعات مضمون واضح أيضاً: وهو أنه ليس هناك علاجاً تكنولوجياً سواء كان برنامجاً مكثفاً لخلق قوة نووية أو مجهوداً متعجلا لإنتاج وقود صناعي يستطيع ضمان عدم التبعية للنفط المستورد أو توفير المناعة ضد الأسعار المرتفعة للطاقة.

أكد خطر تصدير النفط في عامي (١٩٧٣ - ١٩٧٤م) وارتفاع أسعاره أن هناك تغيرات تكوينية عميقة حدثت في السوق العالمية للنفط خلال عقد السبعينيات. فبين عامي ١٩٥٠ - ١٩٧٣م زاد انتاج العالم من النفط من ٤ بلايين برميل الى ٢٠ بليون برميل في السنة الواحدة، وقفز بذلك معدل النمو السنوي الى ٧٪ وقد صب تدفق هذا النفط الرخيص حيث انخفضت أسعاره بشدة خلال هذه الفترة في أساطيل السيارات المتزايدة، ومراجل المساكن والمصانع والصناعات الكيميائية، ومحطات توليد الكهرباء في العالم الصناعي. ونشأت الأساليب التكنولوجية كثيفة الاستخدام للطاقة في هذه الفترة مما أدى الى تغيير شكل المدن والمصانع والحياة اليومية. ولكن هذه التطورات حملت معها ثمناً مستتراً: وهو التبعية المتزايدة لمنتجي النفط في كل مكان في العالم تقريباً.



بقلم : أ.د. سالم عبدالجبار آل عبدالرحمن
جامعة العلوم والتكنولوجيا – صنعاء

وحتى عام ١٩٧٠م كان إنتاج النفط في الولايات المتحدة، وهي أكثر دول العالم استهلاكا له، يزداد بطريقة منتظمة ليسد احتياجات معظم مطالب الولايات، وكان هذا الانتاج المحلي يستكمل بواردات معظمها من كندا وامريكا اللاتينية.

ولكن في عام ١٩٧٠م وصل انتاج آبار النفط الأمريكية الى الذروة ثم بدأ في التضاؤل بينما استمرت الزيادة على طلب النفط. ونتيجة لذلك اتجهت الولايات المتحدة الى الشرق الأوسط لملء الفجوة الواسعة التي نشأت بين احتياجها للنفط وطاقتها الانتاجية منه. وكانت أوربا واليابان تعتمدان منذ فترة طويلة على الشرق الأوسط لإمدادهما بمعظم احتياجاتهما من النفط حيث كانت اليابان تستورد ما يقارب من ١٠٠٪ من احتياجها من هذه المنطقة.

وقد اتضحت هذه التبعية المتزايدة بطريقة إكثر إيلاما عندما قطع منتجو النفط من العرب إمداداتهم إلى الولايات المتحدة وبعض الدول الأوربية في عام ١٩٧٣م، وعندما قامت منظمة الدول المصدرة للنفط (الأوبيك) برفع الأسعار الى أربعة أضعافها فجأة.

أدت أحداث عام (١٩٧٣ ـ ١٩٧٤م) الى إثارة قدر كبير من القلق في الدول الصناعية وحثت على إجراء مجموعة من الدراسات حول مستقبل النفط في العالم. واتضح أخيرا أن التكنولوجيا الصناعية قد أصبحت تعتمد اعتمادا خطيرا على مصدر للطاقة قد ينفد في يوم ما، وأن أنماط الإنتاج والإستهلاك السائدة خلال الخمسينيات والستينيات لن يمكن الإبقاء عليها في المدى الطويل. ودار وقتها جدل طويل حول المدة الزمنية الباقية حتى يصل الإنتاج العالمي للنفط الى ذروته ثم يبدأ في الانخفاض ، ولكن الآراء اتفقت في أواخر السبعينيات على أن هذا الانكماش سوف يبدأ خلال عشرين عاماً[١].

بعد منتصف السبعينيات تضاءل الطلب على النفط. وانخفض معدل النمو السنوي الذي بلغ ٧٪ في الستينيات الى حوالي ٢٪ سنوياً، كما أن أسعار النفط فشلت حتى في مواكبة التضخم بين عامي (١٩٧٤ ـ ١٩٧٨م). بعدها اختفت أزمة النفط من عناوين الصحف، ولكن الثورة الإيرانية خلقت تذكرة حادة أخرى لعدم استقرار إمدادات العالم من النفط.

وفي عام ١٩٧٩ أصبحت سوق النفط محدودة وهو ما كان متوقعاً حدوثه في التسعينيات، وذلك عندما تقلص الإنتاج الإيراني بدرجة كبيرة. وبالرغم من أن السوق العالمية للنفط لم تفقد إلا أقل من ٣ ملايين برميل يومياً ـ وهي كمية تعادل حوالي ٥٪ فقط من الاستهلاك العالمي ـ إلا أن هذه الخسارة كانت كافية لتحويل تخمة صغيرة الى نقص. فقد



انتهز أعضاء الأوبك هذا النقص ورفعوا الأسعار من ١٣.٧٧ دولار الى ٢٨.٤٥ دولاراً للبرميل الواحد، وذلك بين يناير ١٩٧٩م ويناير ١٩٨٠م. وهكذا أصبحت الطاقة الرخيصة التي كان لها تأثير كبير على التغير التكنولوجي على مدى جيل، من الأحداث الماضية.

وقد أكدت الاضطرابات التي سادت السوق العالمية للنفط في نهاية السبعينيات نقطة هامة للغاية: هي أن الحدود السياسية والطبيعية على حد سواء سوف تحدد كمية وسعر النفط المتدفق في ناقلات النفط العالمية والأنابيب خلال العقدين أو الثلاثة عقود القادمة. وبالرغم من أن التوفر الطبيعي لاحتياطات النفط سوف يتسبب بلا شك في انخفاض انتاجه في بعض البلدان ـ مثل الولايات المتحدة الأمريكية وفنزويلا ورومانيا ـ إلا أنه في بعض البلدان الأخرى سوف يبقى هذا الإنتاج أقل من معدله الأقصى.

وهناك أسباب مهمة لمثل هذه السياسة ، فمن ناحية يعتبر النفط في الأرض أصولا يمكن الاعتماد عليها أكثر من الدولارات المنكمشة في المصارف، ومن ناحية أخرى اقتنع الكثيرون من منتجي النفط أن أهدافهم الاقتصادية والسياسية تتحقق على أكمل وجه إذا ما تم توجيه دخل النفط الى احتياجات التنمية. وكان ذلك هو الهدف الذي صرحت به الحكومة الإيرانية بعد سقوط الشاه، كما صرح الرئيس المكسيكي «لوينز بورتيلو» أن الإنتاج في بلاده « يجب أن يحدد بكميات تتناسب مع مقدرة البلاد على استيعاب الدخل الهائل الناتج عنه» كذلك قامت كل من دولة الكويت والسعودية وإيران والعراق والبحرين بتحديد إنتاجها ليصل الى مستوى منخفض كثيراً عن طاقة الإنتاج القصوى.

وهكذا شهدت السبعينيات تغيرا جذريا وخطيرا في صورة الطاقة في العالم، فقد انتهى ربع قرن من الطلب المتزايد والمستمر على النفط والتوسع المتزايد في إنتاجه لتحل محله سلسلة من الاضطرابات، والزيادات الحادة في الأسعار وعدم الاستقرار المتزايد في الامدادات العالمية للنفط. وبدراسة التوقعات في نهاية عام ١٩٨٠ أكد مركز الولايات المتحدة الأمريكية لتقييم التكنولوجيا أنه «في الغالب سوف تكون هناك زيادة قليلة أو لن تكون هناك زيادة على الإطلاق في انتاج العالم من النفط من المصادر التقليدية»[٢].

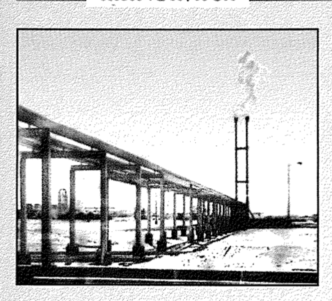
أثرت هذه التطورات تأثيراً مباشراً وغير مباشر على العلوم والتكنولوجيا. وأوضح هذه الآثار هو التأكيد الأليم أن العلماء والمهندسين لا يملكون حلولا تكنولوجية لمشاكل الطاقة في العالم: فقد تداعت

التوقعات التى ظهرت خلال الخمسينيات والستينيات بأن «عصر النفط» سوف يذوب تدريجياً في «عصر الذرة» ، وقد أدت تجارب السبعينيات القاسية الى تداعيها. وبينما تستمر الحكومات في إنفاق المبالغ الطائلة على تطوير التكنولوجيات الرئيسية مثل إنتاج الوقود الصناعي وبناء مفاعلات التجارب النووية، إلا أنه قد أصبح من الواضح أن مثل هذه البرامج وحدها لا يمكنها تقديم الخلاص من أسعار النفط المتصاعدة. فكل تكنولوجيا جديدة تنتج عنها عدة مشاكل اجتماعية وسياسية واقتصادية جديدة.

وقد أثر كل ذلك على المواقف العامة تجاه العلم والتكنولوجيا حيث أصبحت مشاريع الطاقة الواسعة النطاق أكبر ما يرمز الى الآثار الجانبية السلبية للتقدم التكنولوجي، كما صارت بمثابة ميادين قتال رئيسية تصادمت فيها القيم الاجتماعية والبيئية الجديدة مع القيم التكنوقراطية المؤيدة للنمو والتي شكلت المجتمع الصناعي لأجيال عديدة.

ويبين مصير مشروع الرئيس «نيكسون» ذي الدعاية الهائلة «مشروع الاستقلال» مدى استحالة تخليد أنماط الاستهلاك السائدة في فترة ما بعد الحرب عن طريق الاعتماد على برامج تكنولوجية مكثفة لخلق إمدادات جديدة للطاقة.

بدأ هذا المشروع في عام ١٩٧٣م، في أعقاب الخطر النفطي، وكان يهدف الى جعل الولايات المتحدة مستقلة عن النفط المستورد في عام ١٩٨٥م وذلك عن طريق تدعيم القوة النووية، وإنتاج الفحم، والنفط والغاز المحلي. وقد أعلن هذا المشروع بنفس



الطريقة الصاخبة التي أعلن بها الرئيس «كنيدي» عن هدفه بانزال رجل على سطح القمر قبل ذلك بعشر سنوات، ولكن نداء «نيكسون» الى قوة التكنولوجيا الأمريكية كان أقل نجاحا.

وبدلا من أن تصبح أقل اعتمادا على النفط الأجنبي، زادت الولايات المتحدة من وارداتها بشدة خلال معظم سنوات السبعينيات. وفي عام ١٩٧٨م كان النفط المستورد يشكل نصف استهلاك الولايات المتحدة تقريبا، وذلك بالمقارنة بأقل من الثلث حين بدأ «مشروع الاستقلال» فقد عانت الطاقة النووية، وهي قلب هذا المشروع، من مشاكل قاسية حين ازدادت المعارضة العامة لها، وزادت تكاليف البناء، كما ازداد الشك بشأن التخلص من النفايات وبقيت مشكلة الأمن والسلامة بلا حل[٣].

وواجه خلق مصادر الفحم والزيت الحجري مجموعة من العقبات البيئية والإقتصادية. فعلى سبيل المثال زادت التكلفة المتوقعة لإنتاج الوقود الصناعي من الفحم والصخر بطريقة فاقت الزيادة في أسعار النفط، كما قلت المساهمة المتوقعة لهذه

الأنواع من الوقود في سد الاحتياجات المحلية للطاقة بدرجة كبيرة.

وقد تمثل الدرس القاسي الذي لقنه فشل «مشروع الاستقلال» فيما يلي: قد يكون للولايات المتحدة الأمريكية المقدرة التكنولوجية الكافية لتحقيق استقلال الطاقة عن طريق برنامج سريع لخلق امدادات الطاقة، ولكن ممارسة هذه المقدرة غير مقبولة سياسيا وبيئيا واجتماعيا.

وبالنسبة للكثير من العلماء والمهندسين، لم يكن من السهل قبول الصعوبات التي واجهتها محاولات إحياء تكنولوجيات الطاقة التقليدية والنووية، فقد اعتاد العلماء على عالم دقيق من الوقائع والأرقام وتحليلات الخطورة Risk Analysis ولذلك تراهم أكدوا كثيراً على أن أولئك الذين يعارضون القوة النووية ومحطات إنتاج الوقود الصناعي وغيرها من المشاريع التكنولوجية المشابهة، إنما يقفون موقفا معادياً للعلم والتكنوجيا (S &T) .

ومع ذلك فإن الطاقة الشمسية Solar Energy وحفظ الطاقة، وهما موضوعان يحظيان بالمساندة الشعبية من هؤلاء الذين يعارضون المضي في البرامج المكثفة والمركزة لخلق الطاقة، ويحتاجان الى خلق مجموعة من التكنولوجيات الجديدة المتطورة. والواقع أن الطريق الى زيادة فاعلية الطاقة وزيادة الإعتماد على مصادر الطاقة المتجددة Renewable Energy لا يقل في تحديه التكنولوجي عن الطريق الذي يهتم بزيادة إنتاج واستهلاك الطاقة التقليدية[٤].

ونجحت الصناعة بين عامي ١٩٧٥ - ١٩٨٥م في إنفاق حوالي ٨٠ بليون دولار على مصانع تجميع جديدة، واستطاعت أن تحقق عدة متغيرات تكنولوجية تراوحت من خلق حاسب آلي صغير Minicomputer للتحكم في تشغيل المحرك، الى صناعة أجزاء خفيفة للغاية لتكوين الهياكل. وتعتبر مثل هذه الجهود ضرورية في صناعات أخرى، وذلك لتحويل التكنولوجيات التى نشأت في عصر كان سعر برميل النفط فيه دولارين الى تكنولوجيات تلائم عصراً يصل فيه سعر البرميل الى ٥٠ دولاراً.

وكما ورد في دراسة للأكاديمية القومية للعلوم NAtional Academy of Science في الولايات المتحدة تبين أن «مستقبل الطاقة المنخفضة سوف يخلق حوافز قوية للتجديد التكنولوجي.. فكل الأساليب المستخدمة للإقلال من استخدام الطاقة المذكورة في هذه الدراسة تعتمد في كل حالة تقريباً على التكنولوجيا المتطورة».

وتتلخص نتيجة الدراسة التي قامت بها لجنة الأكاديمية في أن الولايات المتحدة تستطيع التمتع بنمو اقتصادي قوي مع الاحتفاظ بنفس مستوى طلبها للطاقة، أو ربما تستطيع، إذا ما توفرت بعض الظروف، أن تقلل من استهلاكها الكلي منها. وسوف تتحقق هذه التوقعات باستخدام اجراءات قوية للمحافظة على الطاقة والعمل على خلق تكنولوجيات جديدة New Technologies تستخدم الطاقة بطريقة أكثر فاعلية.

وتعتمد هذه التوقعات، من نواح كثيرة على اتجاه ظهر في السبعينيات وهو اتجاه يمثل تغيراً

واضحاً لأنماط ما بعد الحرب بالنسبة لاستهلاك الطاقة والنمو الإقتصادي مرتبطين ارتباطاً وثيقاً في البلدان الصناعية. فكل نسبة مئوية تحقق في زيادة الناتج القومي الاجمالي يقابلها نسبة مئوية مماثلة تتحقق في زيادة الطلب على الطاقة. ولكن في أواخر السبعينيات، ازداد استهلاك الطاقة بنسبة تمثل تقريبا نصف نسبة معدل نمو الناتج القومي الاجمالي في بلاد كثيرة، وهكذا لم تكن الروابط بين الطلب على الطاقة والنمو الاقتصادي بنفس القوة التي كانت عليها في فترة ما بعد الحرب.

وقد أثارت أزمات الطاقة التي ظهرت في السبعينيات عدة مشاكل كان العلم والتكنولوجيا يلعبان دوراً رئيسياً فيها، وبقي هناك تضارب في القيم يكمن وراء المناقشات الحادة حول سياسة الطاقة المثارة في العالم الصناعي كله. فاختيارات تكنولوجيا الامداد بالطاقة والقرارات الخاصة بتشجيع حفظ الطاقة، لا تعتبر ببساطة أموراً تكنولوجية، فهي تتضمن مجموعة معقدة من المواضيع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية. ولم تكتف اضطرابات الطاقة في السبعينيات بالاسراع بنا الى عصر جديد للطاقة، بل إنها أيضا قد كشفت عن النطاق الواسع الذي يتم فيه صنع القرارات التكنولوجية.

الهوامش :

(١) للإطلاع على التغيرات التي يمكن أن تطرأ على هيكل الطلب على النفط وكذلك كيفية تطوير صناعة النفط، والى أين تتجه خاصة في منطقة الخليج العربي بالإضافة الى مبادرات الخصخصة في قطاعات الطاقة في منطقة الخليج العربي والخيارات والفرص المتاحة لهذه الصناعة في ظل الأوضاع الدولية أنظر:

«الأوضاع الاستراتيجية في صناعة النفط: الاتجاهات والخيارات» بول ستيفينز ـ أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، اكتوبر ١٩٩٨م.

(٢) للاطلاع على أوضاع السوق النفطية في الفترة الممتدة من تسعينيات القرن العشرين الى نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين بالاضافة الى دراسة الافتراضات المختلفة حول مستقبل أسعار النفط وكذلك احتمالات القدرة الانتاجية وما يعترضها من عوائق. انظر:

«النفط في مطلع القرن الحادي والعشرين: تفاعل بين قوى السوق والسياسة» هوشانج أمير أحمدي ـ أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، يوليو ١٩٩٦م.

(٣) هذا غير قلق الأخطار المحتملة والمفاجئة التي يمكن أن تتسبب من المفاعلات والمحطات النووية، انظر: الحوادث النووية المفاجئة في الولايات المتحدة: المسببات واحتمالات الوقوع» أ.د. سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن ـ مجلة الحرس الوطني، اغسطس ١٩٩٧م. ص ٦٢ ـ ٦٤.

(٤) للمزيد من الاطلاع، انظر: «تكنولوجيا الطاقة الجديدة والمتجددة بين ارهاصات الحاضر وتحديات المستقبل» أ.د. سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن ـ مجلة أخبار النفط والصناعة، العدد ٢٨٩ ـ سبتمبر ١٩٩٤م.

ولاءاً .. ووفاءا .. للصديق ..
والأديب الراحل.. ومن بعض حقه

مسعد سعد الجهنى
- السعودية -

٢٣ جمادى الثانية ١٤٢٢هـ صادف الذكرى التاسعة عشرة لوفاة الشيخ الأديب «عبد القدوس الانصاري» رحمه الله واسكنه فسيح جناته، صاحب ومؤسس مجلة «المنهل» اولى أمهات الصحافة السعودية، وأول مجلة أدبية علمية ثقافية تأسست عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م، ولا يزال عطاؤها مستمراً دون توقف حتى اليوم منذ أكثر من (٦٧) عاماً في خدمة الصحافة والأدب والثقافة، ويرأس تحريرها الآن الابن البار لمؤسسها ـ الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصاري ـ حفظه الله وبارك فيه.

هذه المجلة الأدبية الرائدة، ليست الا بعض صنيع الشيخ «عبد القدوس الانصاري» الذى عرفه القراء أديبا بارعاً وكاتباً فذاً، ولغوياً بليغاً، باحثاً ومؤرخاً وصحفياً ومفكراً، وشاعراً مجيدا. ولقد كان رحمه الله عالماً فقيهاً متبحراً في الفقه والتشريع، قال عنه الدكتور (محمد رجب البيومي) عميد كلية اللغة العربية بالازهر ـ فرع المنصورة ـ سابقا بمجلة المنهل العدد ٤٩٤ المجلد ٥٣ لشهر شعبان ١٤١٢هـ ص ٥٠ «وجدت استاذاً يأخذ بالقضية من وجهها الفقهي، فيعرض آراء الأئمة في طلاق المكره، فذكر من غيب صدره وكأنه يقرأ في كتاب، ان فقهاء السلف قد اختلفوا في طلاق المكره... الخ، والحق ان المام المتحدث بمسألة فقهية جاءت عرضاً في الحديث، يدل على انه فقيه كبير من رجال التشريع! وقد سألت عنه فقيل انه الاديب الكبير الاستاذ عبد القدوس الانصاري صاحب المنهل، فزاد عجبي لأني اقرأ آثار الانصاري واجدها موزعة بين الأدب والتاريخ والآثار: وها هو ذا الآن يدل على تبحره في مسائل التشريع».

حقاً لقد كان الانصاري رحمه الله نمطاً فريداً من الرجال قل ان نجد مثيله، فهو مثال للانسان الشامل المعرفة، تشهد بذلك مؤلفاته العديدة، ومقالاته المتنوعة التي نشرت على مدى نصف قرن تقريباً في مجلة المنهل وغيرها، وهى كتابات ستظل مصدراً بالغ الثراء والتنوير لأجيال وأجيال من قراء العربية المتطلعين للمعرفة في ميادين العلم والفكر والأدب. وما تركه الى جانب مجلته الشهيرة يعتبر مصدرا هاماً ومرجعاً ثبتاً في تاريخ تطور النهضة الأدبية

والثقافية في المملكة، ولقد كان رحمه الله أحد الرواد الأوائل الذين يفخر بهم الوطن.. ويعتز بهم المواطن، وهذا من خلال حجم العطاء والانجاز الذى قدمه لوطنه، وخدمة لمواطنيه.. ذلك العطاء الذى لا ينال منه الزمن، ودوره في تاريخ النهضة الأدبية في المملكة العربية السعودية أجل واعمق من أن يقاس بالحديث العاجل عنه في ذكراه التى مرت كغيرها في كل عام دون تكريمه أو الدعوة الى ذلك تقديراً لدوره البارز وجهوده في اصدار مجلة المنهل أول مجلة سعودية الى جانب من المؤلفات القيمة.. والكتب المجيدة في شتى مناحى فروع العلم والمعرفة.. والادب والتاريخ والآثار والتراث العربي والاسلامي.

وفي ذكراه التي جمعت مناسبتها بعض اصدقائه ومحبيه ممن عايشوه عن قرب ومن لهم به معرفة شخصية، وصلات إنسانية وثقافية وأدبية، واعترافاً ببعض حقه علينا نحن اصدقاؤه، وعارفو فضله ولاءاً.. ووفاءاً فرضته المناسبة فان كاتب هذه السطور وبمحبة خالصة يبادر بالدعوة الى إنشاء «جمعية أصدقاء المنهل» ، الدعوة الى[*] كل أصدقاء ومحبى الشيخ «عبد القدوس الانصاري» اسكنه الله فسيح جناته للانضمام الى عضوية الجمعية، والباب سيبقى مفتوحاً والمجال متاحاً لكل من يريد الاشتراك في عضوية هذه الجمعية التى هي منكم واليكم .

ولا تبتغى الجمعية تتبع دور المغفور له «عبد القدوس» في الثقافة وما قدمه لخدمة العلم والأدب والصحافة، لأن ذلك يحتاج الى عشرات المجلدات، ولكننا نريد أن نقدم للقارىء العربى لمحات انسانية، وذكريات أدبية، وتوجيهات ثقافية، من خلال رعاية الشيخ «الانصاري» الأبوية في تشجيع المواهب الشابة وتذليل كل الصعوبات التى واجهتهم فى بداياتهم الأدبية بروح الحنان الصادق الموجه باللطف والسماحة والتواضع، وهي جوانب لا يعرفها إلا الذين عايشوها عن قرب وبذلك نضىء للقارئ بعض جوانب هذه الشخصية الفريدة في تعاملها.

كما ان من اهم واجبات «جمعية اصدقاء المنهل» الدعوة الى تكريم الاديب الراحل وتكريم الرائد «عبد القدوس الانصاري» من ولاة الأمر، انما يعتبر تكريماً لكل مواطن في هذه الدولة العزيزة التى تحرص على نشر العلم والأدب والثقافة، وتكريم العلماء والأدباء والمبدعين في كل مجال، وترعى المبرزين منهم في كل عام.

ومن هذا المنطلق وفي هذه المناسبة تتشرف «جمعية أصدقاء المنهل» أن تتقدم باقتراح ترفعه الى مقام صاحب السمو الملكى الامير سلطان بن فهد بن عبد العزيز ، الرئيس العام لرعاية الشباب بصدد طلب تكريم «عبد القدوس الانصاري» رائدا من رواد الأدب والثقافة والعلوم والصحافة في المملكة. وذلك من خلال اعادة طبع مؤلفاته القديمة والعمل على طبع المؤلفات التى لم تطبع له - وذلك لتصدر في ذكرى وفاته من كل عام للمتميزين في الآداب والثقافة والتاريخ والعلوم والآثار. وللمكانة العلمية والادبية والثقافية التي تعيشها المملكة بقيادة مولانا خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني ودعم ورعاية سموكم المحبوب.

(*) عبر مجلة المنهل.


غلاف العدد الأول من المنهل

خاض غمار الأدب محاربا على كل الجبهات

حاتم صادق
- جدة -

مرت منذ أيام الذكرى التاسعة عشرة لوفاة الاديب السعودي الاستاذ عبد القدوس الانصاري أحد رواد حركة النهضة الثقافية والفكرية المعاصرة في المملكة العربية السعودية، وأحد الذين تركوا بصمات واضحة في مختلف المجالات الادبية والثقافية، بما يؤكد سعة علمه ومعرفته وآفاقه، وتعدد اشكال ابداعه، وتنوع اهتماماته.

الاستاذ عبد القدوس الانصاري مفكر، اديب، باحث، ناقد، شاعر، مؤرخ، كاتب، لغوي، صحفي، ولا غرو ان تجتمع كل هذه الصفات في شخص واحد، فالانصاري - رحمه الله - قد يكون لديه الاكثر فيما لو تعمقنا في الكشف عن جوانب الابداع لديه، وهو في كل ذلك مجدد تجنح نفسه الى التحرر من القيود القديمة والانطلاق في مدى الابداع الرحب، معتمدا على ذخيرة لا محدودة من الثقافة المتنوعة الواسعة، والبحث الذي لا يتوقف في كل مجال يوصل الى معرفة جديدة أو علم جديد.

المجالات التي كتب فيها عبد القدوس الانصاري كثيرة ومتعددة شملت الدراسات والبحوث والمقالات والكتب والمؤلفات في شتى صنوف المعرفة وفروع الادب والتاريخ والعلم، الى

جانب الندوات والمحاضرات واللقاءات الفكرية والثقافية والحلقات الاذاعية التي اشترك فيها وكان له في كل منها ذلك الحضور القوي المستند الى اسلوب مدهش في ابداء الرأي والدفاع عما يتضمنه.

صدر له خلال الفترة التي امتدت ما بين عامي ١٣٥٢ و ١٤٠٣هـ عدد كبير من الكتب والمؤلفات الموسوعية منها «اصلاحات في لغة الكتابة والأدب»، «من آثار المدينة المنورة» ، «أمكنة بالحجاز وتهامة» ، «بين التاريخ والآثار» ، «الملك عبد العزيز في مرآة الشعر» ، «التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جدة» ، «موسوعة تاريخ جدة» ، رواية «التوأمان» ، ديوان شعر «الانصاريات» ، «مع ابن جبير في رحلته» ، بالاضافة الى العدد الكبير من المقالات والبحوث والدراسات التي نشرها في الصحف المحلية والعربية، وفي مجلة «المنهل» التي اصدرها في جدة في عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م كمجلة متخصصة في الآداب والعلوم والثقافة، ومازالت تصدر حتى اليوم بالزخم نفسه الذي كانت عليه من بدايات صدورها، وكان له في كل ذلك السبق والريادة.

والاهتمام الذي وجهه الاستاذ الانصاري الى تاريخ مدينة جدة لم يسبقه اليه احد، فقد كان معظم ما يكتب عن المنطقة الغربية في المملكة العربية السعودية أو الحجاز يتناول تاريخ المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة بصورة رئيسة، ووقوع مدينة جدة بينهما كان يقلل في الغالب من الاهتمام بها، الا أن الانصاري اراد ان يعطي لهذه المدينة الجميلة حقها من الاهتمام والبحث في تاريخها وحياتها، وهي ذات التاريخ العريق، والتي كانت ومنذ الازل بوابة الحرمين الشريفين والميناء التجاري للمملكة الاكثر نشاطا وجمالا على شواطىء البحر الاحمر.

تميز الانصاري بحسه النقدي المدهش الذي يظهر في معظم مؤلفاته ويقوم على الوضوح في الرأي والتدقيق في كل الجوانب التي تهم القارىء في العمل أو النص، ليكون النقد بناء وغير متجن، كما يلتزم في كل ما كتبه بالموضوعية والمنهجية التي توصل الى ان تكون الحقيقة بينه امام الجميع، وكل استنتاج يتوصل اليه في البحث والدراسة والكتابة بصورة عامة لابد ان يدعمه بدليل وشاهد بما لا يرقى اليه الشك، وهذه ميزة قلما يخلو منها كتاب لكبار الكتاب في الدراسات والبحوث التي تزدحم بها ارفف المكتبات والمراكز العلمية، وتعتبر مرجعا للدارسين والباحثين.

في دراسة موسعة للدكتور محمد الصادق عفيفي الاستاذ في جامعة الملك فهد في الظهران عن الاستاذ الانصاري نشرتها مجلة «المنهل» تناول فيها شخصيته كمؤرخ قال: «عبد القدوس الانصاري مفكر متعدد الجوانب، وبمعنى ادق موسوعي النظرة، فياض الفكرة، سيال القلم، فهو قصصي اذا اردت القصة، بل له فضل الريادة، وهو شاعر ان اردت الشعر، وهو من طلائع النخبة التي دعت الى التجديد، وهو محقق مدقق ان اردت التحقيق والتوثيق، وهو صحافي ان اردت الصحافة، وهو صاحب دراسات وتعقيبات ان اردت العرض والتعليق، وهو صاحب فقه ان أردت التشريع والاحكام، وهو لغوي ضليع إن أردت اللغة والمحاجة، وهو عاشق قلم ان اردت المقالة والانشاء الادبي، وهو رحالة وصاحب سفر ان اردت السفر في بطون الكتب والرحلة في ثنايا الاعمال الادبية، وهو مؤرخ ان اردت التاريخ، ومن هذا نرى انه متشعب الثقافة، متعدد الطعوم، وله في كل ذلك نتاج وآثار غزيرة».

وما قاله الدكتور عفيفي لم يكن مجرد كلام يقال في المناسبات، بل اثبته واكد صحته بشواهد من اعمال الانصاري تناول فيها جميع المجالات التي ذكرها في المقدمة.

وربما كان للانتماء الوطني والعربي والاحساس بالظلم المتولد عن الاستعمار التركي اثر في ان تتحدد مواقف الانصاري باستمرار في اتجاه الحرية والدفاع عنها، ورفض العبودية بكل اشكالها، ومهما كانت الاسماء التى تختفي تحتها، أو الازياء التي ترتديها، يقول في بعض كتاباته: «الولاة الاتراك يصيدون دائما في الماء العكر، ويزيدون النار ضراما، والاحقاد اشتعالا، ليتمكنوا بهذه التفرقة بين ابناء العم الواحد من السيطرة عليهم جميعا، خاصة وانهم يشعرون

في قرارة اعماقهم بأن هذا هو الطريق الوحيد لبقائهم وتسنمهم لمنصب الولاية» وفي هذا الكلام رفض وتحذير مما يبيته المستعمرون ردده الانصاري اكثر من مرة في اكثر من موقع، اما الانتماء الوطني فقد كان كبيرا وغير محدود عنده، وفي كتاباته الكثير من الدلائل عليه، ثم ان اعجابه بشخصية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود موحد الجزيرة العربية ومؤسس المملكة العربية السعودية كان من العوامل التي اعطت لهذا الانتماء معنى ذا قيمة كبرى من خلال معايشة الانجازات الكبيرة التي تحققت في عهده وعهد ابنائه الذين تولوا حكم المملكة من بعده.

أما شاعرية الانصاري فكانت تستند الى قاعدة لغوية متينة واساس فكري قوي وموهبة متوقدة، لكنه بالرغم من ذلك لم يكن كثير النظم، وان كان طرق في قصائده التي ضمها ديوانه «الانصاريات» عدة جوانب اظهرت براعته في التعامل مع اللغة الشعرية سواء بالفاظ منتقاة بدقة، أو بتركيبات مصنوعة بمعرفة، أو بصور جميلة مركزة، وتميزت بأسلوبه الخاص الذي تظهر من خلاله امكاناته العديدة والمتنوعة، وكانت في شعره ظواهر فنية بارزة اشار اليها الدكتور عبد الله باقازي في كتابه «عبد القدوس الانصاري شاعرا» هي «الظاهرة اللغوية، ظاهرة التكرار، ظاهرة التأثر، ظاهرة الحيوان والطير وكائنات اخرى، ظاهرة الطبيعة، ظاهرة البيئة، الظاهرة القصصية، الظاهرة الجمالية، الظاهرة الذاتية»، ومعظم هذه الظواهر كما اشار المؤلف تكاد تتجسد في قصيدته الشهيرة «وحي العقيق يوم انهماره» ومنها هذه الابيات:

هذا العقيق يبين في مطويه
حكما تمازج حزنها بحبوره
هذا العقيق يدق في ايحائه
ويعير ذاك الوحي سمع خبيره
انظره في اشراقه متقلدا
درر الجمال تضيء سود صخوره
انظره يوحي للشجي مباهجا
ويزيح عنه شجونه بخريره
ويعيد للجسم النضيب رواءه
ويزيح عن عطفيه عبء فتوره

ولابد من الاشارة الى ان ذاتية الشعر عند الانصاري تأكيد للرومانسية الكامنة فيه، وهي متعلقة بصورة مباشرة بنظرته الى العوالم الجمالية من حوله.

رائد وريادة

عبد القدوس الأنصـ

سعيد كامل معوض
- مصـــر -

وتمر الأيام ..

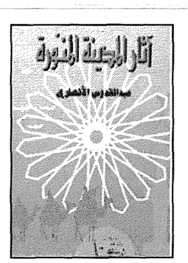
تنسى من تنساه كأنه لم تهبط قدماه أرض الحياة! ومن الناس أناس لا تستطيع الأيام لهم نسياناً على مر الأيام!

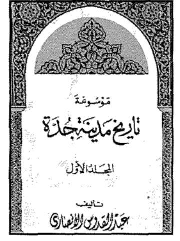
والدنيا محطات: وبين الميلاد والموت رحلة قد يستطيع الإنسان فيها كتابة اسمه بحروف من نور على طول الطريق تعتز بها ذاكرة الأيام وتتيه وتفخر! وقد تجتاح الإنسان العواصف فيقف عاجزاً لا حول له ولا قوة كريشة تتقاذفها الرياح، وقد تحتوى المحن أحدنا فلا يستطيع فكاكاً من أغلال الكآبة والإحباط.. واليتم عاصفة عاتية ومحنة قاسية وقليلون هم الذين يخرجون باليتم من دائرة الإنكسار الى دائرة الانتصار!

وقد كان عبد القدوس الأنصاري يتيماً! لكنه استطاع بإرادته - التى كسرت إرادة اليتم - أن يحفر اسمه بماء الذهب في سجل الخلود.

وكان الأنصاري خالي الوفاض!

لكنه ملأ الأرجاء فكراً وفناً وقهر بعزمه ذلك العوز.. وكم عاش الرجل يطمح الى أن تكون رحلته الحياتية - طالت أو قصرت - رحلة للعطاء الموصول الخالص لوجه الله تعالى، وقد استطاع أن يحقق طموحه بمؤلفاته المتميزة في العلم والأدب. وكم عاش يحلم بنافذة يفتحها لكل مبدع موهوب وكل رائد خلاق، وقد استطاع أن







ـاري .. يتيم أوردنا المنهل

يحقق حلمه بإصدار مجلة «المنهل» التى نجحت بين عشية وضحاها أن تكون منبراً لكل المبدعين والمفكرين والعلماء، وسرعان ما استقطبت «المنهل» جل المثقفين من الساسة والقراء والمتخصصين، فصارت بحق قبلة القاصدين ومنهل الواردين، وكان لزاماً على «المنهل» بعد نجاحها أن توسع قاعدتها وتطرق مزيداً من المسالك والصروح، وبالفعل خرجت «المنهل» من نطاقها المحدود كمجرد مجلة ثقافية إلى نطاق لا محدود جعلها دارة ضخمة ومؤسسة شامخة.

ومن المثير للعجب ان الشيخ الأنصارى عندما أنشأ منهله لم يكن يمتلك من حطام الدنيا سوى ٤٨ ريالا لا غير!!، وهو مبلغ كما نرى لا يقدم ولا يؤخر، لكن الرجل بعزيمته الفولاذية وإرادته الماضية وطموحه اللا محدود تغلب على ضيق ذات اليد ووضع نصب عينيه رسالته السامية فبذل جهده وأفنى عمره حتى حققها.

ولقد نجحت «المنهل» على طول مشوارها أن تكون داراً للعقول والقلوب على حد سواء، ونجح الشيخ الأنصارى بقلمه الساحر وعلمه الغزير وفكره المستنير أن يكون مثلا أعلى وقدوة تحتذى.

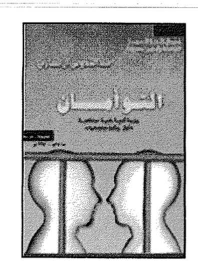
وتمر الأيام ..

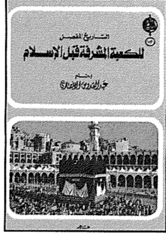
فتتجدد الذكرى ونشم عبير الخلود ونردد مع الشاعر قوله:

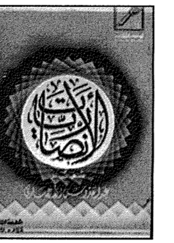
الناس صنفان موتى في حياتهم

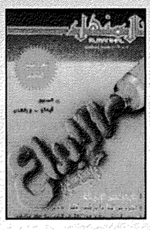
وأخرون ببطن الأرض أحياء.

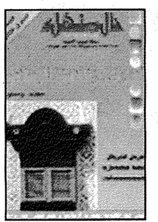
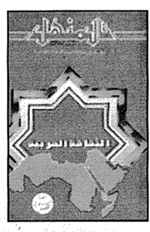
رحم الله الأنصاري وأسكنه فسيح جناته جزاء ما علمنا وبعدد الذين وردوا منهله العذب.









اسم العدد	تاريخ صدوره
الفن	شعبان ورمضان ١٤٠٤هـ
الأمن والأمان	شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ
الهجرة، اللغة، التراث، الحضارة	ربيع الأول والثاني ١٤٠٦هـ
الثقافة العربية	شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ
الدعوة والدعاة	ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٧هـ
الأثر والآثار	رمضان وشوال ١٤٠٧هـ
المبادىء البناءة والدعاوى الهدامة	ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٨هـ
العادات والتقاليد	رمضان وشوال ١٤٠٨هـ
مناهل الاشعاع الاسلامي	ربيع الثاني وجمادى الاولى ١٤٠٩هـ
الاستشراق والمستشرقون	رمضان وشوال ١٤٠٩هـ
مكة المكرمة .. المقام والارتحال	ربيع الأول والثاني ١٤١٠هـ
الابداع والمبدعون	شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ
الحديث النبوي والقدسي.. رواية ودرايه	ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٤١١هـ
القرآن الكريم.. الهدى والاعجاز	ربيع الأول والثاني ١٤١٢هـ
الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري	شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ
المدينة المنورة.. دار الهجرة ومأزِر الايمان	ربيع الأول والثاني ١٤١٣هـ
اللغة العربية .. آفاق مستقبلية	شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ
القدس .. عروس المدائن	ربيع الاول والثاني ١٤١٤هـ
العمارة والمدينة الاسلامية.. عطاء ومدلول	جماد أول وجماد ثان ١٤١٥هـ
النقد - والنقاد	شوال والقعده ١٤١٦هـ
الجغرافية والجغرافيون	شوال والقعده ١٤١٧هـ
المملكة العربية السعودية فى مرآة المنهل	شوال والقعدة ١٤١٩هـ
الاسرة والمجتمع	شوال والقعدة ١٤٢٠هـ
التراث المعماري في الحضارة الإسلامية	شوال والقعدة ١٤٢١هـ

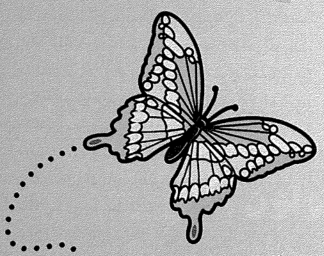
الاصدارات السنوية الخاصة

« متوفرة لمن يرغب فى اقتنائها » - الاتصال : ٦٤٣٢١٢٤ العلاقات العامة (جُدة)

الصحابة محدثون وفقهاء خلال كتابات ابن حزم

حوار مع لينا كيلاني

الغربيون يستلون من الإسلام خلاصة فكره



لكن

هن

مجلة شعرية
ذات أداء متخصص
تخاطب عقل المرأة
ووجدانها

١٣٢



قول على قول:

الغربيون يستلون من الاسلام خلاصة فكره ويضعون على هامته «قبعة غربية»

في السجال الذي دار بيني وبين الأستاذ علي العميم حول الأدب الإسلامي الذي نشرته مجلة المجلة في العام الماضي، كتب الأستاذ علي العميم مقالة بعنوان «الإسلاميون يستلون من الآخرين خلاصة فكرهم ويضعون على هاماته عمامة إسلامية» رداً على مقالتي، وعندما رددت على هذه المقالة لم تنشرها مجلة المجلة، رغم انها التزمت بنشر ردودي السابقة بأمانة شديدة، ونظراً لخطورة الاتهامات التي وجهها الأستاذ علي العميم في تلك المقالة الى الصحابي الجليل حسان بن ثابت رضي الله عنه، والى المفكرين الاسلاميين، والى رابطة الأدب الإسلامي، رأيت ضرورة نشره في مجلة المنهل، باعتبارها منبراً إسلامياً حراً لا يصادر الحقيقة.

عندما قرأت مقال الأستاذ علي العميم الذي نشر في مجلة «المجلة» في عددها رقم ١٠٥٢ الصادر في ٤ - ١٠ محرم سنة ١٤٢١هـ الموافق ٩ - ١٥ ابريل عام ٢٠٠٠م رداً منه على ردي على ما كتبه في سجال حول الأدب الإسلامي استوقفني الآتي:

أولا: عنوان المقال «الإسلاميون يستلون من الآخرين خلاصة فكرهم ويضعون على هاماته عمامة إسلامية».

وهذا العنوان له دلالات جد خطيرة منها: **سلب كل ما هو إسلامي من الإبداع والابتكار ونسبته الى الآخرين**، وكأن الإسلام قد أفلس من العطاء، وللأسف الشديد نجد هذا المفهوم هو الغالب لدى غالبية شباب الإسلام الذين منهم الأستاذ على



سهيلة زين العابدين حمّاد

رئيسة لجنة الأديبات برابطة الأدب الإسلامي العالمية - الرياض

العميم، وهذا ما سعى الى تحقيقه **المستشرقون الذين حرصوا على التشكيك في أصالة الفكر الإسلامي ومصادره وارجاعها الى أصول أجنبية،** فلقد أرجعوا الإسلام الى أصول يهودية ونصرانية وفارسية وبوذية ومجوسية، وأرجعوا الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي الى أصول يهودية ورومانية، كما شكك المستشرقون في أصالة الحضارة الإسلامية وإنكارهم لفضلها على الحضارة الغربية، فقد اتجه بعض المستشرقين إلى إثارة الشبهات حول المنجزات الحضارية الإسلامية. ولأن هذه المنجزات حقيقة لا يمكن إنكارها لم يجد بعض المستشرقين الحاقدين على الإسلام والمسلمين سوى التشكيك في أصالة الحضارة الإسلامية ورد منجزاتها الى مصادر أجنبية، **وللتفرقة بين المسلمين يردون معظم هذه المنجزات الى المسلمين غير العرب** بهدف التقليل من شأن الدور العربي في بناء الحضارة الإسلامية من ناحية وإثارة الصراع الحضاري والنزعات القومية بين المسلمين، ولهذا السبب جزّأ المستشرقون الأدب الإسلامي هذه التجزئة الى أدب إسلامي عربي، وأدب إسلامي إيراني، وأدب إسلامي تركي .. الخ.

وبما أن الأدب «الجاهلي» أدب عربي محض أثاروا الشكوك حول صحته من خلال «نظرية الانتحال» التي طورها عدد من المستشرقين من أهمهم تيودور نولدكه في بحث له بعنوان «من تاريخ نقد الشعر العربي القديم» وزعم أن الشعراء الإسلاميين وضعوا قصائدهم على لسان الشعراء الجاهليين لينالوا القبول وليضمنوا لقصائدهم الذيوع والانتشار، ومن مزاعم نولدكه أن المعلقات السبع ما هي إلا خرافة وليس لها وجود حقيقي، والتسمية تسمية متأخرة، ويثير الشك في القصائد ذاتها، وفي أسمائها وشعرائها.

وقد سار على نهج نولدكة ونظريته عدد من المستشرقين مثل المستشرق «الوارد» في بحثه «ملاحظات عن صحة القصائد العربية القديمة» كما سار على ذات النهج المستشرق اليهودي البريطاني ديفيد صموئيل مرجليوث الذي طوّر نظرية الانتحال في كتابه «أصول الشعر العربي» لوضع القرآن الكريم موضع مقارنة، والقول بخلق القرآن الكريم وقد أثرت نظرية الانتحال كما طورها مرجليوث على عدد من المتخصصين في الأدب العربي القديم. **وينتمي معظمهم الى المدرسة العربية النصرانية** التي يتزعمها عدد من علماء النصارى العرب وأدبائهم مثل جورجي زيدان، ولويس شيخو، وأنيس فريحة، وفيليب حتى، ولويس عوض وغيرهم، كما تبناها بعض علماء الأدب من

**** يقولون الأدب إبداع .. والابداع لا يعرف الحدود والسدود .. أي منطق هذا..؟!**

العرب المسلمين، ومن أبرزهم الدكتور طه حسين الذي اهتم بتطبيق النظرية وشرحها في كتابه المعروف «في الشعر الجاهلي» الذي صدر عام ١٩٢٦م، بل يرى البعض أنه ترجم كتاب مرجليوث ونسبه الى نفسه. وقد وجد هذا الكتاب معارضة شديدة من الأزهر، وعدل الدكتور طه حسين في كتابه عن مقولة خلق القرآن الكريم، وللأسف الشديد قرر هذا الكتاب في الجامعات العربية، فنحن للأسف الشديد لقد ساعدنا المستشرقين على تحقيق ما يهدفون إليه فجعلنا واضعي المناهج الدراسية ممن تتلمذوا على أيدي المستشرقين وقررنا في الجامعات كتب من تأثروا بفكرهم أو تتلمذوا على أيديهم أولئك الذين شككوا في أصالة الفكر الإسلامي، ونسبوا إنجازات المسلمين الى الغربيين.

والمسلمون هم أصحاب السبق في المنهج العلمي، وفي التفكير المنطقي السليم.. ونذكر هنا نماذج من سبق المسلمين:

١ ـ **المنهج العلمي** فقد سبق الحسن بن الهيثم فرانسيس بيكون في استخدامه وليس كما يدعي الغرب، وقد استقى ابن الهيثم هذا المنهج من القرآن الكريم فمعروف أن الإغريق قد بنوا حضارتهم وفكرهم على الجدل والسفسطة والتلاعب بالألفاظ، وكانت هذه سمة العلم في العالم آنذاك، إذ كان يفهم العلم من خلال معان كيفية ذات أصل فلسفي بحت، وجاء الإسلام وحرَّم الجدل والفلسفة والتلاعب بالألفاظ موجهاً العقل البشري الى استخدام منهج علمي متكامل في البحث في الكون، إذ دعا الى النظرة العلمية البحتة الى الأشياء، وأرشد الى المنهج الصحيح في المعرفة فقال تعالى **{قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}** (البقرة/ ١٧٠) وقال تعالى **{قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تَخْرُصُون}** (الأنعام/ ١٤٨)، وقد حثنا الله عز وجل على ألا نخطو خطوة إلا بالعلم وقد وهب الله تعالى الانسان أدوات البحث والنظر يقول تعالى: **{ولا تقْفُ ما ليس لك به علم إنَّ السَّمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا}** (الإسراء/ ٣٦).

ورغم هذه الحقائق القرآنية التي سار على نهجها علماؤنا الأوائل، إلا أننا نجد معظم الغربيين يزعمون أنهم أصحاب المنهج العلمي، مع أن جوزيف هيل في كتابه «تاريخ الحضارة الغربية» قد أقر أن الطريقة التي اتبعها ابن الهيثم في بحوثه وكشوفه هي المنهج العلمي، وهو بهذا يكون قد سبق بيكون الذي ينسب إليه هذا المنهج، إلا أننا نجد وللأسف من الدارسين المسلمين والعرب من يؤكد هذا الزعم الباطل للمستشرقين مثل: الدكتورة سيدة كاشف في كتابها «مناهج بحث» المقرر في معظم الجامعات العربية، والذي يؤكد مزاعم أخرى للمستشرقين فيها تجن كبير على الإسلام.

**** ما قيمة الأدب إن لم يحمل الناس على الفضيلة والطهر..؟!**

**** بعض أبناء جلدتنا أعادوا صياغة أباطيل المستشرقين.. وأعادوا تسويقها ثانية.**



٢ ـ نجد الغرب نسب الى إسحاق نيوتن اكتشاف الجاذبية الأرضية، وللأسف درّس لنا هذا، مع أن ابن سيناء سبق إسحاق نيوتن بسبعة قرون في معرفة قانون الجاذبية، إذ أدرك أن الأجسام حينما تهبط فإنها تتجه نحو المركز أي نحو مركز الأرض، ثم أدرك أن الأجسام المختلفة تتجاذب على نسبة ما بينها من الأقدار «الكبر والصغر» وعلى نسبة ما بينها من الأبعاد، إن الجسم الأصغر ينجذب نحو الجسم الأكبر.

٣ ـ إن مفهوم الحرية والعدل والمساواة، والديمقراطية وحقوق الإنسان التي يرددها الغرب قد أخذها من الإسلام، وحركة الإصلاح الديني التي شهدتها أوربا متأثرة بالإسلام، فظهور المذهب الإصلاحي البروتستاني المعارض للكاثوليكية يعكس آثاراً إسلامية واضحة في بنود الإصلاح الديني، ويضاف الى هذا كله نشأت حركة نقد «الكتاب المقدس» مستمدة الكثير من نظرياتها في الكتب اليهودية والنصرانية من النقد القرآني والنقد الإسلامي لهذه الكتب في أعمال المسلمين التى ترجمها المستشرقون منذ زمن بعيد الى اللغة اللاتينية واللغات الأوربية الحديثة، ولكن الغربيين لا يقرون بهذا.

وبعد هذا كله فلا نستبعد أن يأتي شاب مثل الأستاذ علي العميم، ويكتب مقالا بهذا العنوان «الإسلاميون يستلون من الآخرين خلاصات فكرهم ويضعون على هاماتها عمامة إسلامية» فرغم أنني بيَّنتُ في مقالي السابق أن الالتزام في الأدب الإسلامي مأخوذ من قوله تعالى {يثبِّتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة}، نجد الأستاذ علي العميم يأتي ويؤكد أن الالتزام في الأدب الاسلامي منقول عن فكرة الالتزام لدى الوجوديين والاشتراكيين؛ إذ يقول «فالأدب الإسلامي الذي يقوم على فكرة الالتزام هو كما قلت في مقالي السابق منقول عن فكرة الالتزام لدى الوجوديين والاشتراكيين» وقبل قوله هذا نجده يقول بعد استطراد طويل عن تاريخ الأخوان المسلمين «فالحركة الاسلامية في مصر والقارة الهندية وسورية (الحركات الأساسية والأم) تحمل رؤية جديدة للإسلام تخالف ما هو سائد لدى المؤسسات الإسلامية التقليدية، وهمها الأساسي هو هم سياسي، وعندما أقول إنها تحمل رؤية ايدولوجية جديدة للإسلام يعني هذا أنها تحمل رؤية تاريخية وضعية في العديد من قسماتها، وهذه الرؤية ليست بالضرورة منتزعة من صميم المعتقد الإسلامي الأساسي، وإنما هي متأثرة برؤية تيارات أيدولوجية ثقافية معاصرة تستل الحركة الإسلامية خلاصات منها ثم تؤسلمها وتضع على هاماتها عمامة إسلامية، وعند غربلتها ونفض بطانتها الإنشائية يستبين لنا أنها ليست بالضرورة تتطابق مع المأثور أو المنقول الإسلامي».

كما قلت فإن التأثير الاستشراقي واضح على أحكام الأستاذ علي العميم، فها هو نص قرآني واضح أمامه يصنف الكلمة الى صنفين كلمة طيبة وكلمة خبيثة، ويصف أصحاب الكلمة الطيبة بالمؤمنين الذين يثبتهم الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة ويصف أصحاب الكلمة الخبيثة بالظالمين الذين يضلهم الله لظلمهم، فيقول إن هذه الآيات «لا تتحدث عن قضية كمالية أو ترفيه كالتنظير للأدب، وإنما تتحدث عن قضية وجودية، وهي قضية الإيمان والشرك، فـ (الكلمة الطيبة) قيل إن معناها إيمان المؤمن، وقال آخرون بل عنى بها المؤمن نفسه، والشجرة الطيبة قيل إنها النخلة، وقال آخرون: إنها شجرة في الجنة، والكلمة الخبيثة، هي الشرك بالله، والشجرة الخبيثة قال اكثر أهل التأويل إنها الحنظل

وقال آخرون: إنها لم تخلق على الأرض. أما قوله تعالى {**يثبتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة**} فالمقصود به يحقق الله سبحانه وتعالى أعمال المؤمنين وإيمانهم بالقول الحق، وهو في ما قيل شهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله).

وما ذكره الأستاذ علي العميم يمثل خلاصة ما ورد في تفسير ابن كثير لهذه الآيات، وهذا لا يخرج عن نطاق موضوعنا، لأن الأدب ما هو إلا فن الكلمة، **والأدب الإسلامي هو أدب الكلمة الطيبة** الذي يعبر عن الإيمان بالله، وبما جاء في كتابه الكريم عن أسمائه وصفاته ونظرته للإنسان والحياة والكون ـ فالتصور الإسلامي لله وللإنسان والكون والحياة هو ما جاء في القرآن الكريم عنهم ـ والتي شبهها الله سبحانه بالشجرة الطيبة وقد تكون هذه الشجرة هي النخلة التي تطرح ثماراً خيرة، بل كل جزء فيها فيه منافع للناس، والكلمة الخبيثة هي الشرك بالله كقول صلاح عبد الصبور «الشيطان خالقنا ليجرح قدرة الله العظيم» أليس في هذا القول شرك بالله؟ ألا يعد مثل هذا القول كلاماً خبيثا؟ وهل من الضروري أن يذكر المفسرون في تفسيرهم لهذه الآيات المقصود بها الأدب حتى يؤمن الأستاذ على العميم إنه يقصد بها من ضمن مقاصدها الأدب؟ إنها تخص الكلمة أيًّا كان نوعها سواء كانت شعراً أم نثراً، أم كلاماً عادياً، فالكلمة الطيبة صدقة، وماذا يقول الأستاذ العميم عن الآيات التي نزلت في الشعراء، فهي تحدد ذات الموقف من الشعراء المؤمنين والشعراء الغاوين، والشعر فن من فنون الأدب؟ ثم من قال إن الأدب مسألة كمالية أو ترفيهية؟ **إن الأدب الإسلامي رسالة سامية تهدف إلى تهذيب النفس الإنسانية** والرقي بها الى مراتب عليا من الإيمان بالله وعدم الشرك به والى الطهر والعفاف، فهو وسيلة من وسائل الإصلاح، ولذا خص الله عز وجل الشعراء بسورة سميت باسمهم أوضح فيها موقفه من الشعر الصالح والشعر الطالح، والشعر أليس أدباً؟.

مما ينبغي أن يدركه شبابنا أن القرآن الكريم المنبع الأساسي الذي تستقي منه أسس وقواعد ومناهج العلوم كما هو كتاب شريعة وحياة، فكما استقينا منه تعريف الأدب الإسلامي، استقينا منه موقفه من الشعر والشعراء، واستقينا منه خصائص القصة، وأسسها وقواعدها، ورسائل جامعية كثيرة بحثت في مجال القصة في القرآن الكريم.

وفي التاريخ استقينا منهج التفسير الإسلامي للتاريخ في الكتابة التاريخية من نظرة الإسلام لله عز وجل ومن نظرته للإنسان والكون والحياة، ومن نظرته للزمان والأحداث، فلقد عبَّر القرآن الكريم عن حركة التاريخ (بالسنن) يقول تعالى (سنة الله في الذين خَلَوْا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدورا)، كما تستوقف المؤرخين هذه الآية التي تضع لهم قاعدة تحري الخبر {**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**} بينما يجد علماء الجغرافية من الآيات التي تستوقفهم قوله تعالى: {**والأرض وما دحاها**} ليستدلوا بها على كروية الأرض، أما علماء الإدارة فتستوقفهم الآية التالية {**وأنْ ليس للإنسان إلا ما سعى * وأنَّ سعيه سوف يُرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى**} (النجم/ ٣٩ ـ ٤١).

فهذه الآيات الثلاث تتضمن توجيهات ثلاث تعتبر منطلقاً للفكر الإداري كما يقول الدكتور حمدي أمين عبد الهادي في كتابه (الإدارة العامة العربية المعاصرة سبقت المفكرين الغربيين الإداريين)، ولا يتسع المجال هنا لذكر هذه التوجيهات الثلاث. وكذا الحال بالنسبة لبقية العلوم، والإعجاز العلمي للقرآن الكريم يحتاج الى مجلدات، ولكن مع هذا نجد



الأستاذ علي العميم مُصراً على استبعاد القرآن الكريم من مفهوم الأدب الإسلامي، والالتزام في هذا الأدب ليثبت فكرة سابقة مبيتة، وهي القول إنَّ الالتزام في الأدب الإسلامي منقول عن الوجوديين والاشتراكيين، وكما يبدو أن الأستاذ علي العميم لم يتأثر بفكر المستشرقين فقط، وإنما تأثر أيضاً بمناهجهم فلقد سار على منهجهم وهو التبييت لفكرة مسبقة، ولي الأحداث والروايات لياً لتؤيد ما يريدون إثباته مع تجاهل كل الحقائق والأدلة والبراهين التي تدحض تلك الفكرة، فلقد تجاهل الأستاذ علي العميم الآية القرآنية التي استقي منها الالتزام في الأدب الإسلامي، والتي تثبت مشروعية هذا الالتزام وأصالته لأنه يريد أن يثبت أنه مأخوذ من الاشتراكيين والوجوديين.

ثانياً: كما نجده لقد اتبع ذات المنهج ليثبت الفكرة التى بيَّت لها وهي ربط الأدب الإسلامي بالأهداف السياسية للإخوان المسلمين مما دفعه الى استطراد في غير محله أخرجه عن صلب الحوار الذي نحن بصدده، وهو مصطلح الأدب الإسلامي ومفهوم هذا الأدب ودلالته وخصائصه لتوضيح الرؤى، وإزالة أسباب الاختلاف حوله، وجره هذا الى الخلط بين الأوراق، فأخذ يتحدث عن تاريخ الإخوان المسلمين، مؤكدا أن الأدب الإسلامي فكر إخواني، ثم نجده يشير إلى موقف الإخوان من الدولة السعودية، وأن «نظرتهم للتجربة الإسلامية السعودية كانت نظرة غير ودية» وكأنه يريد بهذا التشويش على مكتب الرابطة في المملكة، وليثبت صحة ما ذهب إليه وقع في أخطاء منها قوله إن «الجامعة الإسلامية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تعج منذ عقود طويلة بأكاديميين وأساتذة ومشايخ إخوانيين وذلك رداً منه على قولي إن جامعة الإمام والجامعة الإسلامية هما أول من تبنى فكرة الأدب الإسلامي، وأنه بعيد عن الحركات السياسية في الهند ومصر وسورية كما زعم الأستاذ العميم، وفاته أن تبني الأدب الإسلامي قرار يتخذه المسؤولون بالجامعة، وليس بعض أساتذتها، ومعالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي كان مديراً لجامعة الإمام آنذاك وهو صاحب القرار فهل كان إخوانياً؟ وهل كان مدير الجامعة الإسلامية إخوانياً؟.

**** كل منجزات الحضارة الاسلامية والعقل الاسلامي اختلقوا لها مرجعيات غربية.**

**** الأدب الاسلامي، رسالة سامية غايتها تهذيب النفس الانسانية.**

وأقول هنا إن الرئاسة العامة لتعليم البنات تدرس في جميع كلياتها وأقسام الدراسات العليا بها الأدب الإسلامي، فهل يوجد في هذه الكليات عناصر إخوانية؟.

يا أخي الفاضل إن تبني جامعتين إسلاميتين والرئاسة العامة لتعليم البنات الأدب الإسلامي نابع من اهدافها ورسالتها التعليمية، وهو أمر طبيعي، فإن كنا نحن في مهد الإسلام ومهبط الوحي لا نعمل على إعادة الهوية الإسلامية لأدبنا وتنقيته مما علق به من شوائب التغريب والإلحاد فمن يقوم بهذا الدور بغض النظر عن وجود رابطة لهذا الأدب أم لم

توجد؟، وهل نحن في حاجة الى أن يوجهنا الإخوان المسلمون الى هذا الواجب؟ المفروض أن يقرر الأدب الاسلامي في المدارس والجامعات في جميع دول العالم الإسلامي ولا يقتصر على بعض الجامعات الإسلامية بها، ومن غير الطبيعي ألا يقرر هذا الأدب في مدارس وجامعات العالم الإسلامي، وأن يحارب من قبل أبناء الإسلام؟.

كما أن محاولة الأستاذ علي العميم إلصاق الأدب الأسلامي بالفكر السياسي للإخوان المسلمين أوقعته في خطأ آخر عندما قال إن مادة التوحيد التي درسها في المرحلة الثانوية هو التوحيد كما يتصوره محمد قطب نقلا عن أخيه سيد قطب، وهذا خطأ فادح لأنه من المعروف أن منهج التوحيد المقرر في مدارسنا على اختلاف المراحل الدراسية منذ بداية التعليم النظامي في مدارس البنين والبنات حتى الآن هو من كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، فدولتنا تسير على منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب منذ قيام العهد التاريخي بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب، عام ١١٥٨هـ، ولا يزال هذا العهد قائماً، ومنهج التوحيد الذى درسته، ويدرسه الآن طلابنا وطالباتنا هو من كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، أما عن الحديث والثقافة الإسلامية المقررة الآن على أولى ثانوي مأخوذة من ٨٧ مرجعاً منها ستة مراجع لمناع القطان، وثلاثة مراجع لسيد قطب، ومرجعان لمحمد قطب، وهي بعيدة كل البعد عن الفكر السياسي للإخوان.

كما أن محاولته ربط الأدب الإسلامي بالفكر السياسي للإخوان دفعه الى جعل الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا والدكتور عماد الدين خليل أسماء إخوانية فكراً وتنظيرا، مع أنهما ليسا من الإخوان.

الذي أريد أن أقوله، والحقيقة التي ينبغي أن يدركها الجميع أن الأدب الإسلامي لا ينتمي الى أية جماعة، فهو موجود منذ بزوغ فجر الإسلام ، وعندما طبع أدبنا المعاصر بالطابع الغربي دعا فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوي - رحمه الله - الى الدعوة الى الأدب الإسلامي، فكان صاحب الدعوة الأولى إليه في عصرنا الراهن، وليس صاحب الدعوة إليه على الإطلاق كما فهم الأستاذ علي العميم، وسياق الكلام يوضح هذا.

**** جمهرة من أدباء العربية خرج انتاجهم عن قيم الفضيلة وثوابت الأمة.**

**** أولئك الذين تجرَّأوا على ثوابت الأمة، لن يحجبوا الشمس يوماً من الاشراق.**

كما أريد أن أوضح أن رابطة الأدب الإسلامي رابطة أدبية محضة بعيدة كل البعد عن الصراعات الحزبية والسياسية، وهذا ما نص عليه نظامها الأساسي، وقد قامت لتأصيل هذا الأدب وأعادت اليه الهوية الإسلامية التى افتقدها؛ إذ أصبح خليطاً من مذاهب شتى لا تنتمي الى الإسلام بصلة، وإن كان قد أسهم بعض الإخوان المسلمين في التنظير لهذا الأدب فلا يعني هذا أنه أدب ينتمي الى فكر إخواني أو أية جماعة إسلامية فهو أدب إسلامي مستقى



أساساً من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. فأنا مثلا كتبت دراسة بعنوان كيف نعد الأديب الإسلامي قبل نشأة رابطة الأدب الإسلامي ونشرت هذه الدراسة في جريدة الجزيرة عام ١٤٠٣هـ ، وتحدثت فيها عن وجوب إيجاد نظرية نقدية للأدب منبثقة من التصور الإسلامي، كما تحدثت فيها عن الإلزام والالتزام والفرق بينهما، وهنا أعتب على الأستاذ علي العميم لقوله إنني عندما تحدثت عن الإلزام والالتزام تحدثت وكأني أتيتُ بشيء جديد، ولست أدري من الذي أوحى إليه بذلك؟ فأنا لم أوضح الفرق بينهما إلا رداً على قوله «فكرة الالتزام أو الإلزام (لا فرق) انحسرت.. الخ» أما قوله «إن كان ثمة جديد في تفرقتك، فهو سقم التفرقة لأنك تقولين إن الأديب الماركسي ملزم وليس بملتزم..» الى أن يقول متسائلا: «ماذا تقولين في الأديب الماركسي الملتزم في تركيا وفي أمريكا اللاتينية وفي البلدان العربية التي عرضت حكوماتها شيوعييها للتنكيل والعذاب والسحل والقتل، هل كان هؤلاء ملزمون أم كانوا يصدرون عن قناعة داخلية خالصة؟ ولن أضرب أمثلة لأدباء ماركسيين ملتزمين في أنظمة أوربية ديمقراطية. وأقول هنا: «إن هذا لا يلغي أن الدول الشيوعية والاشتراكية تلزم أدباءها بسياسة وفكر الحزب الحاكم، أما الذين تحدثت عنهم فهذا ناتج عن الضياع والفراغ اللذين يعيشونهما فلم يجدوا هدفاً يجاهدون ويكافحون من أجله ليقال عنهم أبطال ويشار إليهم بالبنان سوى الشيوعية، فلم يسجنوا ويعذبوا عن قناعة خالصة كما تقول، وأمثال هؤلاء كثر من طلاب الشهرة وإظهار البطولة والثبات على ما يؤمنون به ففي مؤتمر مائة عام على تحرير المرأة قالت الأستاذة ليلى العثمان إنها اخترقت المحاذير الثلاثة الدين والسياسة والجنس، وأنها الآن تحاكم في بلدها ولن تتنازل عن مبادئها حتى ولو سجنت، وعندما واجهتها وقلت لها إن الهدف من الأدب تهذيب النفس الإنسانية والسمو بها الى مراتب عليا من الطهر والعفاف وليس الانحطاط بها الى أدنى مراتب الحيوانية فهل الكتابة في الجنس تستحق منك التضحية والتعرض للسجن؟ فهاجت وماجت وأنكرت أنها كتبت في الجنس.

أما عن قول الأستاذ علي إن ردي عليه يفتقر الى الدقة في النقل، فأنا لم أنسب إليه قولا لم يقله، وعدم نقلي نص كلامه فذلك للاختصار لطول الموضوع فاكتفيت بذكر مضامين أقواله، مع أنني ذكرت بعضها بالنص.

ثالثا: إصرار الأستاذ علي العميم على تشويه صورة الصحابي الجليل شاعر الرسول [صلى الله عليه وسلم] حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ وهذا يؤكد أنه يسير على نهج المستشرقين فهذا منهجهم فهم يبحثون وينقبون عن الروايات الضعيفة والموضوعة ويعرضونها كحقائق واقعة لخدمة أغراضهم، في النيل من الإسلام وتشويه صورة رجاله، ولعل الأستاذعلي العميم يريد من هذا أن يقول: ما دام شاعر الرسول [صلى الله عليه وسلم] قد تغني بالخمر، وقال غزلا فاحشاً فلا جناح على شعراء مثل نزار قباني أن يقولوا ما يقولونه، إذاً لا قيمة ولا أهمية لوجود أدب إسلامي.

في النهاية أقول: كم أنا حزينة أن ينظر الى الاسلاميين هذه النظرة من قبل مثقف مسلم مثل الأستاذ علي العميم، هل الإسلام بات غريباً بين بني الإسلام الى هذا الحد حتى يسمه بعض أبنائه بالإفلاس وسرقة أفكار الآخرين؟ وهل باتت محاربة الفكر الإسلامي بإلصاقه بالسياسة التي سنها أعداء الإسلام قاعدة لوأده والقضاء عليه من قبل الحكومات الإسلامية؟ ألم يدرك الأستاذ علي العميم أنه برده هذا قد طعن الأدب الإسلامي والإسلاميين بخناجر المستشرقين المسمومة؟.

الصحابة.. محدثون وفقهاء من خلال بعض كتابات ابن حزم

الإسلام دين علم وعمل، امتدح العلم ورغب فيه، وأعلى من شأن العلماء وحَضَّ على مجالستهم والنهل من معارفهم، ولقد كان الصحابة أول هذه الأمة اطلاعا على الإسلام في ينابيعه الأولى ومعرفة بمصادره حق المعرفة، فكان التعريف بهم وضبط أسمائهم وتتبع مروياتهم وحصر عددها أمرا ذا بال من الناحية العلمية، فهم الواسطة بيننا وبين رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، حفظوا السنن النبوية وبلغوها وأدوها ناصحين محسنين. وإن لكلام الصحابة اعتبارا في التشريع. فقد جعل كثير من الفقهاء الموقوفات على الصحابة بمنزلة المرفوعات الى النبي {صلى الله عليه وسلم} في لزوم العمل بها وتقديمها على القياس والحاقها بالسنن.

ولذلك فإن معرفة أصحاب الفتيا من الصحابة من الأمور المطلوبة لدى الفقهاء والمجتهدين.

إن اختياري لهذا الموضوع، راجع الى الأهمية البالغة للحديث والفقه في التشريع الإسلامي، إذ لا فقه من غير حديث ولا حديث من غير فقه كما قال الشيخ محمد الغزالي. وعلماء الأمة كما يرى ابن القيم منحصرون في قسمين:

أحدهما: حُفَّاظ الحديث وجهابذتهم الذين حفظوا السنن النبوية وحموها من التغيير والتبديل وبلغوها كما سمعوها نقية صافية.

ثانيهما: فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام خصوا باستنباط الأحكام وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام.

ويهدف هذا العرض إلى ابراز مدى إسهام ابن حزم في هذين الجانبين المذكورين.

تعريف الصحابي لغة واصطلاحا:

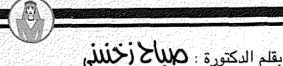
الصحابي لغة:

جاء في لسان العرب[١] صحبه يصحبه صُحْبة بالضم وصَحابة بالفتح، وصاحبه: عاشره والصحب جمع صاحب مثل راكب وركب. والاصحاب: جماعة الصحب مثل فرخ وافراخ. والصاحب المعاشر.. والجمع أصحاب وأصاحيب وصحبان مثل شاب وشبان. وصحاب مثل جائع وجياع. وصحب وصَحابة وصِحَابة حكاها جميعا الاخفش، وأكثر الناس على الكسر دون الهاء (صِحاب) وعلى الفتح معها (صحابة).

قال الجوهري: الصحابة بالفتح الاصحاب، وهو في الاصل مصدر، وجمع الاصحاب اصاحيب، وأما الصحبة والصحب اسمان للجمع، ويقال صاحب وأصحاب كما يقال شاهد وأشهاد وناصر وأنصار.

ولا خلاف بين أهل اللغة في أن القول «صحابي» مشتق من الصحبة، وأنه ليس مشتقا من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلا كان أو كثيرا.

فيوقع اسم المصاحبة بقليل منها وكثيره، وذلك يوجب في حكم اللغة اجراء هذا على من صحب النبي {صلى الله عليه وسلم} ولو ساعة من نهار، هذا هو الاصل في اشتقاق الاسم، ومع ذلك فقد تقرر للامة عرف في أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن كثرت



بقلم الدكتورة : صباح زخنيني
جامعة محمد الأول – كلية الآداب والعلوم الانسانية – المغرب

صحبته واتصل لقاؤه، ولا يجرون ذلك على من لقي المرء ساعة ومشى معه خُطاً وسمع منه حديثا، فوجب لذلك أن لا يجرى هذا الاسم في عرف الاستعمال الا على منْ هذه حاله[٢].

الصحابي اصطلاحا:

عرف جمهور العلماء الصحابي بكونه من لقي النبي {صلى الله عليه وسلم} مؤمنا ومات على الايمان[٣].

فهذا تعريف جامع مانع، فبالقيد الاول «من لقي» يخرج كل من لم يلقه {صلى الله عليه وسلم} وان أدركه وأسلم كالنجاشي.

ولا يشترط الرؤية اذ يوجد من هو معدود في الصحابة من غير خلاف ولم يره لعارض كالعمي شأن الصحابي الجليل ابن أم مكتوم.

ولا يشترط أيضا أن يغزو معه أو أن يحدث عنه أو أن يطيل صحبته لشرف مجرد رؤية النبي {صلى الله عليه وسلم} ولو لحظة لمنزلته عند الله تعالى، فقد قيل: إذا رآه مسلم أو رأى مسلما لحظة طبع قلبه على الاستقامة لانه باسلامه متهيء للقبول، فاذا قابل ذلك النور العظيم أشرف عليه فظهر أثره على قلبه وعلى جوارحه[٤].

ويخرج بهذا القيد من رآه بعد موته {صلى الله عليه وسلم} قبل دفنه فلا يكون صحابيا كأبي ذؤيب الهذلي الشاعر.

وبالقيد الثاني «مؤمنا به» يخرج كل من رآه كافرا، وهذا كثير، فقد لقي النبيَّ {صلى الله عليه وسلم} جمع من أهل الشرك والكفر ولم يسموا صحابة لمجرد ذلك، كأبي جهل وأضرابه.

ويخرج به أيضا من كان مؤمنا بغيره، كزيد بن عمرو بن نفيل أو غيره من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة الشريفة، وبه جزم ابن حجر في مقدمة الاصابة مع انه ترجم له تبعا للبغوي وابن منده وغيرهما[٥].

أما بالقيد الثالث «مات على الايمان» فيخرج به كل من لقيه مؤمنا ثم ارتد ومات على ردته. وفي اثبات صحبة من عاد الى الاسلام بعد ردته خلاف بين العلماء[٦].

وهذا التعريف ـ كما يقول ابن حجر ـ مبني على الاصح عند المحققين.

ووراء ذلك أقوال اخرى شاذة، كقول من قال: لا يعد صحابيا الا من وصف بأحد أوصاف أربعة: من طالت مجالسته، أو حفظت روايته، أو ضبط أنه غزا معه أو استشهد بين يديه، أو كذا من اشترط في صحة الصحبة بلوغ الحلم أو المجالسة ولو قصرت.

قال ابن حزم: «وليس كل من أدرك النبي {صلى الله عليه وسلم} ورآه صحابيا، ولو كان ذلك لكان أبو جهل من الصحابة، لأنه قد رأى النبي {صلى الله عليه وسلم} وحادثه وجالسه وسمع منه، وليس كل من أدركه عليه السلام ولم يلقه ثم أسلم بعد موته عليه السلام أو في حياته ـ الا انه لم يره ـ معدودا في الصحابة، ولو كان ذلك لكان كل من كان في عصره عليه السلام صحابيا، ولا خلاف بين أحد في أن علقمة والاسود ليسا صحابيين، وهما من الفضل والعلم والبر بحيث هما، وأسلما في أيام النبي {صلى الله عليه وسلم} وقد كانا عالمين جليلين أيام عمر[٧].

لم يخالف ابن حزم في هذا التعريف الجمهور إلا أنه ليس على صناعة الحدود والتعريفات محررا دقيق العبارة.

ويشمل مصطلح الصحابة الاحرار والموالي والذكور والاناث لان المراد به الجنس.

طرق اثبات الصحبة:

تثبت الصحبة باحدى الطرق التالية[٨]:

أولا: تواتر العلم بذلك كصحبة العشرة المبشرين بالجنة، وهم الخلفاء الاربعة وسعد بن أبي وقاص وسعد بن زيد وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح.

ثانيا: استفاضة العلم بذلك من غير ان يبلغ حد التواتر كصحبة ضمام بن ثعلبة وعكاشة ابن محصن وغيرهما.

ثالثا: اخبار صحابي معلوم الصحبة انه صحابي كاخبار ابي موسى الاشعري بصحبة حممه بن أبي حممة الدوسي.

رابعا: ادعاء الصحبة من شخص معلوم العدالة قبل سنة ١١٠هـ للخبر الواحد عن النبي {صلى الله عليه

وسلم][٩]: «ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مئة سنة وهي حية يومئذ»، ولذلك اشترطوا ايضا المعاصرة للنبي {صلى الله عليه وسلم}، وكل ادعاء للصحبة بعد هذا التاريخ مردود كادعاء جعفر بن نسطور الرومي الصحبة بعد سنة ٢٠٠هـ.

عدالة الصحابة:

الصحابة كلهم عدول وبساطهم مطوي كما قال الامام الذهبي، عدَّلهم الله سبحانه وتعالى ورسوله {صلى الله عليه وسلم} فقال تعالى: {**رضي الله عنهم ورضوا عنه**} (التوبة/١٠٠).

وقال تعالى: {**والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم**} (الانفال/ ٧٤).

وفي السنة ادلة اخرى تثبت عدالتهم منها قوله {صلى الله عليه وسلم} (خير أمتي القرن الذى بعثت فيه ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[١٠] وقال أيضا: «الله الله في اصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم. من آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»[١١].

وأما في الإجماع فقد اتفقت كلمة علماء الأمة - إلا من شذ - على عدالة الصحابة رضوان الله عليهم.

قال الامام الجويني وقد حكى الاجماع على القول بعدالتهم: «ولعل السبب فيه انهم نقلة الشريعة فلو ثبت توقف في روايتهم لانحصرت الشريعة على عصر الرسول {صلى الله عليه وسلم}، ولما استرسلت على سائر الأعصار[١٢].

ويرى ابن حزم ان الصحابة كلهم عدول لا نستثني منهم احدا، خلافا لمن قال بعدالة طائفة منهم فقط واخرج من شارك في فتنة أو ارتكب معصية أو رأى الرسول {صلى الله عليه وسلم} ولم يلازمه. قال ابن حزم:

«الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا، قال الله تعالى: {لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى} (الحديد/١٠). وقال الله تعالى: {**إن الذين سبقت لهم منَّا الحسنى أولئك عنها مبعدون**} (الأنبياء/ ١٠١). قال فثبت ان الجميع من اهل الجنة، وانه لا يدخل احد منهم النار، لانهم المخاطبون بالاية السابقة، فان قيل: التقييد بالانفاق والقتال يخرجُ من لم يتصف بذلك، وكذلك التقييد بالاحسان في الآية السابقة، وهو قوله تعالى {**والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان**} (التوبة/ ١٠٠)، يُخرجُ من لم يتصف بذلك، فالجواب: إن التقييدات المذكورة خرجت مخرج الغالب، والا فالمراد من اتصف بالانفاق والقتال بالفعل أو القوة» [١٣].

وقد خالف هذا الرأي بعض الأصوليين، فقد حكى الآمدي وابن الحاجب قولا أنهم كغيرهم في لزوم البحث عن عدالتهم مطلقا.

وقال آخرون انهم عدول الى وقت الفتن، فأما بعد ذلك فلابد من البحث عمن ليس ظاهر العدالة، وذهب المعتزلة الى ردة من قاتل عليا، وقيل لا يحكم بعدالة من دخل منهم في فتنة من الفتن الواقعة من حيث مقتل عثمان رضي الله عنه كالجمل وصفين من الفريقين الا بعد البحث عنها.

وحصَرَ بعضهم العدالة فيمن اشتهر منهم وطالت ملازمته لرسول الله {صلى الله عليه وسلم}، قال المازري في شرح البرهان: «لسنا نعني بقولنا الصحابة عدول كل من رآه {صلى الله عليه وسلم} يوما ما أو زاره أو اجتمع به لغرض وانصرف عن قريب، وانما نعني به الذين لازموه ونصروه» [١٤].

ولكن ماذا يقصد بالعدالة؟:

قال ابن الانباري: «وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم وانما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف يبحث عن اسباب العدالة وطلب التزكية الا إن ثبت ارتكاب قادح ولم يثبت ذلك ولله الحمد» [١٥].

تفضيل الصحابة بعضهم على بعض:

يتفاوت الصحابة في الافضلية اجمالا ثم تفصيلا.

فأما بالاجمال، فتفضل طبقة من تقدم اسلامه بمكة ثم طبقة أصحاب دار الندوة ثم طبقة المهاجرين الى الحبشة ثم اهل بيعة العقبة الاولى ثم أهل العقبة الثانية.

وقد يفضل أهل بدر ثم من أسلم قديما ممن هاجر الى الحبشة وشهد أحُداً ثم من شهد الخندق فما بعدها ثم مسلمة الفتح وأخيرا الصبيان والاطفال ممن لم يَغْزُ.

وأما بالتفصيل، فيفضل أبو بكر على سائر



الصحابة بل هو أفضل الناس مطلقا بعد الانبياء، قال فيه عليه الصلاة والسلام: (ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر)[١٦]، ثم يليه عمر بن الخطاب ولم يختلف في ذلك أحد من أئمة السلف ولا الخلف، ولا عبرة بأقوال أهل التشيع، ثم يليه عثمان بن عفان وهو قول أكثر أهل السنة وخالف بعضهم وقدم عليا، والتوقف في تفضيل أحدهما عن الآخر أولى كما ذهب الى ذلك جمع من العلماء منهم مالك ويحيى ابن سعيد القطان ومن المتأخرين ابن حزم.

وهؤلاء هم الخلفاء الاربعة المفضلون على غيرهم وبالستة الباقين يكتمل العشرة الذين بشرهم النبي {صلى الله عليه وسلم} بالجنة[١٧].

رأي ابن حزم في موضوع المفاضلة بين الصحابة:

كتب ابن حزم رسالة خاصة في المفاضلة بين الصحابة اشتمل عليها كتاب الفصل[١٨] وطبعت مفردة[١٩]. يتجه ابن حزم في المفاضلة بين الصحابة الى تفضيل الطبقات لا الى تفضيل الاشخاص عموما، ولكنه لا ينجو من التفضيل الشخصي أيضا.

يرى ابن حزم أن أفضل الناس بعد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أمهات المؤمنين يقرر ذلك لان الله تعالى اختصهن بأن جعلهن من بين نساء العالمين في جوار رسوله الامين، وهن فوق ذاك كن القانتات العابدات الصالحات الصابرات، يفضلهن على سائر الناس رجالا ونساء ومنهم فاطمة بنت النبي {صلى الله عليه وسلم}، فهي دون أمهات المؤمنين في الافضلية في رأيه.

ويذهب أبو زهرة الى أن هذه التفرقة بين نساء النبي وبناته خطأ، يقول: «ولذلك أخالف ابن حزم وأحسب قوله هذا من شدة رغبته الأموية ومقاومته للشيعة لانهم هم الذين كانوا يدعون ما يدعون على أساس نسبتهم لفاطمة وعلي»[٢٠].

ثم يلي أمهات المؤمنين في الافضلية أبو بكر وعمر، ويجتهد ابن حزم في اثبات الحجج والادلة على تفضيلهما على عليّ، من ذلك أن أبا بكر أكثر فتوى ورواية منه اذا قيست الفتاوي والرواية بالمدة التي عاشها بعد النبي {صلى الله عليه وسلم}.

ولكن حينما يتحدث عن علي ومعاوية فانه يقول بالتوقف لان فضائلهما تتفاوت في الاكثر ولان التفضيل الشخصيّ هنا غض من مقام المفضل عليه. ومع ذلك فان في كلامه ما يدفع الى ترجيح عثمان على عليّ. يقول ابن حزم: نقول بفضل المهاجرين الاولين بعد عمر بن الخطاب قطعا الا أننا لا نقطع بفضل أحد منهم على صاحبه كعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون وعليّ وجعفر وحمزة وطلحة والزبير ومصعب بن عمير وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من نظرائهم، ثم بعد هؤلاء اهل العقبة ثم أهل بدر ثم أهل المشاهد مشهدا مشهدا.

عدد الصحابة :

يصعب حصر عدد الصحابة لعدة أسباب نذكر منها:[٢١]

- دخول عدد كبير من الناس في الاسلام ومبايعة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من غير أن تعرف أسماؤهم، فقد كانوا يفدون من البوادي والاقاليم في جماعات يبايعون رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم يعودون الى بلادهم من غير أن تذكر اسماؤهم كما وقع في العام التاسع للهجرة وهو العام المشهور بعام الوفود.
- تفرقهم في المدن والبوادي، وكثير منهم لم تعرف له رواية فلم يعرف اسمه ولذلك فان حصر عددهم متعذر لهذا السبب أيضا.
- اختلاف العلماء في صحبة عدد منهم.

ومن ذكر عددهم انما على وجه التقريب، فقد قال كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة تخلفه عن غزوة تبوك: «وأصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كثير لا يجمعهم كتاب حافظ»[٢٢].

وقال أبو زرعة: «شهد معه {صلى الله عليه وسلم} غزوة تبوك سبعون ألفا»[٢٣]

ونقل عنه قوله: «توفي النبي {صلى الله عليه وسلم} ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف انسان من رجل وامرأة كلهم قد روى عنه سماعا أو رؤية»[٢٤].

وذكر في رواية أخرى أنهم مائة ألف وأربعة عشر ألفا[٢٥].

ويرى ابن فتحون أن هذا العدد الذي ذكره أبو زرعة خاص بالصحابة الرواة وليس جملة الصحابة[٢٦].

الصحابة المحدثون :

ألف ابن حزم رسالة في بيان عدد مرويات الصحابة الذين عرفت عنهم رواية الحديث وهي في حقيقتها ترتيب لرسالة الحافظ بقي بن مخلد القرطبي (ذكر ما للصحابة من العدد)[٢٧].

طريقته في عرض عدد مرويات الصحابة:

يبدأ ابن حزم هذه الرسالة بذكر المكثرين من الصحابة وهم سبعة زادت مروياتهم عن الف حديث ثم اصحاب المئين ثم اصحاب المائتين ثم اصحاب المائة ثم أصحاب العشرات ثم أصحاب العشرين ثم أصحاب التسعة عشر وهكذا الى أن ينتهي الى أصحاب الافراد[٢٨].

يكتفي ابن حزم كغيره ممن الفوا في هذا الموضوع بذكر اسم الصحابي ثم عدد مروياته، مثاله:

١ ـ أصحاب الالوف: أبو هريرة، خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا.

٢ ـ أصحاب الالفين وما زاد عنها: عبد الله بن عمر: ألفا حديث وستمائة وثلاثون حديثا.

ومن الملاحظ أن لابن حزم معلومات وفوائد أخرى غير العدد فهو يذكر مثلا مظان الحديث النبوي التي اعتمدها من أجل حصر هذه الاعداد.

فوائد حصر عدد مرويات كل صاحب:

لمعرفة عدد مرويات كل صاحب فوائد مهمة من الناحية الحديثية، فبفضل ذلك يكتشف الوضع، فنسبة أي حديث زائد على المعروف الى الصحابي مدعاة الى التوقف، فقد يكون الحديث الزائد صحيح النسبة الى صاحبه ولم يعرفه من حَصَرَ العدد، وقد يكون موضوعا على الصحابي.

علم الصحابة بالسنن :

يتفاوت الصحابة في العلم بالسنن النبوية، فقد كان منهم الملازم لرسول الله [صلى الله عليه وسلم] المتتبع لسننه، وكان منهم من يحضر المجلس والمجلسين ويشغله الصفق في الاسواق أو الضرب في الارض، وكان منهم المقيم والظاعن، ويمكننا ان نعرف علم الصحابي كما قال ابن حزم «بأحد وجهين لا ثالث لهما:

أحدهما: كثرة روايته وفتاويه.

والثاني: كثرة استعمال النبي [صلى الله عليه وسلم] له.

فمن المحال الباطل أن يستعمل النبي [صلى الله عليه وسلم] من لا علم له، وهذا أكثر شهادات على العلم وسعته[٢٩].

وهذا لا يكفي لمعرفة علم الصحابي وروايته لان بعض الصحابة الذين عُرفت ملازمتهم للرسول [صلى الله عليه وسلم] وسبقهم للاسلام بالتواتر كأبي بكر وعمر اللذين حملا علما كثيرا عنه عليه الصلاة والسلام لم يظهر علمهم كله لنا وبخاصة ابو بكر لانه لم يعش كثيرا بعد رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ليُحْتَاج اليه كما احتيج الى غيره، فامتداد عمر الصحابي الى جانب الوجهين السابقين اللذين ذكرهما ابن حزم يكشف لنا عن علمه ومروياته، كما ان ظهور أمور جديدة في الحياة مع مر الزمان يكشف عن علم الصحابة لانه يُحتاج الى ما عنده تُجاه تلك الامور المستجدة، وفي هذا يقول ابن حزم: ثم وجدنا الامر كلما طال كثُرت الحاجة الى الصحابة فيما عندهم من العلم، فوجدنا حديث عائشة رضي الله عنها ألفي مسند ومائتي مسند وعشرة مسانيد[٣٠].

المكثرون من الصحابة :

ولئن تفاوت الصحابة في العلم بالسنن فقد برز منهم كثيرون زاد حديثهم على ألف وهم سبعة. ذكرهم ابن حزم في رسالته فقال:[٣١]

- أبو هريرة ٥٣٧٤.
- عبد الله بن عمر ٢٦٣٠.
- أنس ٢٢٨٦.
- عبد الله بن عباس ١٦٦٠.
- جابر بن عبد الله ١٥٤٠.
- أبو سعيد الخدري ١١٧٠.

وذهب صاحب الالفية الى أنهم ستة فقال:[٣٢]

... ... والمكثرون ستة
أنسٌ وابن عمر ، الصديقة
البحر ، جابر، أبو هريرة
أكثرهم والبحر في الحقيقة

ثم يلي هؤلاء المكثرين أحد عشر صحابيا لكل واحد منهم أكثر من مائتي حديث، ثم الذين رووا أكثر من مائة حديث، ثم عدد كبير من أصحاب العشرات ممن يقربون من المائة، ثم عدد ممن لهم عشرةُ أحاديث أو أقلَّ من ذلك، ثم جمع ممن لهم الحديثُ الواحد أو الحديثان.

رأي ابن حزم في مسألة الاكثار من الرواية عند الصحابة:

ناقش ابن حزم ما نقله العلماء من ذم عمر بن الخطاب الاكثار من الرواية ونهيه الصحابة عن ذلك،



ويرى أن رواية الحديث خير وأن الاكثار من الخير خيرٌ.

يقـول ابن حـزم: وقـولهم هذا داحض بالبـرهان الظاهر ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم، وهو انه يقال لمن ذم الاكثـار من الرواية: أخبـرْنا عن الرواية لحديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أخير هي أم شر؟ ولا سبيل الى وجه ثالث فان قال هي خير فالاكثار من الخير خير، وإن قال هي شر فالقليل من الشر شر، وهم قد أخذوا منه بنصيب فيلزمهم أن يعترفوا بأنهم يتعلمون الشر ويعملون به، أما نحن فلسنا نقر بذلك بل نقول إن الاكثار منها لطلب ما صح هو الخيرُ كله[٣٣].

وقـال أيضـا: وليت شـعري اذا كـان الاكثـار من الحديث شرا فأين الخيرُ أفي التقليد الذي لا يلتزمه الا جـاهل أو فـاسق أم في التـحكم في دين الله عـز وجلٍ بالاراء الفاسدة التي قد حذر الله تعالى منها وزجر النبيُ {صلى الله عليه وسلم} عنها[٣٤].

وبنفس الطريقة يواصل ابن حزم الرد على من يذُم اكثار الرواية، والرد على من يقول ان مالكا كان يختصر مـوطأه، ان غـرض ابن حـزم من وراء ذلك كله تأصـيل الفكرة التي ينادي بهـا مـذهبـه ألا وهي الرجـوعُ الى الكتاب والسنة وذمّ التقليد.

ولا يتـوانى ابن حـزم في رد كل خبـر يناقض هذه الفكرة مما يثـبت أن لظاهريتـه أثرا في التـصـحـيح والتضعيف عنده.

رأي ابن حزم في قول الصحابي «السنة كذا»:

لا يدرج قـول الصـحـابي «السنة كـذا»، أو «أمـرنا بكذا» فهو لا يدرجها في عموم السنة النبوية، فقد يكون ذلك مـحض اجـتـهـاد من الصـحـابي فيكون قوله «السنة كذا»: «السنة عنده على ما أداه اليه اجتهاده»، ومعلوم أن ابن حزم يمنع التقليد سواء كان المقلد صحابيا أو من دونهُ.

يقـول ابن حـزم: اذا قـال الصـحـابي «السنة كـذا وأمـرنا بكذا» فليس هذا اسنادا، ولا يقطع على أنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم}، ولا ينسب إلى أحد قولٌ لم يرو أنه قـاله، ولم يقم برهانٌ على أنه قـاله، وقـد جـاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: كنا نبيع أمهات الاولاد على عـهد رسـول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى نهانا عمر فانتهينا وقال بعضهم: «السنة كذا» وانما يعني أن ذلك هو السنة عنده على ما أداه اليه اجتهاده[٣٥].

الصحابة فقهاء :

حظي الجانب الفقهي عند الصحابة في كتابات ابن حزم باهتمام كبير، أثار فيها مسائل كثيرة كحجية عمل أهل المدينة واجتهاد الصحابي وحكم تقليده، وبين أيضا أصحاب الفُتْيَا منهم ومراتبهم، مكثرين كانوا أو مُقلين.

وله كـتـاب «الايصـال الى فـهم كتاب الخـصـال» وهو شرح لكتاب «الخصال الجامعة لحمل شرائع الاسلام والحـلال والحـرام والسنة والاجـمـاع» أورد فـيـه أقـوال الصـحـابة والتـابعين ومن بعدهم في المسـائل الفقـهـيـة، والحجة لكل قول، وهو كتاب كبير[٣٦].

رسالة أصحاب الفتيا من الصحابة: [٣٧]

قسم ابن حزم أصحاب الفتيا من الصحابة أقساما ثلاثة:

- المكثرون وهـم سـبـعـة: عـائشـة - عـمـر - علـي - ابن مسعود - ابن عمر - زيد بن ثابت - وعبد الله بن عباس.

قال ابن حزم: يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد من هؤلاء مجلد ضخم.

والمتوسطون ثلاثة عشر وهم: أبو بكر - أم سلمة - أنس - أبو سعيد الخدري - أبو هريرة - عثمان بن عفان - عبد الله بن عمرو بن العـاص - عبد الله بن الزبير - أبو موسى الاشعري - سعد بن أبي وقاص - سلمان - جابر - معاذ.

- المقلون وهم الباقون من الصحابة أصحاب الفتيا.

قال ابن حزم: والباقون رضي الله عنهم مقلون في الفتـيا لا يروى عن الواحد منهم الا المسـألة والمسـألتان والزيادة اليسيرة على ذلك فقط، يمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير[٣٨].

ورغم أن ابن حـزم يؤلف هذه الرسالة القيـمـة في أسمـاء الصحابة الفقهاء وكذا من جاء بعدهم، فانه لا يعتد بقول الصـحابة ولا يراه حـجة، ويرد تقليده سـواء أكان المقلد مـجتهدا أو عاميا، بل إنه يعد التقليد بدعة محرمة استحدثت بعد عصر أتبـاع التابعين، ولا قول الا بما جـاء بنص القـرآن أو كـلام صـحـيح النقل عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أو نتـائج مـأخـوذة من مـقدمـات صحاح من هذين الوجهين.

ويجتهد ابن حزم في البحث عن الادلة التي يحسبها مـقنعـة في الدلالة عن منع تقليد الصـحـابي، منهـا أن الصـحـابة لم يكونوا مطلعين على كل السنن فمـا علمـه

بعضهم خفي عن بعضهم الآخر ثم انهم تفرقوا في الأمصار، مما زاد بعدهم عن معرفة السنن والاحكام التي يعرفونها، وهم بالاضافة الى ذلك مختلفون في اجتهاداتهم.

يُرتبُ ابن حزم على هذه الادلة وغيرها عدم جواز تقليد من لم يكن عارفا بكل السنن والاحكام، وفي حالة اختلاف الصحابة يتساءل ابن حزم: فأيٍّ واحد منهم تقلد[٣٩].

وينهال باللائمة على المقلدين ويصفهم بعبارات حادة مثل قوله: ولا أضل، ولا أجهل، ولا أبعد من الله عز وجل ممن يزجر عن تبليغ كلام النبي {صلى الله عليه وسلم} ويأمر بألا يكثر من ذلك أو يرد ما لم يوافقه مما صح عن النبي {صلى الله عليه وسلم} بنظره الملعون ورأيه الفاسد وهواه الخبيث ودعواه الكاذبة ثم يفني دهره في الاكثار من تبليغ آراء مالك وابن القاسم وسحنون[٤٠].

ويبين في المقابل أن الذين ينبذون التقليد وينهلون من الكتاب والسنة هم الطائفة التي على الحق.

يقول: «وليعلموا أن طلاب سنن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حيث كانت والعاملين بها والمتفقهين في القرآن الذين لا يقلدون أحدا هم على منهاج الصحابة والتابعين والاعصار المحمودة، وانهم أهل الحق في كل عصر»[٤١].

في حين يرى بعض العلماء منهم ابن القيم أن الصحابة هم سادة المفتين والعلماء.

قال الليث بن سعد عن مجاهد: العلماء أصحاب محمد {صلى الله عليه وسلم}.

وقد صدق، فقد كانوا أئمة أعلاما شهدوا التنزيل وعلموا الناسخ والمنسوخ، وتتبعوا السنن النبوية القولية والفعلية واستدركوا ما فاتهم بالسؤال والرحلة وكانوا الى جانب ذلك على حظ كبير من العلم بقواعد الاستنباط ولذلك كله كانت فتاواهم ذات قيمة كبيرة عند علماء الامة خلفا عن سلف وأنها أولى بالاخذ بها من آراء المتأخرين وفتاواهم خصوصا اذا اشتهر قول الصحابي في الصحابة، فالذي عليه جماهير الفقهاء أنه اجماع وحجة، وأما اذا لم يشتهر فهو عندهم حجة[٤٢].

وفي وجوب اتباع أقوال الصحابة أدلة كثيرة من القرآن والسنة منها قوله تعالى: {والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه}[٤٣] ووجه الدلالة هو أن الله تعالى قد أثنى على من اتبعهم خصوصا اذا كانوا عواما، أما المجتهدون فلا يجوز لهم اتباعهم.

ومنها قوله تعالى: **{اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون}**[٤٤] فكل الصحابة مهتدون وكل واحد منهم لم يسألنا أجرا.

ومنها أيضا قوله تعالى: {واتبع سبيل من أناب اليّ}[٤٥] وكل من الصحابة منيب الى الله فيجب اتباع سبيله.

ومنها أيضا قوله تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٤٦] فأخبر تعالى أن من اتبع الرسول فانه يدعو الى الله، ومن دعا الى الله على بصيرة وجب اتباعه[٤٧].

الخاتمة :

ليس غريبا أن يهتم ابن حزم بالصحابة باعتبارهم محدثين وفقهاء أو بأي اعتبار آخر، فهذا موضوع قد كتب فيه العلماء قبله وبعده، الا أن الملاحظ أن ابن حزم كان يعرض مباحث هذا الموضوع وفق قواعد مذهبه الظاهري حتى إنه ليردُّ النصوص المشهورة الصحيحة باجتهادات وأدلة، ثبوتها أمرٌ نسبي أمام النقد العلمي الرزين، وما في كتاب «الإحكام» خير دليل على ذلك.

والملاحظ أيضا أن ابن حزم في الوقت الذي يؤلف فيه رسالتيه في الصحابة المحدثين والفقهاء يمنع تقليدهم، وقد يظنّ ذلك تناقضا منه، والامر ليس كذلك، فان في بيانه لعدد مرويات الصحابة مثلا اشارة الى عدم جواز تقليدهم، اذ كيف يقلد عشرات من الصحابة لا يروي الواحد منهم الا الحديث والحديثين؟، والأمر نفسه في الصحابة الفقهاء المقلين وهم الاكثر وهو أمر فصلّ القول فيه ابن حزم في كتابه «الإحكام».

الهوامش :

(١) لسان العرب، مادة صحب ٥١٩/١ ـ ٥٢٠.

(٢) الكفاية ٥١ ـ فتح المغيث ٣١ ـ السنة قبل التدوين ٣٨٧.

(٣) الاصابة ١٥٨/١ ـ فتح المغيث ٧٧/٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه ١٥٩/١.

(٦) الاحكام ٨٢/٢ ـ ٨٣.



(٧) فتح المغيث ٤/٧٩.
(٨) الكفاية ٥٢ - فتح المغيث ٤/٨٩ - ٩٣ - الباعث الحثيث ١٨٥ - علوم الحديث لصبحي الصالح ٣٥٢ - ٣٥٣.
(٩) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب ذكر العشاء ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله {صلى الله عليه وسلم} «لا تأت مئة سنة وعلى الارض نفس منفوسة اليوم».
وأخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الفتن باب ٦٤ حديث رقم ٢٢٥١، وأخرجه الامام أحمد في مسنده ٢/٢٢.
(١٠) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي {صلى الله عليه وسلم} أمان لاصحابه ٢٥٣١. وأخرجه الامام أحمد في مسنده ٤/٣٩٩.
(١١) أخرجه الترمذي، باب فضل من بايع تحت الشجرة ٣٨٦١ (٥/٦٥٢). وأخرجه الامام أحمد في مسنده ٤/٨٧.
(١٢) البرهان ١/٦٣٢ - فتح المغيث ٤/٩٦ - ٩٧.
(١٣) المحلى ١/٢٨.
(١٤) فتح المغيث ٤/٩٨.
(١٥) ارشاد الفحول ٧٠ - فتح المغيث ٤/١٠٠.
(١٦) أخرجه الامام أحمد في فضائل الصحابة ١٣٥ - ١٣٧ - وأبو نعيم في الحلية ٣/٣٣٥.
(١٧) فتح المغيث ٤/١١٥ - ١١٩ - علوم الحديث لابن الصلاح ٢٦٩ - الارشاد للنووي ٢/٤٨٩ - شرح مسلم للنووي ١٥/١٤٨.
(١٨) انظر الجزء الرابع.
(١٩) نشرت بتحقيق الاستاذ سعيد الافغاني.
(٢٠) ابن حزم حياته وعصره لابي زهرة ٢٨١ - ٢٨٢.
(٢١) التقييد والايضاح ٣٠٥ - ٣٠٦ - محاسن الاصطلاح ٤٣٢.
(٢٢) صحيح البخاري.
(٢٣) فتح المغيث ٤/١٠٨.
(٢٤) الاصابة ١/٢.
(٢٥) اختصار علوم الحديث ١٨٥.
(٢٦) الاصابة ١/٣.
(٢٧) حققها الدكتور أكرم ضياء العمري بعنوان «عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث» وهي جزء من مقدمة المسند المصنف لبقي بن مخلد.
(٢٨) انظر بن حزم «أسماء الصحابة الرواة» ٢٧٥ المطبوعة مع كتاب جوامع السيرة.
(٢٩) الفصل في الملل والاهواء والنحل ٤/١٣٦.
(٣٠) المصدر نفسه ٤/١٣٨.
(٣١) انظر رسالة ابن حزم «اسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد» ٢٧٥ - ٢٧٦ ، الرسالة مطبوعة مع كتاب جوامع السيرة لابن حزم تحقيق د. احسان عباس ود. ناصر الدين الاسد. وانظر أيضا «عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث» لبقي بن مخلد ٧٩ تحقيق د. ضياء العمري.
(٣٢) شرح ألفية العراقي (التبصرة والتذكرة) جـ ٣.
(٣٣) أسماء الصحابة الرواة لابن حزم ٢٧٦ - ٣١٥.
(٣٤) الاحكام ٢/١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦.
(٣٥) المصدر نفسه.
(٣٦) المصدر نفسه ٢/٧٢.
(٣٧) وفيات الاعيان ٣/٣٢٥ - تذكرة الحفاظ ٣/١١٤٧ - السير ١٩/١٩٣ وسماه حاجي خليفة «الخصال الجامعة لمحصل شرائع الاسلام في الواجب والحلال والحرام» كشف الظنون ١/٧٠٤.
(٣٨) وهي رسالة صغيرة في أسماء أصحاب الفتيا من الصحابة وفيمن بعدهم أيضا الى زمن المؤلف، طبعت ضمن كتاب جوامع السيرة مع رسائل اخرى بتحقيق د. احسان عباس ود. ناصر الدين الاسد، مع اختلاف في ترتيب أسماء الصحابة، وتوجد أيضا ضمن كتاب الاحكام في أصول الاحكام، نشرها د. احسان عباس ضمن رسائل ابن حزم طبعة مؤسسة الرسالة.
(٣٩) الاحكام ٥/٩٣ - جوامع السيرة ٣١٩ - ٣٢٣ - اعلام الموقعين ١ - ١٢ - ١٣ - الاصابة ١/١٢.
(٤٠) الاحكام ٢/١٣٤.
(٤١) المصدر نفسه ٢/١٤٤.
(٤٢) المصدر نفسه ٦/١٤٦.
(٤٣) اعلام الموقعين ٤/١٢٠.
(٤٤) سورة يس الآية ٣٧.
(٤٥) سورة لقمان الآية ٣١.
(٤٦) سورة يوسف الآية ١٢.
(٤٧) انظر هذه الادلة وغيرها في أعلام الموقعين ٤/١٢٣ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٦ وما بعدها.

حــوار مــع :

لينا الكيلاني.. القاصة.. والروائية السورية

على الرغم من أنها درست الهندسة الزراعية وحصلت على الماجستير في الاقتصاد الزراعي، إلا أن ميول «لينا كيلاني» الأدبية وموهبتها في جمال كتابة قصة الطفل والرواية سيطرت عليها فتفرغت لموهبتها ولتبدأ نشر أولى قصصها في صحيفة تشرين السورية عام ١٩٧٧م. وتنطلق لينا بعدها بقوة وعزم في مجال أدب الطفل حتى وصل عدد المجموعات القصصية التي أصدرتها للطفل العربي يزيد عن خمسين مجموعة حتى الآن، ومنها ما صدر عن دور نشر مرموقة كدار الأهرام والمعارف ووزارة الثقافة السورية واتحاد الكتاب العرب.

كما نشرت مجموعة من الروايات للكبار ذات طابع علمي خيالي ومنها ثلاثية مدينة الأذكياء وجزيرة المسوخ والانفجار أم الاختيار (رواية المستقبل) وغيرها من الروايات. وتُرجم بعض نتاجها الأدبي الى لغات عديدة منها الاسبانية والألبانية والسلافية والروسية وأدرج اسم لينا كيلاني في أكثر من عشرة موسوعات عالمية (Whos Who) في كامبردج وأمريكا وهي عضوة في اتحاد الكتاب العرب وأمينة سر جمعية أدب الأطفال فيه.

تتحدث لينا الكيلاني عن أدبها وبعض قضايا أدب الطفل العربي وعالم الرواية العربية وغير ذلك فتقول:

**** لماذا اخترت أدب الأطفال وتحديداً القصة الطفلية والرواية؟.***

- الكتابة للأطفال من أصعب الأجناس الأدبية فليس من السهل على الكاتب أن يخترق عالم الطفل، والمعروف أن الكتاب الكبار سواء في العالم الغربي أو العربي اتجه بعضهم في آخر مسيرتهم الأدبية للكتابة للأطفال، وبالنسبة لي فإن العالم الجميل يشدني اليه دائما، وبدأت كتابتي لقصة الطفل بعفوية لأنني كنت في مرحلة عمرية لا تفصلني كثيرا عن عمر الطفولة - عندما بدأت الكتابة - فلعلي بتلك الفترة كنت قادرة على مخاطبة عقلية الطفل، وأتقنت هذا الفن بحيث غدا خطاب الطفل ليس صعباً عليَّ فخاطبته بسهولة من خلال هذا العالم الفاتن والمشوق دائماً حيث أبقى مسحورة فيه وخلال ثلاثة وعشرين عاماً من مسيرتي الأدبية مع الطفل قدمت له حوالي خمسين مجموعة قصصية صدرت عن دار الأهرام والهلال والمعارف في مصر وعن وزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب في سورية وغيرها من دور النشر ومؤخراً اتجهت لأدب الكبار وأصدرت ثلاثية روائية.

**** يقال إن الأديب إذا قلَّ إبداعه للكبار فإنه يتجه للكتابة للأطفال. ما رأيك بهذا القول؟.***

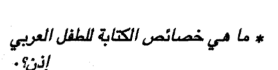
- لا أعتقد أن هذا صحيحا. خذ مثلا الشاعر الكبير سليمان العيسى، كتب شعراً عظيماً، وتوجه للطفل لأن الطفل بحاجة لأشعار العيسى التى تتميز بأنها مقنعة للطفل وتتسلل إليه من حيث لا يدري، فالطفل يحفظ هذه الأشعار ويفهمها بشكل تلقائي وعفوي. هناك البعض من الكتاب ظن أنه يكتب للأطفال ولكنه فشل لأن هؤلاء كتبوا عن الأطفال، فالفرق كبير بين أن أكتب للطفل أو أكتب عن الطفل. كتاب العالم الغربي عندما كتبوا للأطفال كتبوا برؤية فلسفية وبعداً إنسانيا، فالطفل عندما يأخذ كتاباً ما يتدرج بفهمه مع مراحل عمره وعندما يصبح شاباً ويعود لهذا الكتاب يجد فيه مضامين أخرى، ولذلك على الكاتب أن يكتب بعقلية الطفل، بأسلوب الطفل، مع





مجموعة قصصية موجه للأطفال من مؤلفات لينا الكيلاني

مراعاة العمق في المضامين والبعد الإنساني، هكذا فعل كتاب الغرب. لذلك أصبحت كتبهم خالدة وذات مضمون فلسفي، أحياناً، يعود إليها الانسان في أي مرحلة من العمر وليس فقط في مرحلة الطفولة.



**** ما هي خصائص الكتابة للطفل العربي إذن؟.***

- للطفل العربي بيئة خاصة وعلينا أن ننطلق من هذه البيئة لا أن نحدثه عن عوالم بعيدة عنه وعن عقليته. هذا أولا، وثانيا أن نوقف المترجمات والمستوردات لأنها تفسد عقول صغارنا، ثالثا: اللغة، يجب أن نجد لغة مبسطة وقريبة من الطفل، ليس اللغة الفصحى المغرقة في فصاحتها، وليس اللغة العامية المغرقة في عاميتها، حتى يفهمها جميع الأطفال العرب في أقطارهم وبلدانهم. على كاتب أدب الطفل أن يركز على القيم وهي ثابتة وإن تغيرت مدلولات القيم والمفاهيم، فمثلا في البادية هناك الكرم العربي، وإذا تاه أحدهم في الصحراء ووجده أحد سكانها فمن واجبه استضافته ثلاثة أيام وتزويده بالمؤن والماء.

الآن في بيوتنا العصرية المدنية اختلف الاسلوب وان بقيت القيمة.

**** كيف ترين واقع إعلام الطفل، ألا تلاحظين أن ما يخصص للطفل العربي في وسائل الاعلام المختلفة ليس كافياً؟.***

- أعتقد أننا لم نقم بمحاولات جادة فعلا في نشر أدب الطفل إعلاميا رغم أنه لدينا عدد كبير من الكتاب الجيدين والمتميزين في مجال الطفل، وهنا أتساءل لماذا نجح مثلا برنامج افتح يا سمسم؟ اتّكأنا على برنامج غربي ولكن وضعنا نصوصاً عربية، وكان يمكن أن ننتج ما هو أفضل من هذا البرنامج، ربما المحاولات لم تكن جادة، عموماً أدب الأطفال فن جديد نسبياً ودعم المؤسسات له مازال قليلا، ويلاحظ حالياً التوجه في البلدان العربية نحو الاهتمام به ولكن يبقى هناك كم من الأفلام المستوردة يضغط بحيث لا يدع حيزاً للإنتاج المحلي، وكذلك في مجال الكتب، إضافة الى أننا بحاجة الى اختصاصيين في علم نفس الطفل وفي ثقافته وتربيته، كل هذا الجمع يجب أن يتعاون معاً، ليقدم شيئاً جاداً وحقيقياً للطفل.

**** لدينا مواضيع كثيرة يمكن أن نقدمها للطفل وحتى يمكننا أن نتفوق على الغرب في ذلك، تراثنا وهو ضخم وهائل لماذا لا نستفيد منه؟.***

- نحن نعيش حاليا عصر الانترنت الذي يغزو كل بلدان العالم، فكيف نقنع الطفل العربي بأعمال محلية ساذجة وبسيطة وهو يشاهد أعمالا متفوقة في الغرب. إذن نحن بحاجة لتقديم البديل، وقد قلت الصواب في سؤالك حول التراث، فالبديل يمكن أن يكون من تراثنا، الذي ينهبه الغرب تحت أعيننا وبصرنا، خذ مثلا فيلم (علاء الدين) الذي حصد ملايين الدولارات في أمريكا، هو من تراثنا، تصور وضعوا اكثر من ٣٠٠ نموذج لشخصية علاء الدين ولم يتمكنوا من الحصول على الشخصية الحقيقية إلا عندما أسقطوها على شخصية توم كروزو. خذ مثلا (الجني) اشترك خمسون رساماً لتقديم نموذج لشخصية الجني، فأظهروا الجني على أنه المارد الذي يبحث عن متعته، لم يكن المارد الذي يقدم ما يملك مقابل انعتاقه، مفهوم المارد كما قدمه التراث العربي لم يفهمه الغرب ومع ذلك استفادوا منه.

خذ الفتاة ياسمين مثلا وما الى ذلك.. نحن قادرون على فهم التراث بشكل عميق وتقديمه بالشكل الحقيقي والصحيح للأطفال ومع ذلك فنحن لا نفعل شيئا من ذلك، ونترك الغرب يتولى هذه المهمة ويشوه تراثنا!..

**** لنبقى في إعلام الطفل، ألا تلاحظين أيضاً***

أن هناك نقصاً شديداً في المجلات العربية الموجهة للطفل؟.

- هذا صحيح، على الرغم من أن المجتمع العربي ونسبة الأطفال فيه مرتفعة، وهذا تقصير كبير بحق أطفالنا، وعلى المؤسسات الثقافية والاعلامية العربية أن تقوم بإصدار مثل هذه المجلات. ولكن كما ذكرت بدأ البعض يأخذ هذا الاتجاه ففي مصر هناك المجلس العربي للطفولة بدأ يطرح مشروع الشخصية الكرتونية العربية للطفل العربي، هناك بعض المؤسسات التى تهتم بكتاب الطفل ومنها مثلا الهيئة المصرية العامة للكتاب، أعتقد أنها تطبع سنوياً حوالي ثمانية ملايين كتاب للطفل. هناك اهتمام ملحوظ في المملكة العربية السعودية والكويت والامارات العربية المتحدة بإصدار مجلات عديدة ومنوعة للطفل.

**** كيف ترين واقع الصفحات المخصصة للطفل في بعض الصحف والمجلات العربية؟.***

- كنت أتمنى أن تكون هذه الصفحات للأطفال بالكامل فقط .. أي أن محرريها هم الاطفال أنفسهم، لقد شاهدت تجربة رائعة في الصين عندما زرتها قبل سنوات. هناك صحيفة يديرها بالكامل الأطفال فهم المحررون والمصورون ورئيس التحرير وسكرتير التحرير وما إلى ذلك كلهم من الأطفال.. هذا مشروع جميل جداً أتمنى أن يكون عندنا في العالم العربي مثله.

**** ما هي برأيك الحلول لإيصال الكتاب للطفل العربي؟.***

- يجب أن يكون عن طريق المدارس وغيرها. وذلك بتوجيه الأطفال وربطهم بالكتاب وكذلك للأسرة دور في هذا المجال من خلال وعيها.. الأهل لا يهتمون بكتاب الطفل. قل لي من الأب الذي يقرأ الكتاب الذي يقدمه لابنه، ولكن عندما تكون الاسرة واعية ومثقفة وتطلع باستمرار على ما ينشر من كتب تستطيع أن تقدم لأطفالها التوجيه.. ويجب أن نقدم ما يجذب الطفل، صحيح أنهم قسموا الأطفال لمراحل عمرية: أولى وثانية وثالثة، ولكن أعتقد أنه لا توجد هذه الفواصل فعلا، الأطفال الأذكياء في المرحلة العمرية الأولى يستطيعون أن يقرأوا لأطفال المرحلة الثانية.. فأنا إذا لم أقدم المادة الغنية والمقنعة للطفل يعزف عن الكتاب مهما كانت ألوانه جميلة.. نحن ككتاب مطالبون بتطوير أنفسنا.

**** لننتقل الى أدب الكبار، أصدرت قبل فترة روايتك الثلاثية (المستقبل) هل هي فعلا رواية المستقبل؟.***

- نعم هي رواية للمستقبل بالمعنى العلمي، تناولت في هذه الرواية موضوع هندسة الجينات.

**** يعني أنها رواية علمية ؟***

- صحيح هي رواية علمية ولكن لا يعني أنها تقرير علمي، هي ضمن الاسس الروائية ومبادىء الرواية، أقول في مقدمتها «إن هذه الرواية ترصد ما تتنبأ به الكشوفات العلمية التى تنتزع الإعجاب حتى الذهول بل حتى الفزع».

اعتمدت على الجانب العلمي كمنطلق لهذه الرواية ولعلي استفدت من تجربتي في أدب الأطفال لأن أكون دقيقة في إيصال المعلومة التي أريدها والكلمة في مكانها تماماً .. الكلمة مشحونة بالطقس الذي أريده، فأخذت هذه المعلومات، ولعله عندي (هوس) بشيء اسمه هندسة الجينات وبنيت عليه روايتي، وكذلك عن الاستنساخ والانسان المصنع، أريد أن أقول في هذه الرواية وأتساءل إلى أين يسير العلم وما هو مستقبل هذا العالم، هل هو المارد أو الشيطان الذي انفلت من القمقم (المارد الذي خرج من القمقم) الى أين سيصل بنا هذا العلم، هناك مقولات للخير والشر وما الى ذلك.. في الجزء الأول تناولت تفوق العلم ومنجزاته وما قدمه علم الوراثة من خدمات للبشرية، الجزء الثاني تناولت فيه أخطاء هذا العلم وماذا يمكن أن يجلب هذا العلم من كوارث للإنسانية، الجزء الثالث: هو الانفجار أو الاغتيال، وفيه الإجابة عن السؤال القائل: الى أين سيصل هذا العالم لو استمر في اندفاعه نحو العلم بهذه الطريقة.



*** ما رأيك بأدب الخيال العلمي؟.**

ـ مهم جداً، ولكن كتاب الخيال العلمي لدينا في الوطن العربي يعدون على أصابع اليد الواحدة!..

*** ما الأسباب برأيك؟.**

ـ لا أعرف .. لم أسأل نفسي هذا السؤال يمكن أن يكون بعدنا عن الحضارة والتكنولوجيا هو السبب، وعموماً فإن العلوم التى وصلوا اليها في الغرب استقوها من مؤلفات الخيال العلمي، في كثير من العلوم كانت هذه المؤلفات هي بذرة الأساس. الكاتب لا يكتب في الخيال العلمي إلا إذا كان لديه رصيد علمي، هو لا يأتي بشيء من الفراغ، هو جاء بشيء تحقق، وهو أخذ بذرة العلم وبنى عليها مقولته، ولذلك لعل عدم وجود الاتصال مع العلم المعاصر وراء قلة كتاب أدب الخيال لدينا.. ربما؟!..

*** يقال حالياً ان الرواية في الوطن العربي تتفوق على باقي فنون الأدب. ما رأيك بذلك؟.**

ـ الرواية هي حياة متكاملة، وأعتقد أن في الرواية مساحة أكبر من فن القصة المعقدة أو الشعر، هناك الإلمام بجوانب هذه الحياة كاملة والمقولات التي تطرح من خلال الروايات. طبعاً، تختلف عن المقولات التي تطرح في القصة أو القصيدة أو الشعر، العصر أصبح بحاجة لشمولية الرؤية فما تحققه الرواية لا تستطيع الفنون الأخرى أن تقوم به، وأعتقد فعلا أن الرواية تتفوق على باقي الفنون الأخرى.

*** إشكالية البطل في الرواية كيف تتعاملين معها، ما هو البطل عندك؟.**

ـ عندما أركب شخصية البطل تركيباً، وأصنعه من نسيج خيالي سيكون البطل ميتاً من بداية الرواية.. البطل يجب أن يكون كائناً حقيقياً له مواصفات شخصية مثل أي شخصية إنسانية أخرى.. يجب أن أدرس الشخصية الانسانية وأدخل إلى أعماقها لأستطيع أن أخلق أبطالا.

فالبطل عندما تكون شخصيته مبنية بشكل حقيقي في الرواية فهو يفرض نفسه عليَّ، إذن بناء الشخصية يأتي من نسيج الواقع ولا يأتي من الخيال.

*** هناك إشكالية البطل في الرواية العربية.. ما بين بطل ساذج وبطل مثقف مثلا شخصيتان يضيع بينهما القارىء؟.**

ـ هنا تختلط الأدوار، وبالتالي فإن الكاتب لم يرسم الشخصية بالشكل الحقيقي. يمكن أن أتناول عملا أدبياً أجد البطل فيه ساذجاً وفي منتصف العمل يقول كلاماً لا يصدر إلا عن أكبر مثقف.. إذن كيف حصل هذا التحول في شخصية البطل.. لا يمكن!.

*** ولكن الرواية كرسالة يجب أن تصل الى المتلقي، هل يمكن أن يوصلها البطل الساذج؟.**

ـ حسب المقولة التى أطرحها، فلا أحمّل مقولة كبيرة لشخصية هي أصغر من الحدث.. الشخصية تكون قدر الحدث وحسب دورها.

*** ما الجديد لديك ؟.**

ـ قصص عديدة للأطفال، وعمل روائي بعنوان: (من أنا من أكون) عن الاستنساخ، هو موضوع معاصر.. تصور أن إنسانين مستنسخين كيف يمكن أن يكون العالم الداخلي لكل منهما؟.. كيف يمكن أن يعيشا في الحياة؟.. كيف يمكن أن تكون نظرتهما لهذه الحياة، وكل واحد منهما يشعر أنه ليس هو.. هو الآخر؟!.

*** ما هي طقوس الكتابة لديك؟.**

ـ من الممكن أن أجد خبراً علمياً صغيراً في مجلة أو صحيفة ويكون محفزاً لي لعمل أدبي كامل.. أعود فأرجع الى مراجع ومصادر لأتأكد من دقة المعلومة العلمية التى سأطرحها.. أبحث عن الخلفية الانسانية أو الفلسفية أو الفكرية.. هناك مقولات عدة يمكن أن أطرحها من خلال هذا العمل الذي هو فكرة علمية.. العلم ـ كما يقولون ـ جاف.. فإذا حدثتك لساعتين عن هندسة الجينات ستمل، ولكن لن تمل إذا تناولت رواية هندسة الجينات بقالب أدبي جميل ولطيف.

مناظرات علمية

٤٩٢ـ مقدمـة :

حضرنا في الثلاثينيات والأربعينيات كثيراً من المناظرات الأدبية والاجتماعية بالجامعة المصرية، وقاعة يورث، بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، فكان لها دويٌّ كبير، وجمهور يتعهدها بالحضور الدائم، ولا أدرى لماذا خبت جذوة هذه الندوات الفكرية، وهي ضرورية جدا في هذا الزمن الذى انتشرت فيه وسائل اللهو، فانصرف الناس عن العلم والكتاب الى المسلسلات الهابطة، وأشرطة الكاست، وملاهي الفيديو، وألعاب الكرة، مما لا نفع وراءه غير ما يجنى التبذل والإسفاف.

وللمناظرات في التراث الاسلامي تاريخ أي تاريخ، حيث ازدهرت في العصر العباسي، حين انتشرت مسائل الكلام، وقام العلماء بالرد على الزنادقة والملحدين، ثم انتقل الحوار الى المسائل الفقهية، فكانت تعقد المناظرات بين علماء المذاهب المختلفة، وكانت تسير على نهج حميد تارة، وتنحرف الى الادعاء والتهجم تارة أخرى مما دعا الإمام الغزالى الى عقد شروط للمناظرة الصحيحة، منها أن يكون المناظر مجتهدا يفتى برأيه، ولا يتقيد بمذهب، كي يرجع للحق متى اتضح له، والا يناظر إلا في مسألة وقعت فعلا أو قريبة الوقوع كيلا يتسع المجال للمسائل الفرضية التى يكثر فيها اللجاج دون جدوى، وأن تكون في الخلوة على وجه الاستحباب لأن العدد الكثير يبعث المناظر على التمسك برأيه حياً للسيطرة والاستعلاء، وأن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو يد غيره، ويرى مناظره زميلا له في معركة واحدة لا خصماً يتحداه. وأن يناظر من يتوقع الاستفادة منه من أهل العلم لا من يحسنون الكلام المنمق دون تعمق في المضمون.

وهذه شروط جيدة أضاف إليها الإمام الغزالي شروطاً أخرى، وعدد مثالب المناظرات وآفاتها، فذكر منها الحسد والتكبر، والترفع على الناس، والخداع، والاستكبار عن الحق والمماراة فيه مع وضوحه والرياء.



شذرات الذهب

ونشير اليوم الى بعض المناظرات التاريخية التى دونت في كتب العلم، وتناقلها الدارسون.

٤٩٣ـ بين الأشعرى والجبائى :

نقل ابن خلكان في وفيات الأعيان مناظرة بين أبي الحسن الأشعرى شيخ أهل السنة وأبى عليّ الجبائى شيخ المعتزله في مسألة «رعاية الأصلح ووجوبها على الخالق» كما يذهب المعتزلة وقد عارضها الأشعرى فاتجه الى الجبائى قائلا:

ما رأيك في ثلاثة إخوة، أحدهم كان مؤمنا بارا تقيا، والثاني كان كافرا فاسقا شقياً، والثالث كان صغيرا فماتوا على حالهم؟.

قال الجبائي: أما المؤمن البار التقي ففي الدرجات (يريد الجنة) وأما الكافر ففي الدركات (يريد النار) وأما الصغير فمن أهل السلامة (اى أنه لا يعذب).

فقال الأشعرى: إذا أراد الصغير أن يذهب الى درجات التقى البار فهل يؤذن له؟.

قال الجبائى: لا لا، لأنه يقال له إن أخاك إنما وصل الى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة، وأنت لم تكن مثله.

قال الأشعرى: فإن قال الصغير، التقصير يارب ليس منى، فإني لم أعش حتى أطيع وأعمل الصالحات، فبماذا يردّ عليه؟.

قال الجبائى: يقول له البارى جل وعلا، كنتُ أعلم أنك لو بقيت لعصيت، وصرت مستحقا للعذاب، فراعيت مصلحتك ومت صغيرا.

قال الأشعرى: فإن قال الكافر الذى دخل جهنم: يارب وانك كما علمت حال أخى الصغير علمت حالى، فلم لم أمت صغيرا حتى أتجنب العذاب! ولِمَ راعيت مصلحته ولم تراع مصلحتى؟

قال الجبائى (منفعلا) إنك مجنون!

فقال الأشعرى: لا، بل وقف حمار الشيخ في العقبة، وسكت الجبائى دون رد.. قال ابن خلكان تعليقا على هذه المناظرة: وهذه المناظرة دالة على أن الله عز وجل خص من شاء برحمته، وأن أفعاله غير معلله بشيء من الأغراض.

٤٩٤ـ (مناظرة نحوية) :

اشتهرت مناظرة سيبويه مع الكسائى في مجلس يحيى بن خالد البرمكى اشتهاراً كبيرا، حتى ألفت فيها الكتب، ونظمت القصائد، لأن التدليس والزور قد وقفا دون الإنصاف، وسأروى موجز خبرها كما ذكره أستاذنا الشيخ محمد الطنطاوى في كتابه «نشأة النحو» حيث قال: طمحت نفس سيبويه الى الشخوص الى بغداد أملا في الحظوة لدى الخلفاء، فارتحل إليها وما يدرى ما خبَّأه الغيب له، فَرُبَّ ساع لحتفه، كما قال الشاعر:

والمرء قد يرجو الرجاء .. مؤملا والموت دونه !

ونزل ضيفا عند يحيى بن خالد البرمكى وزير هرون الرشيد، فاعتزم يحيى الجمع بينه وبين الكسائي، بعد أن عرّف الرشيد جلية الأمر، وعين يوما للمناظرة، فحضر سيبويه أولا، وتلاقى مع

الفراء والأحمر تلميذى الكسائى، فسألوه وجعلا يُخَطِّئانه في الإجابة وأغلطا له القول، فقال لهما: لست أكلمكما حتى يحضر صاحبكما، يعنى شيخهما الكسائي، وجاء الكسائى فَغَصَّت الدار بالحضور على مشهد من يحيى وابنه جعفر وبدأ الكسائي الحديث، فقال لسيبويه: تسألنى أو أسألك، فقال سيبويه: سل أنت فقال له: هل يقال كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي؟ أو يقال فإذا هو إياها، فقال سيبويه فإذا هو هى ولا يجوز النصب، فسأله عن أمثال ذلك مثل، خرجت فاذا عبد الله القائمُ أو القائمَ، فقال: كله بالرفع، واحتدم الخلاف بينهما طويلا، فقال يحيى، قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن يحكم بينكما؟ فقال الكسائى: هؤلاء هم الأعراب ببابك ، وفدت عليك من كل صقع، يُحضرون ويُسألون، فقال يحيى: لقد أنصفت، واستدعاهم فتابعوا الكسائى، فأقبل الكسائى على سيبويه وقال له: قد تسمع أيها الرجل، فاستكان سيبويه، وانقبض خاطره، فقال الكسائى ليحيى: أصلح الله الوزير، إنه قدم إليك راغبا فإن شئت ألا ترده خائبا. فرق له يحيى وجبر كسره، فخرج من بغداد وتوجه الى فارس يتوارى من الناس من سوء ما لحقه، ولم يقدر أن يعود الى البصرة، وكان إمامها دون منازع، فمات غما بفارس في ريعان شبابه، وقال في احتضاره متمثلا:

يؤمل دنيا لتبقى له

فوافى المنية دون الأمل

ويرى جمهرة العلماء أن السياسة قد لعبت دوراً كبيرا في هذا الموقف إذ تُصُوِّر الأمر على أنه حُكْمٌ بين البصرة وبغداد لا بين سيبويه والكسائي، وما وافقت العرب الكسائى إلا لعلمهم أنه ذو حظوة عند الرشيد وحاشيته، وهم على يقين أن الحق مع سيبويه، على أنه رُوى أنهم قالوا ذلك بإيعاز من رجال الدولة، ولذلك طلب سيبويه أمرهم بالنطق بها لكنه لم يستمع إليه، يقول العلامة الشيخ محمد الطنطاوى: وبعد، فإن الحق مع سيبويه، والقرآن الكريم أصدق شاهد له، إذ يقول الله تعالى {فإذا هي بيضاء للناظرين} ولو ثبت النصب لكان خارجاً عن القياس واستعمال الفصحاء، ولذا تحمل النحويون للنصب التأويل على أوجه رُدَّت عليهم، وفي «كتاب نفح الطيب» للمقرى فصل خاص بهذه المسألة، وما قيل فيها تكلفا وتعنتاً والرد على ذلك.

أقول: ما كنت أظن أن الخلاف في إعراب كلمة يكون هو وحده مجال المناظرة، وموضع الترجيح، كان الأجدر أن تثار مسألة نحوية ذات أصل وفروع واستشهاد، ليدلى كل إمام برأيه في إسهاب وإشباع، ومعه الدليل من النصوص العربية المعترف بها ، أما أن يكون النقاش في كلمة واحدة، ثم يكون الأعراب وحدهم الحكم، وهم مدلسون مموهون فهذا ما يستغرب حدوثه في مجلس يحيى بن خالد ولكن المؤامرة قد دُبِّرت بليل، ان كانت كما يقول الرواة.

٤٩٥ـ (مناظرة كلامية)

اشتد الخلاف في مسألة خلق القرآن الكريم، وتورط المأمون والمعتصم والواثق في تعذيب كبار الفقهاء وسجنهم، ومنهم من قتل مظلوما، حتى عم الخطب، وهي جريرة أليمة ما كان للمأمون أن يقع فيها وهو المنادي بحرية الرأي. ولكن تأثير المعتزلة عليه كان شديدا، وكان من عادته ومن جاء بعده أن يعقدوا مجلساً للمناقشة يتصدره أحمد بن أبي دؤاد، ليناقش من ينكر أن القرآن الكريم مخلوق، ثم يحكم عليه ظلماً دون حق، وفي مجلس من هذه المجالس المتكبرة، جلس أحمد بن أبى دؤاد في حضرة الواثق بالله ليناقش عالماً لم يذكر التاريخ اسمه، ولكن قيل إنه شيخ مهيب صمم على أن يجابه الباطل مستشهدا دون حذر، فتقدم عالى الرأس الى ابن أبى دؤاد.

فقال له: ما تقول في القرآن يا شيخ؟ فرد الشيخ في نبرة عالية: دعنى أسألك أنت قبل ان تسألني: هل كتم محمد {صلى الله عليه وسلم} شيئا من الرسالة؟.

قال أحمد: لا لم يكتم شيئا؟ قال الشيخ: أتحفظ قول الله تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا}؟ قال نعم؟

قال الشيخ: هل دعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى القول بخلق القرآن مع أنه لم يكتم شيئا؟

قال أحمد: لم يدعُ الى ذلك، فالتفت الشيخ الى الواثق، وقال له بلهجة مطمئنة سجلْ ذلك عليه.

قال الشيخ لأحمد، هل علم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} شيئا مما تقول من خلق القرآن الكريم؟ فقال أحمد في تردد! نعم.. قال الشيخ: وهل دعا الناس الى الإقرار بذلك؟ قال أحمد: لم يدع الى شيء، قال الشيخ هل علم به الصحابة والخلفاء الراشدون، قال أحمد: لم يعلموه، فقال الشيخ، وإذا لم يعلموه، فكيف تعلمه أنت؟ ثم التفت الى الواثق، وقال سجل ذلك عليه يا أمير المؤمنين.

قال أحمد، إنهم علَمُوه ولم يذيعوه! فقال الشيخ وإذا لم يذيعوه، فكيف تذيعه أنت، وتعذب الناس عليه؟ ثم التفت الى الواثق فقال له: سجل ذلك عليه يا أمير المؤمنين! ونظر الخليفة الى أحمد فوجده مضطربا لا يستطيع أن يجيب، فقال للشيخ، انصرف يارجل، انصرف يارجل؟ وأنهى المجلس وهو يتساءل بينه وبين نفسه؟ كيف ندعو الى شيء لم يدعه الرسول {صلى الله عليه وسلم}، ولم يدعه الخلفاء الراشدون، ولم يدعه الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين!

كنت أود أن يسجل التاريخ اسم هذا البطل الجرىء، ولكن الذين رووا المناظرة قالوا إنه شيخ فاضل جاء من بلدة تسمى (أذنه) على شاطىء نهر سيحان، فقام مقاما لم يقمه سواه، وكان لا يتيقن من نجاته حين جابه الطغيان ولكنه أصر..

ألا صلى الإله على نفوس
ترى في الحق مصرعها لزاما

مسك الختام

الكلمة.. أمانة !!

بقلم:
علي العمري
- الباحة -

للكلمة في الإسلام شأن عظيم، ووزن ثقيل، وأثر بليغ، كيف لا وقد جعل الاسلام مفتاح الدخول فيه تلك الكلمات القليلة العدد، العظيمة القدر والأثر: (شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله)، فمن قالها فقد عدَّ من المسلمين.

وفي التنزيل قسمت الكلمة الى قسمين: الكلمة الطيبة، والكلمة الخبيثة، فالطيبة لها مجالها ولها روادها، ولها معتنقوها، والأخرى - أيضاً - لها آثارها وجراحاتها (ولا يلتام ما جرح اللسان). ولها وكالاتها التى تبثها صباح مساء في كل زمن وفي كل بلد.

قال تعالى: **{ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار}** (سورة ابراهيم).

ما أعظمه من تشبيه حيث شبه الله الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، وشبّه الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة.

إذن فهناك كلمة طيبة، وأخرى خبيثة، فالأولى وظيفتها الإصلاح والبناء والعمل على استقامة الفكر، وبث السجايا والفضائل، والأخرى هدفها التخريب والافساد والهدم وإشاعة المنكرات، والعمل على اعوجاج الفكر.

ومما يؤكد أهمية الكلمة ويبين مكانتها لكونها أمانة أؤتمن الإنسان عليها:

١ - مسؤولية الإنسان أمام ربه (جل وعلا) عن هذه الكلمة، فهو محاسب عليها، قال تعالى: **{ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد}**.. يقول ابن كثير (رحمه الله): أي: إلا ولها من يراقبها معتد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالى: **{وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبين. يعلمون ما تفعلون}**.

٢ - إن كلمة واحدة يتساهل فيها الإنسان ولا يلق لها بالا تهوي به في النار سبعين خريفاً وتجعل مصيره إليها، قال [صلى الله عليه وسلم]: «رب كلمة تهوي بصاحبها في النار سبعين خريفاً».

٣ - ومما يدل على أهميتها أن الرسول الكريم جعل ضمان ما بين الفكين (اللسان) سبباً من أسباب ضمان الجنة، فقد قال [صلى الله عليه وسلم] «من ضمن لي ما بين لحييه.. ضمنت له الجنة».

٤ - حملت إلينا النصوص الشرعية الكثير من المنهيات، وحوت الكثير من كبائر الاثم، وترتب على بعضها (اللعن أو الحد في الدنيا، أو الوعيد الشديد في الآخرة)، ومردها الى ما يتلفظ به الانسان من كلام، فالله (عز وجل) نهى عن قول (أف) للوالدين، وعدّت من العقوق، ونهى عن السب والشتم واللعن وكلها قولية، ورتب حداً في الدنيا على (القذف) ولا سبيل إليه إلا بالقول... الخ.

ومن الأمور المعتبرة في (الكلمة الطيبة) حتى تؤتي ثمارها..

١) إن الكلمة الطيبة - خاصة إن كانت على حق - فهي أفضل أنواع الجهاد، كما أخبر بذلك الرسول الكريم فقال: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

٢) أن تكون هذه الكلمة صدقاً، فالكذب أمر محظور في الإسلام، وهناك الكثير من الآيات والأحاديث التي حثت على الصدق، ورفعت منزلة الصديقين، وفي المقابل نهت عن الكذب، وحطت من قدر الكاذبين.

٣) يشترط (الإخلاص) في هذه الكلمة بأن يراد بها وجه الله في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والسعي في الإصلاح بن الناس، واظهار الحق ودفع الباطل أو نصرة المظلوم والحث على الخير والتحذير من الشر.. قال تعالى: **{لا خَيْرَ في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس}**.

٤) أن يكون الإنسان مدركاً لهذه الكلمة، عاملا بموجبها، متمثلا لما يدعو إليه في واقعه العملي، لإن الله ذم من يأمر بأمر ولا يأتيه، قال تعالى: {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم}.. وقال الشاعر:

لا تنه عن خُلُق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

وقد ذم الله الذين يقولون مالا يفعلون، قال تعالى: **{يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كَبُرَ مَقْتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون}**.

٥) إن النبي [صلى الله عليه وسلم] عدها صدقة من الصدقات فقد قال (والكلمة الطيبة صدقة).

٦) إنها من الأعمال التى يجري أجرها على الانسان بعد موته، وانقطاع صلته بالدنيا فقد قال [صلى الله عليه وسلم] «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

والعلم المنتفع به هو تلك الكلمة التي صدرت من الانسان سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة.

فلا تكتب بكفك غير شيء
يسرك في القيامة أن تراه

